وزارة التعليـــم العالـــي و البحث العلمـــــي

جامعة بن يوسف بن خدّة، الجزائـــــر

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قســـم التاريـــــخ

مذكرة بعنوان:

مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا: الزراعة، الديانة واللغة.

من القرن الثالث إلى 146 ق. م.

لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم.

تقديم الطالب:

مولاي الحاج أحمد بومعقل

بإشراف الأستاذة:

أ. د. شافية شارن

السنة الجامعيـــــة: *2008- 2009.*

وزارة التعليـــم العالـــي والبحث العلمـــــي

جامعة بن يوسف بن خدّة، الجزائـــــر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قســـم التاريـــــخ

مذكرة بعنوان:

مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا:
"الزِّراعة، الدِّيانة، اللغة ".
من القرن الثالث إلى 146 ق. م.

لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم.

تقديم الطالب:

مولاي الحاج أحمد بومعقل

بإشراف الأستاذة:

أ. د. شافية شارن

الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة:

د. *بلقاسم. رحماني* ***رئيسا***

أ. د. *شافية. شارن* ***مقررا***

د. *أحمد. السليماني* ***عضوا***

د. سليم. إدريسي **عضوا**

السنة الجامعيـــــة: *2008- 2009.*

إهداء

إلـــــــــــــــى:

الذين ماتوا من أجل هذا الوطن الغالي عبر كل الأزمان.

كل من أحب هذا الوطن.

الصابرة، الغالية أمـــــــــي.

الحبيب والدي..

زوجتي، وابني نور سليمان.

إخوتي وأخواتي.

صديقي وأخي الأزهر بديدة.

أرواح كل من جدي، جدتي، عمتي مريم، وأختي أسماء.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

شكر و عرفان

أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من قدّم لي يد العون والمساعدة وشجعني على إتمام هذا العمل من بعيد أو قريب، أخصّ بالشكر والعرفان الأستاذة المشرفة: أ. د. شافية شارن، التي رعت هذا العمل منذ بدايته، فلم تبخل عليّ بالتوجيهات السديدة، وتقديمها الملاحظات الدقيقة القيّمة التي انتفعت بها كثيرا،وعلى ضوئها اهتديت فجاء العمل على هذا النحو.

كما أتقدم بالشكر إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين قاموا بتثمين هذا الجهد بملاحظاتهم وتصويباتهم في سبيل إثراء هذا العمل وتوجيهي نحو الأفضل.

وأشكر جميع الإداريين العاملين بقسم التاريخ وعمال المكتبات الجامعية والوطنية ومتحف الباردو، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى والدي الذي أمدني بكثير من الكتب وكل الذين تلقيت والمعرفة العلم على أيديهم منذ بداية الدراسة من معلمين وأساتذة.

قائمة المختصرات:

- A.N.F.H. = L'Afrique du nord Française dans l'histoire.
- Ant. Afr. = Antiquités Africaines.
- B.A.A. = Bulletin d'archéologie Algérienne.
- C.I.S= Corpus d'inscriptions Semitarum.
- Ency. Univ. = Encyclopédie Universalis.
- H.A.A.N. = Histoire ancienne de l'Afrique du nord.
- Hist. Nat. = Histoire Naturelle.
- Hist. Univ. = Histoire Universelle.
- M.Ar. = Manuel d'archéologie.
- R.Af. = Revue Africaine.
- R.M.S.B. = Revue municipal de Sidi Bel-abbess.
- S.A.C. = Société archéologique de Constantine.
- J.A. = Journal Asiatique.
- J.P = Journal le Pays.
- Sat. Afr. Hist. = Saturne Africain Histoire.
- Sat. Afr. Mon. = Saturne Africain Monuments.

المقدّمـــــــــــــــة

يُعتبر التاريخ القديم لشمال إفريقيا من المراحل التاريخية الهامّة جدا لهذه المنطقة نظرا للغموض الذي تعرفه والتساؤلات التي تنجم عنه والتي يتوجب على الباحثين في ميدان التاريخ محاولة الإجابة عنها وكشف الغموض عنها خاصة الوطنيين منهم، من بين تلك التساؤلات ما يطرحه هذا الموضوع الذي نحاول دراسته، وتتمحور إشكالية هذا البحث حول التأثير القرطاجي في نوميديا خلال الفترة الممتدة بين القرنين الثالث والثاني ق.م، إذ تعود الأصول الأولى للحضارة القرطاجية إلى الحضارة الفينيقية الشرقية، والتي جاء بها الفينيقيون من السواحل الشرقية إلى السواحل الغربية للبحر المتوسط، ثم استقرّوا في غربي البحر المتوسط فأسّسوا دولة عظيمة وحضارة عريقة.

فما هي التأثيرات القرطاجية على سكان نوميديا؟ وإلى أي مدى كان هذا التأثير؟

و تنقسم هذه الإشكالية المحورية الى إشكاليتين رئيسيتين هما:

- العوامل التي ساهمت في انتقال هذه التأثيرات نحو النوميديين ؟
- مجالات التأثير القرطاجي في نوميديا ؟

ويتفرع عن هاتين الإشكاليتين الرئيسيتين بدورهما إشكاليات جزئية أخرى، وهو ما سنحاول الإجابة عنها.

ونظرا لتعدد وتشعب مجالات التأثير القرطاجي في نوميديا، فقد اقتصر البحث على مجالات ثلاثة هي: التأثير في مجال الزراعة، ثم في مجال المعتقدات الدينية والتأثير في مجال اللغة ؟.

يغطي هذا البحث فترة زمنية طويلة نسبيا، تبدأ من القرن الثالث ق.م الذي يمثل أوّج السياسة الإفريقية التي انتهجتها قرطاجة بداية من القرن الخامس ق.م بتوسيع نفوذها والاهتمام أكثر بإفريقيا بالإضافة إلى اتضاح معالم الممالك النوميدية، إلى غاية القرن الثاني ق.م، الذي شهد نهاية الدولة القرطاجية سنة 146 ق.م على يد الرومان، دون غض النظر عن الفترة السابقة للقرن الثالث، إذ أن التأثير ليس وليد القرن الثالث وما بعده، كما أنه لم يتوقف مع نهاية الدولة القرطاجية مباشرة، متبعا أثر الحضارة القرطاجية بعد زوال دولة قرطاجة.

مارست قرطاجة تأثيراتها في نوميديا من خلال عاصمتها وجميع المدن التابعة لها على السواحل الإفريقية، وبطبيعة الحال شمل التأثير جميع المناطق الواقعة جنوب المدن القرطاجية، ولكن التأثير كان أشدّ على حدود مدينة قرطاجة أي المناطق المتاخمة للعاصمة قرطاجة. فالبحث سوف يشمل مجالا جغرافيا واسعا يتمثل في المناطق الشمالية الغربية لتونس الحالية، وهي مناطق نوميدية في الأصل، والمناطق الشمالية من الجزائر الحالية (نوميديا) مع التركيز على المناطق الشرقية للجزائر، وهي المناطق التي خضعت للتأثير المستمر والمباشر للحضارة القرطاجية– البونيقية.

كما سلف ذكره فأن أهمية هذه الدراسة تكمن في تناولها لجزء من تاريخ نوميديا بمنظور جديد على ضوء الدراسات السابقة لهذا البحث، ويمكن تلخيص أهمية موضوع هذه الدراسة في النقاط التالية:

– إستراتيجية الموقع الجغرافي لنوميديا المطلة على البحر المتوسط هذا الأخير الذي يمثل همزة وصل بين بلدان العالم القديم، فيجعل نوميديا متفتحة على حضاراته فتتأثر بها وتؤثر فيها فهي حلقة وصل بين الشمال والجنوب (أوروبا وإفريقيا) وبين شرقي وغربي المتوسط، ما يجعل تاريخ المنطقة جدير بالدراسة والبحث.

– تعد الفترة التاريخية السَابقة للاستعمار الروماني لبلاد المغرب القديم من أكثر الفترات غموضا في تاريخ المنطقة، رغم الأهمية الكبيرة التي تكتسبها تلك الفترة لما شهدته من تفاعل حضاري سلمي بين شرقي المتوسط وغربه. هذا التفاعل الحضاري الذي أنتج لنا الحضارة البونيقية التي لم تنل اهتمام المؤرخين القدامى إلا بما يرتبط بمصالح بلدانهم، فاهتمت أكثر بالجوانب السياسية رغم أهمية الجوانب الأخرى.

– تزخر نوميديا بثروة أثرية تعود إلى فترات تاريخية مختلفة منها ما تركته الحضارة القرطاجية، تناولتها كثير من الأقلام الأجنبية بالدراسة، ما يجعلنا نرى أن كتابة التاريخ الوطني واجب يقع على عاتق أبنائه ونحاول من خلال هذا الدراسة الانضمام إلى فريق الكتاب الوطنيين الذين ينيرون لنا الطريق.

– تمثل هذه الفترة نشأة أول الممالك الوطنية التي شكك فيها الكتاب الاستعماريون، وفي وجود حضارة قبل وصول الفينيقيين إلى شمال إفريقيا، فبرّروا للرومان استعمارهم للمنطقة، كما برّروا لأنفسهم استعمار الشعوب في العصر الحديث.

– تتناول الدراسة عناصر حضارية أساسية ومهمة جديرة بالدراسة والبحث هي: الزراعة، المعتقدات الدينية، اللغة، أصولها المغربية ومدى التأثير القرطاجي فيها.

– نحاول من خلال هذا البحث إظهار الخصائص والمعالم الحضارية لنوميديا خصوصا ولمنطقة شمال إفريقيا على العموم التي حاول الاستعمار طمسها بتمجيد الاستعمار الروماني وإبراز آثاره في شمال إفريقيا.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب منها:

– أهمية الموضوع في حد ذاته، الذي يمثل مكونات الشخصية المغاربية.

– أن معظم الكتابات الأجنبية التي تناولت تاريخ المنطقة تميزت بتحاملها على السكان الأصليين بنعتهم بأوصاف غير موضوعية، كما حملت تلك الكتابات نزعة استعمارية كان الهدف منها إيجاد مبررات تاريخية وحضارية للاستعمار الفرنسي الحديث وربطه بالاستعمار الروماني، حيث حاولت أبراز مظاهر الحضارة النوميدية السّابقة للاستعمار الروماني وتفنيد الإدعاءات الاستعمارية القائلة بعدم وجود حضارة خاصة بالليبيين.

– النقص الكبير في الكتابات الوطنية (العلمية) خاصة باللغة العربية التي تناولت الفترة بالدراسة والتحليل.

– محاولة الكشف عن جانب مهم من تاريخ المنطقة، وعن التفاعلات الحضارية التي عرفتها منطقة نوميديا.

– التعرف على مدى مساهمة النوميديين في الحضارة القرطاجية المنتشرة في سواحل المتوسط، ومنه على مساهمة الليبيين في الحضارة المتوسطية.

– توفر المادة العلمية المتمثلة في المكتشفات الأثرية التي أعطتنا كثيرا من المعلومات حول الحضارة القرطاجية، ومدى ما بلغته هذه الحضارة من تأثيرات في نوميديا.

– الاهتمام الشخصي بالتاريخ القديم للجزائر والرغبة في التعرف أكثر على هذه الفترة وخصائصها، بالإضافة إلى إرادة المساهمة في كتابة التاريخ الوطني ولو بجزء يسير.

يعترض أي بحث علمي جملة من الصعوبات التي تعيق الباحث من التقدم وفق النسق المطلوب، وتعمل على تثبيط الباحث خلال مختلف مراحل البحث، ومن بين المعيقات والصعوبات الجمّة التي تلقيتها نذكر على سبيل المثال:

– صعوبة التفريق بين ما هو ليبي وما هو قرطاجي، خاصة في مجالي الدّين والزراعة، فالتداخل بينهما كبير.

– قلة المصادر المكتوبة الخاصة بالحضارة البونيقية، خاصة الفترة السابقة لتأسيس قرطاجة، أما المصادر المادية فيصعب استغلالها وجلها يعود إلى فترة متأخرة نسبيا.

– عدم نيل هذه الآثار من نصب ورسومات وكتابات العناية اللازمة من قبل الباحثين، وكثير منها لم يتم فك رموزها.

– انتشار الدراسات والكتابات الخاصة بالموضوع في مراجع مختلفة ومصادر متفرقة يجعل الاطلاع على جميعها أمر صعب والحصول عليها في بعض الأحيان أصعب.

– عامل الزمن: فالبحث يحتاج الى زمن طويل وكلّما توصّل الباحث إلى نتيجة كانت نقطة البداية لإشكالية أخرى تبحث عن إجابة أخرى.

– اقتناء المصادر والمراجع: المتفرقة بين المكتبات، وكثير منها فُقد أو أصابه التلف.

– الترجمة وما تتطلبه من دراية باللغة الأجنبية.

– تحرير الموضوع : لما يتطلب من دقة في المنهجية واللغة، وحس أدبي.

ولا شك أن هذه الصعوبات تزيد الباحث عزما وإصرارا في محاولة التغلب عليها، وتجعل البحث أكثر تشويقا ومتعة.

اعتمد في هذا البحث عل جملة من المصادر الأدبية الإغريقية واللاّتينية، هذه المصادر التي لم تكتب لغرض تدوين أخبار المنطقة (شمال إفريقيا)، وإنّما ارتباط الأحداث التي تدون لها تلك الكتابات مع أحداث أخرى جرت في المنطقة. ولذلك جاءت فيها تلك الأخبار شحيحة ومتضاربة، كما تتسم بقلة الدّقة في التحري عن الحقائق والتحيز، ولكن هذا لا يجعلنا نقلل من القيمة التاريخية لها وضرورة الرجوع إليها، وأهم المصادر التي رجعت إليها في هذه الدراسة هي:

– **بوليبيوس:** له كتاب "التاريخ"، من أهم المصادر التي تتعلق بتاريخ الجمهورية الرومانية، تناول جوانب من التاريخ الفينيقي – البونيقي والمراكز الفينيقية في شمال إفريقيا، والعلاقات المغربية القرطاجية، وجوانب من الزراعة.

– **ديودور الصقلي:** الذي كتب "المكتبة التاريخية" وذكر فيه غزو أغاثوكليس للمغرب، وأشار إلى نوميديا وسكانها عدة مرات، فقسّم سكان المغرب إلى أربعة أقسام:

الفينيقيون في قرطاجة، الليبو – فينيقيين على السواحل، والنوميديون والرحل بالمناطق الداخلية. وتطرق إلى جوانب من الزراعة والمعتقدات الدينية لهؤلاء السكان.

– **تيت ليف**، كتب "التاريخ الروّماني" من البداية إلى سنة 9 ق.م. تطرق إلى الحروب البونية وإلى مدينة قرطاجة وتحصيناتها، كما أشار إلى تأثر مدينة سيرتا بالحضارة البونيقية.

– **جيستان** ، تحدث في كتابه "تاريخ العالم" عن أصل الفينيقيين وأسطورة عليسة، وعن علاقات الفينيقيين بالليبيين، وعن غزو أقاثوكليس لإفريقيا.

– **هيرودوت**، قام ستيفان قزال بجمع المعلومات المتعلقة بتاريخ إفريقيا الشمالية القديم من أعمال هيرودوت، وترجمها ثم علق عليها، وهيرودوت الذي لم يزر المنطقة (توقف في شط الجريد بجنوب تونس) نقل لنا أخبار الليبيين حسب الروايات التي استقاها من السكان الليبيين أنفسهم (على حد تعبيره)، وقد قام بوصف وتصنيف سكان المنطقة الى سكان أصليين وغير أصليين، وذكر معلومات مفيدة جدا تتعلق بعادات الليبيين ومعتقداتهم.

– **فارو**، في كتابه "الاقتصاد الريفي" ذكر ما أفادني في الجانب الزراعي والتطور الذي وصلت إليه قرطاجة، كما تناول كثير من المعلومات من العالم الزراعي القرطاجي ماجون.

هذه المصادر التي تناولت جوانب من تاريخ المنطقة والتي ميزها الغموض والتكرار في سرد المعلومات، وربَما يعود ذلك إلى نقلها عن بعضها البعض.

إضافة إلى المصادر الأدبية فقد تركت لنا الحضارة البونيقية في شمال إفريقيا عددا هائلا من الآثار المتمثلة في النقوش والنصب والأدوات الجنائزية دُونت في كتب خاصة منها: مدونة النقوش السامية (CIS) ومصنف المتحف العلوي بتونس لبيكار كوليت (Picard. C)، مدونة ج. مازار (Mazard. J) الخاصة بالمسكوكات وكتابات م. ح. فنطر منها "تبرسوق" و"زيارة إلى قرطاجة"، يضاف إلى ذلك المقالات المنشورة في الدوريات المختلفة منها: دورية سميتيكا (Semitica) كمقال م. ح. فنطر، "نصب مديدي الجديدة ذات النقوش البونيقية والبونيقية الجديدة" ودورية كارتاقو (Karthago)

مثل مقال ش. ج. بيكار(Picard. G. Ch)، "الحياة في مكثر". وتميزت هذه المصادر بكثرتها و تنوع موضوعاتها وعظم فائدتها.

اهتم الأوربيون بتاريخ المنطقة منذ بداية الاستعمار وبذلوا مجهودات كبيرة في هذا الميدان، لكن هذه الكتابات لم تخل من النزعة الاستعمارية ونظرة الاحتقار والاستعلاء على سكان المنطقة، كما جاءت بغرض ربط التاريخ القديم " الاستعمار الروماني " بالتاريخ الحديث " الاستعمار الفرنسي" وتقديم التبريرات له، وقد ظهرت كتابات وطنية باللغتين الوطنية والأجنبية هدفها هو تدوين تاريخ المنطقة بشكل موضوعي.

وقد حملت هذه الكتابات الكثيرة معلومات تاريخية هامّة منها: ما كتبه ستيفان قزال (St. Gsell) من دراسات وأبحاث ومقالات، وأهم ما كتبه هو:" التاريخ القديم لشمال إفريقيا" والذي جاء في ثمانية أجزاء، فخصّ الأجزاء الأربع الأولى منها لبداية تاريخ المنطقة والفترة القرطاجية، فقد اعتمدت عليها وخاصّة الجزء الرابع المتضمن الحضارة القرطاجية، الزراعة، الديانة واللغة، وقد استفدت أيضا من بعض الأجزاء الأخرى. كما استفدت من كتابات ج. كامبس (G. Camps) الذي جعل سكان منطقة شمال إفريقيا "مستقبلين" للحضارة، وكتاب ا. ف. قوتييه (E. F. Gautier) "البربر على هامش التاريخ"، وكتابات ش.ج. بيكار(Picard. G. Ch)، وغيرها من الكتابات الحديثة المهتمّة بتاريخ المنطقة، أما كتابات م.ح. فنطر (Fantar. M. H) الغزيرة، والتي حاول فيها البحث عن الحقائق التاريخية معتمدا على المكتشفات الأثرية.

ظهرت كتابات باللغة العربية منها: كتابات كل من د. م.ب. شنيتي في كل من "سياسة الرّومنة" و"التغيرات الاقتصادية" وم. ص. غانم " التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط"، وتدخل هذه الكتابات في إطار الكتابات الوطنية المتخصصة
وقد ورد فيها معلومات خاصة بالجوانب السياسية، الاقتصادية والاجتماعية لشمال إفريقيا في القديم.

اعتمدت في هذه الدراسة على العديد من المقالات المنشورة في المجلاّت المختلفة و ذلك حسب الاختصاصات وتنوع محاور الموضوع مثل ما كتبه ر. باسيه (Basset. R) في المجلة الإفريقية "التأثيرات البونيقية عند الليبيين"، أما في مجال

الزراعة فقد رجعت إلى ما كتبه ل. جوليود (Joléaud. L)، " قدم صناعة زيت الزيتون في شمال إفريقيا".

أما الديانة البونيقية فقد نالت قسطا كبيرا من اهتمام المؤرخين فتناولوها بالدراسات بشكل واسع على عكس المعتقدات الدينية الليبية القديمة التي لا تزال غامضة، وعلى سبيل المثال، عُدت إلى مقال م. تروسال (Troussst. M) في: "الإله آمون والإلهة أفريكا"، فيما يخص المعتقدات الدينية الليبية وأ. بيقانيول (A. Piganiol) في: "الديانة والحركات الاجتماعية في المغرب القديم".

وفي مجال التأثير اللغوي فعدت إلى كتابات كل من و. فيسيل (W. Vycihl)، "الدراسات الشامية– السامية"، وفي مجال التأثير اللغوي واستمرار اللغة البونيقية عدت إلى ما كتبه ش. كورتوا (Ch. Courtois)، الذي يرى أن القديس أوغسطين قد أخطأ في اعتقاده أن ما سمعه كان لغة بونيقية.

كما نُشرت بعض الدراسات والمقلات باللغة الوطنية منها ما كتبه د. م. ب. شنيتي، "التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر القديمة"، ومقاله:" نظرة على الواقع الديمغرافي"، حيث يرى أن ظاهرة البداوة إنما هي نتيجة حتمية للظروف الجغرافية والطبيعية للمغرب العربي عامّة وللجزائر خاصّة.

اعتمدت في هذه الدراسة على عدد من الدراسات الجامعية منها: أطروحة دكتوراه تتكون من جزأين لشافية شارن بعنوان "النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (العهد الإمبراطوري الأول)" حيث تناولت معلومات قيمة حول الزراعة، الصناعة والتجارة، استخلصت الباحثة أن المواد المنتجة في نوميديا كانت تمثل عصب التجارة القرطاجية، أفاد منها الرومان وأفقرت السكان المحليين ورسالة الدكتوراه لمحمد الحبيب بشاري بعنوان " دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما بين 146 ق. م و 285 م" قام الباحث بدراسة دور الاقتصاد الإفريقي في تموين روما بالمواد المختلفة، خلص الباحث أن روما استفادت من إفريقيا وأضرت باقتصاد هذه الأخيرة. وقد تميّزت هذه الكتابات بمحاولة التحلي بالموضوعية والدقة.

نظرا لطبيعة الموضوع فقد قسمته إلى مقدمة، مدخل وستة فصول فخاتمة، وقد حاولت من خلالها إبراز مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا: الزراعة، المعتقدات الدينية واللغة، خلال الفترة الممتدة بين القرن الثالث والقرن الثاني ق.م.

المدخل:

تناولت في المدخل وباختصار التواجد الفينيقي في شمال إفريقيا، من مرحلة الارتياد الباكر إلى الاستقرار وإنشائهم لمراكز تجارية على طول السواحل الليبية، ورأيت أن القرطاجيين امتداد للفينيقيين لذا لا يمكن إغفال الفترة السابقة لتأسيس قرطاجة وهي المرحلة التمهيدية لانتشار الحضارة القرطاجية في شمال إفريقيا، ثم تطرقت إلى الأوضاع في كل من قرطاجة ونوميديا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث ق.م، حيث تناولت تأسيس مدينة قرطاجة وتطورها السياسي وصراعها ضد الإغريق والرومان الذي انتهى بزوالها. والتنظيم السياسي إلى بداية ظهور الممالك النوميدية والتنظيم الاجتماعي في نوميديا في نفس الفترة الزمنية،. وقد أنهيت المدخل بمختصر للنتائج التي استخلصتها من خلال هذه الدراسة..

الفصل الأول:

تعرضت في الفصل الأول للزراعة، المعتقدات الدينية واللغة في كل من قرطاجة ونوميديا، حيث قسمت هذا الفصل إلى محورين أساسين هما: الزراعة الديانة واللغة في قرطاجة والقسم الثاني خصصته لنوميديا الزراعة الديانة اللغة، وذلك من أجل إظهار حضارة كل منهما ولكي يكون التأثير أكثر وضوحا.

الفصل الثاني:

وفي هذا الفصل تناولت العوامل التي أدت الى تأثر النوميديين بالحضارة القرطاجية، حيث جاء هذا التأثير كنتيجة تفاعل حضاري بين الشعبين القرطاجي والليبي، ويعزى هذا التفاعل الحضاري إلى ثلاثة عوامل أساسية هي:

– العامل التاريخي ونقصد به طول الفترة الزمنية للاستقرار الفينيقي – القرطاجي في شمال إفريقيا.

– العامل الجغرافي الذي يتمثل في التجاور بين الشعبين، ففي المدن التي أسّسها الفينيقيون أو القرطاجيون ولوحظ عدم القدرة على إظهار الحدود بدقة بين الطرفين.

– العلاقات بين الطرفين وذلك في ميادين ومجلات مختلفة منها: السياسية، العسكرية، الاقتصادية (التجارة خاصة) والاجتماعية التي لحمت الشعبين، وكان لها الأثر الأكبر في التأثير القرطاجي في نوميديا.

الفصل الثالث:

أمّا في الفصل الثالث فقد تناولت فيه التأثير الزراعي القرطاجي في نوميديا، وذلك بمحاولة إظهار الميادين الزراعية القرطاجية التي أفاد منها النوميديون. وقد تبيّن لي من خلال هذه الدراسة أن الليبيين لم يكونوا يجهلون الزراعة كما ذكر بعض المؤرخين، وفي نهاية الفصل قمت بتقديم عددا من النتائج التي توصلت إليها.

الفصل الرابع:

فقد تطرقت فيه إلى تأثير المعتقدات الدينية القرطاجية في نوميديا، من خلال المعبودات القرطاجية والطقوس الدينية والجنائزية القرطاجية في نوميديا، وآثار تلك المعتقدات بعد زوال قرطاجة. وفي نهاية الفصل قُمْتُ بحصر بعض النتائج التي وصلت إليها الدراسة.

الفصل الخامس:

أمّا الفصل الخامس فقد خصّصته للتأثير اللغوي القرطاجي في نوميديا، باعتبار أن اللّغة من أهم عوامل التأثير، حيث تعد عامل أساسي في فهم ونقل كل تلك التأثيرات الحضارية الأخرى، وتطرقت إلى العلاقة بين اللغتين والأبجديتين القرطاجية والنوميدية (الليبية) ومكانة اللغة البونيقية في الثقافة المحلية، انتشار اللغة البونيقية في نوميديا، وأخيرا الآثار التي خلفتها اللغة البونيقية من نقوش وكتابات في نوميديا وذلك بعد تدمير وزوال الدولة القرطاجية. وتضمّنت نهاية الفصل بعض من النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الخاتمة:

وضمنتها خلاصة عامّة للنتائج التي توصلت إليها الدراسة "مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا"، وكانت أهم نتيجة توصلت إليها هي: أن القرطاجيين لم يبقوا شرقيين تماما فاختلفوا عن أجدادهم الفينيقيين وأن النوميديين قد تأثروا بهم وأثروا فيهم،

ولم يكتف النوميديون بتلقي هذه التأثيرات فقط بل كانوا مساهمين في بناء حضارة قرطاجة.

المدخل:

أولا: أهمية التواجد الفينيقي في شمال إفريقيا.

ثانيا: الأوضاع في قرطاجة ونوميديا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث ق.م.

أولا- التواجد الفينيقي في شمال إفريقيا:

لتناول موضوع التأثير القرطاجي في نوميديا نرى ضرورة التعرض للفترة السابقة لتأسيس قرطاجة وعدم إغفالها، أي فترة بدايات التواجد الفينيقي في شمال إفريقيا كمدخل للموضوع محل الدراسة، إذ تكتسي هذه المرحلة أهمية كبيرة نظرا للارتباط الوثيق بين التاريخ الفينيقي والقرطاجي في حوض المتوسط ففي اعتقادنا لا يمكن دراسة التاريخ القرطاجي منفصلا عن التواجد الفينيقي في المنطقة، ولأن استقرار الفينيقيين في شمال إفريقيا يُعد نقطة تحوُل هامّة في تاريخ المنطقة، ويتجلى ذلك من خلال التطورات التي عرفتها هذه المنطقة، حتى جعلت المؤرخين يعتبرون "أن منطقة شمال إفريقيا لم تخرج من حقبة ما قبل التاريخ إلا مع قدوم الفينيقيين إلى المنطقة"[1]، ونعتقد أن هذه المرحلة هي المرحلة التمهيدية في العلاقات بين النوميديين والقرطاجيين وبالتالي يمثلون تمهيدا للتأثير القرطاجي في نوميديا.

1) المراكز الفينيقية الباكرة في شمال إفريقيا:

قدم التجار البحارة الفينيقيون نحو غربي البحر المتوسط منذ حوالي القرن 12 ق.م لأسباب اقتصادية[2]، بحثا عن المواد الأولية الضرورية لصناعتهم وعن الأسواق لتصريف منتجاتهم ومنتجات غيرهم في إطار التجارة التي أكسبتهم شهرة واسعة[3]. ويبدو أن الأرباح التي كانوا يجنونها من التجارة كانت تدفعهم إلى المخاطرة بركوب البحر وتكبد عناء السفر فيه، فجابوا سواحل المتوسط بكل اتجاهاتها فأسسوا كثيرا من المراكز والمحطات التجارية التي تطورت لتصبح مُدنا مُزدهرة، وبذلك وضعوا اللبنات الأساسية الأولى للتأثير القرطاجي في نوميديا.

---

(1) Camps. (G), Aux origines de la Berbérie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, éd. Alger, (1961), p. 11.

(2) Mansouri. (H), Carthage et la Berbérie, fondation, extension et apports civilisationnels, J.P, N° 144, (02 sep– 04 oct. 1994), p.12.

(3) Fantar. (M. H), les Phéniciens en Méditerrané, éd. Alif, Tunisie, (1997), p. 18.

وتبعا لذلك قام الفينيقيون بتأسيس العديد من المراكز والمحطات التجارية على السواحل الغربية للبحر المتوسط[1]، ويبدو أن مراكز السواحل الإفريقية لم تكن سوى محطات توقّف واستراحة للفينيقيين في طريق عودتهم من إسبانيا إلى بلادهم على الساحل الفينيقي في المرحلة الأولى على الأقل، حيث كانوا يتبعون تيارا بحريا يوصلهم إلى شمال صقلية مرورا بالسواحل الإفريقية وكان ذلك منذ نهاية الألفية الثانية ق.م[2]، ثم تضاعفت رحلاتهم البحرية التجارية على إثر الازدهار الذي عرفته المُدُنُ الفينيقية على الساحل الفينيقي[3]. ومن المحتمل أن يكون نزول الفينيقيين على السواحل الشرقية للمتوسط قد مهّد لهم الطريق نحو سواحله الغربية، في إطار بحثهم الدائم عن المواد الأولية والرِّبح التجاري[4].

وكان الفينيقيون يدركون أهمّية سواحل شبه جزيرة أيبيريا وشمال إفريقيا التي جذبت انتباههم بمعادنها الثمينة ومواردها الخام المتوفرة وغير المستغلة[5]، فأسّسوا محطة ليكسوس (Lixus)[6]، مدينة العرائش، على السواحل الغربية للمغرب الأقصى، في نفس الوقت مع قادش (Cadex) بشبه جزيرة أيبيريا في حوالي 1110 ق.م[7]، ومن المرجح أن يكون الفينيقيون قد أسّسوا أول مستعمرة لهم على السواحل التونسية في نفس الفترة الزّمنية تقريبا وهي أوتيكا (Utique)، التي تقع في النّاحية الغربية من خليج تونس بالقرب من مصبّ نهر مجردة في حوالي 1101 ق.م[8]، هذه المدينة التي لم تكن علاقاتها جيِّدة على الدّوام مع قرطاجة[9].

ومن الملاحظ أن الفينيقيين والقرطاجيين لم يُعمِّروا في تلك المحطات والمراكز التي أسّسوها على السواحل النوميدية قبل القرن الخامس ق. م، إذ إن جميع القبور البونيقية التي وُجدت في تلك المناطق تعود إلى القرن الخامس ق.م وما بعده[10]،

---

(1) Diodore de Sicile, Bibliothèque -Historiqoue, Trad. Par : Miot. (A. F), Paris, (1916), liv. 20.

(2) Gsell. (S), l'Algérie dans l'antiquité, Alger, (1900), p. 14.

(3) غانم. (م. ص)، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، د.م.ج، (1979)، ص. 68.

(4) Conteneau. (G), Civilisations anciennes du proche orient, Paris, (1960), pp. 56 -75.

(5) غانم. (م. ص)، نفس المرجع، ص ص. 68- 69.

(6) Pline l'ancien, Histoire. Naturelle, trad. Beaujeu (J), E d. Hachette, Paris, (1950), liv. XIX, 63 ; Strabon, Géographie, trad. Amédée Tardien, éd. Hachette, Paris, (1880), XVII, 2-3.

(7) Warmington. (B. H), Histoire et civilisation de Carthage, 814-146 Av. J.C, trad. Guillemin. (S. M), Payot, Paris, (1961), p. 15.

(8) Slim. (M), et autres, Histoire de la Tunisie, des origines à la conquête romaine, Société tunisienne de la diffusion, (S.D), t.1, p. 21 ; Cintas. (P), Manuel d'archéologie punique, Paris, (1970), t. 1. p. 248.

(9) Slim. (M), et autres, Ibid. p. 72.

(10) Le Glay. (M), Nouveauté punique, R.Af. N° 432-433, (1952), p. 413.

ونستنتج من ذلك القرطاجيين لم يهتموا كثيرا بإفريقيا خلال الفترة السّابقة للقرن الخامس ق.م، ورُبما يرجع ذلك إلى عدم حاجتهم للتوسع في إفريقيا بسبب ازدهار تجارتهم في البحر المتوسط، وبسبب توفر المعادن والمواد الأولية التي كانت تتطلبها تجارتهم في الضفة الشمالية للمتوسط، ولعل الفينيقيين كانوا مكتفين أيضا بما يأتيهم من إفريقيا بوساطة النوميديين، فكفوهم بذلك عناء التوغل والمغامرة على أرض يجهلونها.

كانت المراكز الفينيقية في إفريقيا عبارة عن محطات يستريح التجار فيها من عناء السفر عبر البحر ويتزوّدون فيها بحاجاتهم من الماء والغذاء[1]. فلم يكن الفينيقيون مُهتمّين بالأرض إلاّ بقدر أهمّية الربح الذي يجنونه عن البضائع التي يعرضونها على السكان المحليين، وبقدر أهمية المواد التي كانت تُعرض عليهم فيأخذونها، وبذلك يكون اهتمام الفينيقيين بتلك المناطق يقابل الأهمية التي تقدمها تلك المناطق للتجارة الفينيقية[2].

وتكمُن أهمّية سواحل شمال إفريقيا بالنسبة للتواجد الفينيقي إلى غاية القرن التاسع ق. م في أنها تمثل مناطق إستراتيجية من حيث الموقع الجغرافي، لِمَا تحتويه من رؤوس وخُلجان ترسوا عليها سفنهم وتؤمّن لهم حاجاتهم الحيوية من ماء وغذاء، كما سبقت الإشارة إليه، وتُمثل هذه السواحل البوابة الوحيدة للتوغل نحو داخل القارة عبر البحر المتوسط، ويبدو أنهم تحكموا في إفريقيا من خلالها دون الحاجة إلى التوغل نحو الداخل، ورُبما فَسّر هذا عدم تأسيسهم للمستوطنات في المناطق الداخلية لإفريقيا، ونجد في كلام ج. لابيير[3] (G. Lapayer) ما يدعم هذه الفكرة حين كتب:« من تحكم في سواحل بلد ما فإنه يتحكم في روح (داخل) تلك البلد أيضا» .

استطاع التجّار الفينيقيون أن يؤسّسوا ويمتلكوا شبكة كبيرة وهامّة من المراكز والمحطات التجارية على السواحل الغربية للمتوسط، وذلك منذ فترة مبكرة[4] تعود إلى نهاية القرن الثاني عشر ق. م وهي الفترة التي تعرف بمرحلة الارتياد. وقد بلغ عددها على السواحل الشمالية لإفريقيا حوالي ثلاث مائة محطة ومركز تجاري[5]، حيث لم

---

(1) Cintas. (P), fouille punique à Tipaza, R. Af. N° 416-417, (1948), p. 275.
(2) Gautier. (E. F), le passé de l'Afrique du nord, siècles obscures, Payot, Paris, (1952), p. 117.
(3) Lapayer. (G) et Pellegrin. (A), Carthage punique, 314-146 Av. J.C , Payot, Paris, (1946), p. 96.
(4) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 1, Paris, (1921), pp. 369 -370.
(5) غانم. (م. ص)، المرجع السابق، ص. 68.

يكن يفصل بين محطة وأخرى تليها سوى مسافة إبحار يوم كامل (أي ما يعادل 30 ميلا، أي حوالي 40 كلم تقريبا)، وذلك حسب ما تقتضيه ظروف الملاحة القديمة من السّير بمحاذاة الشاطئ والنزول إلى اليابس ليلا للرّاحة[1]. (انظر: الملحق رقم (01)).

2) الاستقرار الفينيقي في شمال إفريقيا:

لا نعرف بالضبط متى بدأ الفينيقيون يفكرون في الاستقرار في شمال إفريقيا، وربما تعود فكرة الاستقرار الفينيقي في المنطقة إلى التطور الذي عرفته التجارة الفينيقية في غربي المتوسط وبالتالي ضرورة مراقبتها بشكل دائم، وهذا ما يفسر تضاعف وتطوّر المراكز والمحطات التجارية الفينيقية بسرعة لتصبح مستوطنات فمُدُنًا مزدهرة، ويرجع ذلك إلى تزايد أعداد المهاجرين الوافدين من الشرق بفضل تشجيع ملوكهم للهجرة، خاصّة الملك أحيرام (Ahiram)، ملك صور (Tyr) خلال القرن العاشر ق.م[2].

وليس من المستبعد أن تكون العلاقات بين الفينيقيين والليبيين ممتدة إلى تلك الفترة المبكرة من خلال المبادلات التجارية بين الطرفين التي كانت تتم في المراكز التجارية الساحلية التي أسسها الفينيقيون[3] إذ يبدو أن أوّل اتصال واحتكاك تمّ بين هؤلاء الوافدين الجدد والسكان المحليين كان عن طريق التجارة[4]، بمقايضتهم سلع بلدان المتوسط من أقمشة وزجاج ومواد فخارية مع سلع إفريقيا كالجلود، الأخشاب والعاج[5]، ويمكن أن يكون تأسيس قرطاجة في نهاية القرن التاسع ق. م كان بدافع دعم هذه المحطات والمراكز وبهدف مضاعفة المبادلات التجارية والتحكم فيها. وتدعمت العلاقة أكثر من خلال المُدُن والمراكز السّاحلية التي أقامها الأهالي أو التي أقامها الفينيقيون[6]، ثم تطورت العلاقات بين الليبيين السكان الأصليون لمنطقة شمال إفريقيا

---

(1) Slim. (M), op. Cit, p. 21; Cintas. (P), Op. Cit, pp. 268-278.

(2) Moscati. (S), l'expansion Phénicienne-Punique dans la Méditerrané occidentale, dans actes du II congrès internationale d'études des cultes de la Méditerrané occidentale, Alger, (1976), pp.13-25.

(3) Decret. (F), et Fantar. (M.H), l'Afrique du Nord dans l'Antiquité Histoire et Civilisation des origines au V^{ème} siècle, Payot. Paris, (1977), p. 50.

(4) شنيتي. مجمد البشير، نظرة على الواقع الديمغرافي والاجتماعي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، د.م.ج، (1982)، ص. 11.

(5) Decret. (F) et Fantar. (M.H) Loc. Cit.

(6) شنيتي. (م. ب)، نفس المرجع، نفس المكان.

والسكان الجدد الوافدين من الشرق في تلك المُدُن والمراكز، وأهمّ وأعظم المُدُن الفينيقية في شمال إفريقيا – على الإطلاق – كانت قرطاجة[1] (Carthage) التي تتصل بها دراسة هذه التأثيرات، هذا ما جعل ا. ف. غوتيه[2] (E. F. Gautier) يقول في هذا الموضوع :" ومن تاريخ قرطاجة ليس هناك ما يُهمّنا إلاّ هذا: مدى اتساع وعُمق التأثير القرطاجي في شمال إفريقيا".

تميّز التواجد الفينيقي في شمال إفريقيا خلال الفترة الممتدة بين نهاية القرن الثاني عشر إلى غاية القرن التاسع ق.م بكونها تمثل مرحلة ارتياد واستكشاف، ذلك أن الآثار المادية التي تركها الفينيقيون التي تعود إلى هذه الفترة نادرة جدا[3].

3) مجال الحضارة الفينيقية:

تشهد الآثار المادية التي تعود إلى الحضارة الفينيقية عن مدى التطوّر الذي وصلت إليه، والتي نقلها التجار البحّارة الفينيقيون إلى الحوض الغربي للمتوسط، ويمكن أن نقدم لبعض ما وصل إليه الفينيقيون في المجال الحضاري، جعلهم يؤثرون به في الأمم والشعوب الأخرى.

ففي مجال الكتابة اخترع الفينيقيون الأبجدية الهجائية في القرن الرّابع عشر قبل الميلاد، أو قبل ذاك بقرنين، ومن الأبجدية الفينيقية تم اشتقاق الأبجديات القديمة الأخرى[4] منها الأبجدية اليونانية واللاتينية. كما اخترع الفينيقيون اللّوْن الأحمر الأرجواني الذي التصقت به تسميتهم (Phoenix)، ويُعتقد بأنهم قد ابتكروا عجينة[5] الزجاج وهم أوّل من صنع من الزجاج الأقداح وحواجل العطور[6]، واهتدى الفينيقيون قبل غيرهم إلى نجمة الدّب القطبي التي تجعل الإبحار ممكنا في الليل حيث يستطيع الملاّحون تحديد اتجاه الشمال، وقد أطلق عليها الإغريق تسمية النجمة الفينيقية[7].

---

(1) Gsell. (S), Op. Cit , p. 374.
(2) Decret. (F) et Fantar. (M.H), Op. Cit. p. 119.
(3) Decret. (F), Carthage ou l'empire de la Mer, éd. du seuil, Paris, (1977), pp. 41-42.
(4) الخوري. منير، تاريخ صيدا عبر حقب التاريخ، المكتب التجاري لطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (1966)، ص. 34.
(5) Pline l'ancien, His. Nat, XXXVI, 191.
(6) Encyclopédia Universalis, t. 4, (1985), p. 416.
(7) Fantar. (M. H), op. Cit, pp. 17- 19 ; p. 125.

وطوّروا كذلك صناعة السفن بظهور المسمار[1]، كما توصلوا إلى اكتشاف مناطق جديدة لم تُعرف إلاّ في عصرنا الحالي مع ظهور الاكتشافات الجغرافية الحديثة، بإرسال رحلات استكشافية تجارية متعددة الأهداف، ويبدو أنهم امتلكوا مهارات خاصّة في مجال الملاحة البحرية والتعامل التجاري خاصة فتمكنوا من نقل بضائعهم إلى أبعد الأماكن[2].

وأنشأوا المُدُنَ الجميلة المحكمة التنظيم بأسوارها وشوارعها المرصوفة، وأبنيتها العالية ذات الطوابق، وشيّدوا المعابد الضّخمة والموانئ المزدوجة المتطوّرة، وأحيطت المدن بالبساتين والحدائق الغنّاء فأبدعوا في مجال الزّراعة. وكانت مُدُنهم تُسيّر وفق قوانين ونُظُم حُكم مضبوطة[3].

أورث الفينيقيون القرطاجيين هذه الحضارة التي مَيَّزتهم عن غيرهم من الشعوب الأخرى، ولكن لم يقف دور القرطاجيين عند استقبال تلك المعارف فقط، بل إنهم أضافوا إليها الكثير ممّا اخترعوه أو نقلوه عن حضارات أخرى. وساهموا في نقل تلك المعارف إلى أماكن بعيدة جدا منها أوربا[4].

ثانيا- الأوضاع في قرطاجة ونوميديا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث ق. م.

1) أوضاع قرطاجة منذ التأسيس إلى القرن الثالث ق. م:

أ) تأسيس مدينة قرطاجة:

يرجع تأسيس مدينة قرطاجة (Carthage) إلى الربع الأخير من القرن التاسع ق.م، أي في حوالي 814 ق.م، وهو الرأي السائد عند أغلب الروايات والدِّراسات

---

(1) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 2, Paris, (1923), p. 82.

(2) سارتون. جورج، تاريخ العلم، (الجغرافيون و المؤرخون في القرن الخامس)، تر. جورج حدّاد وآخرون، ج. 2، دار المعارف، مصر، ط. 2، (1970)، ص ص. 149-153.

(3) Fantar. (M. H), op. Cit, pp. 85- 130.

(4) سارتون. جورج، نفس المرجع، ص. 152.

التاريخية[1]. إلاّ أن هناك بعض المؤرخين لا يتفقون وهذا الرأي، ومن بين هؤلاء نجد المؤرخ يوسيفوس اليهودي[2] (Josephus) الذي اعتمد في رأيه على رواية ميناندر الافسوسي (Ménandre) الذي قيل أنه كان قد اطّلع على الأرشيف الملكي بصور (Tyr) [3]، حيث يرى أن مدينة قرطاجة قد تأسّست قبل 814 ق.م بزمن قليل، أي في حوالي 825 أو 819 ق.م. أما ريس كربانتر (Rhys. Carpenter) فيرفض الرّواية التقليدية التي نقلها المؤرخ جيستان) (Justin) حيث يُرجع تأسيس مدينة قرطاجة إلى منتصف القرن الثامن ق.م أي حوالي 750 ق.م، مُعتمدا في ذلك على المعطيات الأثرية المادية التي تمّ اكتشافها بقرطاجة، والتي يعود أقدمها إلى تلك الفترة الزمنية[4].

ومهما يكن من رأي في تحديد زمن تأسيس مدينة قرطاجة، ألا أنه ارتبط بالأسطورة التقليدية التي رواها لنا المؤرخ جيستان[5] (Justin) نقلا عن تيمي (Timée)[6]، ومفادها أن خلافا شديدا قد شبّ بين أفراد الأسرة الملكية في صور (Tyr)، بين الأخوين بيغماليون (Pygmalion) وعليسة (Ulysse) الني لقبت بديدون (Didon) أي الهاربة[7]. عندما أراد أخوها أن يستولي على أموال زوجها المتوفى أشرباص، ففرّت بالمال رفقة حاشيتها وخدّامها مع مجموعة من النبلاء إلى الغرب، حيث نزلت بقبرص

أين كان يُوجد معبد ملقرط[8] (Melkart) فاستقبلها كاهن جونو بحفاوة كبيرة، ثم أخذته معها إلى ساحل تونس[9] بعد عقد اتفاق بينهما على أن يكون منصب الكاهن

---

(1) غانم. (م. ص)، المرجع السابق، ص. 101.

(2) يوسيفوس فلافيوس (ليفيوس)، مؤرخ يهودي عاش في القرن الأول للميلاد (37- 93 م)، كتب "تاريخ اليهود" منذ البدء حتى 63 ق. م، تطرق إلى علاقات الفينيقيين بملك اليهود النّبي سليمان وتاريخ المدن الفينيقية خاصة صور وتناول ظروف تأسيس قرطاجة.

(3) غانم. (م. ص)، تفس المرجع، ص. 101.

(4) Ency. Uni, Op. Cit, p. 305.

(5) Justin, Histoire Universelle, trad. Par : Perrot. (J), et Boitard. (E), Panckoucke, (1873), (2 vol), liv. XVII. 3-6.

(6) Ency. Univ, Op. Cit, p. 306.

(7) يرفض بعض المؤرخين الأسطورة التقليدية التي نقلها لنا جيستان (Justin) حول تأسيس مدينة قرطاجة، معتمدين في ذلك على الاعتبارات التالية: الشواهد التاريخية التي لم تُشر إلى وجود أية خلافات بين صور وقرطاجة، تأسيس قرطاجة تم عن طريق إرسال وفد من الأرستقراطية الفينيقية وعلى رأسه الأميرة عليسة، والمكانة التي كانت تتمتع بها المدينة عند صور واستمرار العلاقات الوطيدة بينهما طوال الزمن. يجعلنا نرجح أن يكون تأسيس قرطاجة تم بشكل رسمي من قبل صور.
انظر: Gsell. (S), Op. Cit, p. 82 ; Fantar. (M. H), les Phéniciens, p. 88.

(8) Gsell. (S), Loc. Cit ; Fantar. (M. H), Loc. Cit.

(9) Pline. His- Nat. V, 56.

الأكبر له ولخلفه من بعده، ثم نزلت في ساحل صالمبو (Salammbô) بتونس، أين استُقبلت بحفاوة كبيرة من طرف السكان[1].

وتروي الأسطورة أيضا أن الأميرة الفينيقية قد طلبت من الأمير الليبي حيرباص (Hiarbas) أن يمنحها قطعة من الأرض تقيم عليها مع مرافقيها. فأعطاها جلد ثور لتحديد قطعة الأرض التي تناسبها، وإذ ذاك قامت بتقطيع ذلك الجلد إلى أشرطة رقيقة وطويلة فأحاطت بها مساحة واسعة من الأرض، تسعها ومن هاجروا معها[2].

أثار جمال الأميرة الفينيقية عليسة (Ulysse) إعجاب الأمير الليبي حيرباص فعرض عليها الزواج، لكنها رفضت طلبه، وفضلت أن تنتحر وفاء لذكرى زوجها بأن أضرمت نارًا ورمت بنفسها فيها[3].

استطاعت قرطاجة أو قرط حدشت (أي المدينة الحديثة) التي أسّستها عليسة، أن تتطوّر بسرعة لتتزعم وتقود المُدُن الفينيقية في غربي المتوسط، فكان لها أن تلعب دورا هامّا في التاريخ الحضاري والسياسي لمنطقة البحر المتوسط عموما وإفريقيا الشمالية على الخصوص.

ب) وصف مدينة قرطاجة:

لم يكن اختيار الفينيقيين لبناء مدينتهم الجديدة، قرط حدشت، اختيارا عشوائيا وإنما كان لمعرفتهم الجيدة بالمنطقة كما يبدو، حيث يعد موقع قرطاجة من بين أهم المواقع الإستراتيجية الفينيقية في شمال إفريقيا[4]. وسبق تأسيس قرطاجة الكثير من المراكز والمحطات التجارية على السواحل الإفريقية، وكانت بيرصة (Byrsa) (أقدم حي في قرطاجة) التي تقع على الساحل التونسي النواة الأولى للمدينة التي يعود استيطانها إلى نهاية القرن الثاني عشر ق.م[5].

---

(1) غانم. (م. ص)، نفس المرجع، ص. 102.

(2) Justin, His. Uni, t. 2, liv. XIX, 1.2.

(3) Ibid. liv. XVIII, 6.

(4) يُعتبر المكان المُختار لتأسيس مدينة قرطاجة وسط الطريق بين شرق وغرب المتوسط، كما يحتوي على كثير من الرؤوس، مثل رأس ديماس (ثبسوس)، رأس الدّار (كاب بون)، الرأس الأبيض. انظر: Gsell. (S), H.A.A.N, t. 1, p. X.

(5) Fantar. (M. H), visite de Carthage, Maison tunisienne d'édition, Tunisie, (1973), p. 05-06.

وتقع مدينة قرطاجة في عمق خليج تونس على شبه جزيرة، يحدّها من الشرق البحر المتوسط وبحيرة تونس جنوبا أما من جهة الشمال سبخة الريانة (Eriana) التي تمثل عمق خليج أوتيكا (Utique)، وتحيط الروابي بالمدينة من جهة الغرب[1]. ويُبيِّن ذلك المهارة الكبيرة والمعرفة الدّقيقة التي كان يتمتّع بها الملاّحون الفينيقيون في القدرة على اختيار المواقع الإستراتيجية الممتازة للتجارة والاستيطان كما سبقت الإشارة إليه. (انظر: الملحق رقم (01).

تمتدّ مدينة قرطاجة على شكل مثلث قاعدته البرزخ على اليابس وقمّته رأس بوسعيد الذي يرتفع بحوالي 130 م عن سطح البحر[2]، وتعد مدينة قرطاجة مُحصّنة طبيعيا من كل الجهات، بالمياه والجبال، ولها ميناءين على طراز الموانئ الفينيقية، ميناء حربي وآخر تجاري يتصلان عن طريق قناة بلغ طولها 20 م، ويبدو أن الميناءين قد أسّسا بعد القرن الثالث ق.م[3]، ويحيط بالمدينة ثلاثة أسوار دفاعية بلغ طولها حوالي 34 كلم[4]، وتعد هذه الأسوار من أهمّ المنشآت الدفاعية القرطاجية، وتتقاطع عند البرزخ الضّيق لتترك فتحة للدخول والخروج. وكان لهذه الأسوار دور كبير في الدفاع عن قرطاجة في الأوقات العصيبة التي مرّت بها المدينة خلال تاريخها الطويل[5].

كانت مدينة قرطاجة مقسمة إلى أحياء ثلاثة[6]، فحي بيرصا (Byrsa) الأقدم من حيث النشأة، ثم يليه حي صالمبو (Salammbô) وأخيرا حي ميغارة (Mégara) (انظر: الملحق رقم (02))، وهذه الأحياء مقسّمة بدورها حسب الدّرجة الاجتماعية. ويتفرع عنها شوارع ضيّقة تؤدي إلى الساحة العامّة[7]، وكانت الشوارع مرصوفة بالحجارة، وعلى حوافّها توجد قنوات لتجميع مياه الأمطار ثم تُصب في خزّانات وصهاريج للاستعمال اليومي، وحول السّاحة العامّة توجد أهمّ المباني الرّسمية للدولة

(1) Ency. Univt, p. 305.
(2) غانم. (م. ص)، المرجع السابق، ص. 94.
(3) Costillière. (Jean-François), les ports puniques de Carthage, www. Jean-François Costillière / ports. Com.
(4) Ency. Univ, op. cit, p. 306.
(5) Picard. (C), Carthage, éd. Les belles lettres, Paris, (1951), p. 19.
(6) Warmington. (B. H), op. Cit. p. 140.
(7) غانم. (م. ص)، نفس المرجع، ص. 101.

مثل: مجلس الشيوخ والحكّام ودار الثقافة، ولم تخل مدينة قرطاجة من وجود أبنية ذات طوابق على الطراز المعماري الفينيقي.

وقد عرفت المدينة نموا سريعا، بداية من النصف الأخير من القرن السادس إلى ما بعد القرن الخامس ق.م[1]، حيث شملت مساحة قدّرت بحوالي 25 ألف كلم^2 [2]، فكانت عاصمة لإمبراطورية واسعة الأرجاء بسطت نفوذها على سواحل إفريقيا الشمالية وسردينيا (Sardigne)، صقلية الغربية، جزر البليار (Baléares) وأيضا اسبانيا الساحلية[3]. (انظر: الملحق رقم (01)).

ويبدو أن توفر مدينة قرطاجة على مؤهلات جعلت مدينة صور[4] توكل إليها مهمة رعاية المصالح الفينيقية في غربي المتوسط،، ومن ثم بدأت في بسط نفوذها على المستوطنات والمحطات التجارية الفينيقية القديمة لتتزعمها منذ القرن السّادس ق.م[5].

تمتد المستوطنات الفينيقية التي ورثتها قرطاجة عن الفينيقيين على طول السواحل الغربية للمتوسط في شمال إفريقيا من خليج السرت بليبيا إلى المحيط الأطلنطي كما أضافت قرطاجة إلى هذا الرّصيد القديم العديد من المحطات والمراكز التجارية وقامت بدعم المحطات القديمة لتصبح مُدُنا مزدهرة امتزج فيها السّكان الوافدون من الشرق باللليبيين السّكان الأصليين للمنطقة[6].

ج) <u>تطور قرطاجة</u>:

تطورت مدينة قرطاجة لتصبح عاصمة لإمبراطورية واسعة الأرجاء[7]، ضمّت كثير من المدن القديمة على سواحل غربي البحر المتوسط، ومن أهمّ تلك المُدُن التي تقع على السواحل الإفريقية والتابعة لقرطاجة نجد، طرابلس (Tripoli)، لبدة (Leptis Magna)، لبدة الحالية وصبراتة (Sabratha) بليبيا. أمّا على السواحل التونسية التي

---

(1) بورُنّية. الشاذلي وطاهر. محمّد، <u>قرطاج تاريخ وحضارة</u>، مركز النشر الجامعي، تونس، (1999)، ص. 193.

(2) شنيتي. (م. ب)، <u>الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرّومنة . 146 ق.م -40 م)</u>، م.و.ك، ط 2،(1985)، ص. 55.

(3) Fantar. (M. H), <u>visite</u>, p. 05.

(4) البرغوتي، محمود عبد اللطيف، <u>التاريخ الليبي القديم</u>، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، (1971)، ص. 305 .

(5) Picard. (C), <u>Carthage</u>, pp. 10-12.

(6) أطْلق عليهم أسماء مختلفة منها البربر أو الأمازيغ، وهم قبائل كثيرة تنتشر في مناطق واسعة جدا تتعدّى شمال إفريقيا. وأهمّ هذه القبائل هي النوميدية التي تتصل بها الدراسة، ويمكن أن نضُمَّ لهم الجيتول والمُزولامي، حيث يرى م. ب. شنيتي أنه لا فرق بينها فهم قبيلة واحدة ووجه الاختلاف الوحيد بنها هو اختلاف نمط المعيشة. أنظر: <u>التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي</u>، م. و. ك، الجزائر، (1984). ص ص. 162-167.

(7) Fantar. (M. H), Loc. Cit.

ضمت العاصمة قرطاجة، فتنتشر كثير من المدن الفينيقية – القرطاجية منها: أشولا (Ashula)، لبتيس الصغرى (Leptis Minor) قابس، حدرومت (Hadrumète) سوسه حاليا وكلوبيا (Clopia) شرقا وهي قليبية، أما في الشمال فنجد من أهمّ المدن: أوتيكا (Utique)، دياريتوس (DiaRythus) بنزرت الحالية. وفي الجزائر التي تحتوي على كثير من المدن التابعة لقرطاجة وعلى امتداد سواحلها منها على سبيل المثال سكيكدة (Rusicade)، صلداي (Saldae) بجاية، إيكوزيم (Ikosim) الجزائر العاصمة حاليا، تيبازة (Tipaza)، إيول (Iol) شرشال الآن، إجلجلي (Igilgili) وكرتناس (Carthenas) تنس[1] (انظر: الملحقين رقم (03) و(04))، أما المغرب الأقصى فنجد طنجة (Tanger)، تنيس (Ténes) وليكسوس[2] (Lixus).

استطاعت كل مدينة أن تُكوّن إقليما خاصا بها تَوسَّع شيئا فشيئا على حساب أراضي السكان النوميديين، خاصّة بعد القرن الخامس ق.م[3]. القرن الذي غيّرت فيه قرطاجة سياستها تجاه إفريقيا، فبعد ثورة المرتزقة (238–237 ق.م) قام حملكار برقة (Hamilcar Barca) بتوسيع الأراضي القرطاجية، ثم قام من بعده أزذربعل (Asdrubaal) بإخضاع نوميديين وضمّ أراضيهم للدولة القرطاجية، وفرض عليهم دفع الضريبة لقرطاجة[4].

وشملت الدولة القرطاجية إقليم الشورة (Chora) (أي المدينة قرطاجة الذي يشمل شمال و شرق تونس اليوم)[5]، بالإضافة إلى المناطق التابعة لها على السواحل الغربية للبحر المتوسط. حيث وصلت هذه الدّولة في أقصى توسع لها نحو الجنوب إلى قفصه وصفاقس[6] بتونس، وشملت جميع المدن التي توجد على السواحل التونسية، الجزائرية والمغربية (المغرب الأقصى)، كما كانت قرطاجة تمتلك مراكز متقدمة خارج حدودها المعروفة بالخنادق البونيقية[7].

---

(1) Lapayer. (G), et Pellegrin. (A), Op. Cit, p. 96.

(2) Slim. (M) et autres, Op. Cit, p. 72.

(3) Lapayer. (G), et Pellegrin. (A), Op. Cit, pp. 93- 94.

(4) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 2, p. 96.

(5) بشاري. محمد الحبيب، دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما بين 146ق.م و285 م، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، (2006–2007)، ص. 14.

(6) Albertini.(E), Marçais. (G), Yver. (G), l'Afrique du nord française dans l'histoire, éd. Archat, Lyon, Paris, (1937), p. 42.

(7) Tite-live, Histoire Romaine, trad. Par : Lasser. (E), éd. Librairie Garnier frères, Paris, (1950), XXXVI-LXII, 1-3.

ولعل أهم ما ميّز قرطاجة خلال الفترة الممتدة بين تأسيسها في حوالي 814 ق.م والقرن السّادس ق.م هو تبعيتها لصور في سياستها الخارجية، أمّا في الداخل فكانت فترة أمن واستقرار، فصبت جُلّ اهتماماتها نحو تطوير تجارتها ومُضاعفة مراكزها التجارية عبر سواحل المتوسط[1].

لم تنقل لنا المصادر التاريخية الكثير عن الدّور التاريخي والسياسي الذي لعبته قرطاجة خلال المراحل الأولى من تاريخها الطويل الممتدة ما بين القرنين التاسع والسّادس ق.م، ورُبما يعود ذلك إلى ضعف الدّور السياسي الذي لعبته في البحر المتوسط خلال هذه الفترة (تبعيتها لصور)، ونظرا لانشغالها أكثر بالمجال التجاري[2] فأهمل المؤرخون القدامى من إغريق ورومان ذكره. واكتفت قبل القرن السّادس ق.م أن تكون مُجرّد مستعمرة تابعة لصور إلى غاية 574 ق.م، حيث كانت تدفع الضريبة السنوية لصور ولليبيين[3]، وكانت تُرسل بسفارة سنوية مع الهدايا والقرابين لآلهتها، والنجدات العسكرية في الأوقات العصيبة التي كانت تحتاج إليها صور[4]، لكنها أوجدت لنفسها مركزا سياسيا واقتصاديا خطيرا بعد سقوط مدينة صور[5] على يد نبوخد نصر في 574 ق.م[6].

لا شك أن قرطاجة قد امتلكت ما أهلها لتحتل المكانة الخاصة التي أهلتها لها صور، بتركها لها مهمّة الدفاع عن مستعمراتها في غربي المتوسط مع إبقائها تابعة لها، وبوراثة الحضارة الفينيقية في غربي المتوسط، تلك الحضارة التي لم تستطع تكوين إمبراطورية لها في الشرق[7].

وفي بداية القرن الخامس أصبحت قرطاجة القوة البحرية التجارية الأولى في المتوسط، بعد أن أخذت مكانة صور في قيادة المستعمرات الفينيقية في البحر المتوسط، ويعود ذلك لعدة أسباب نذكر منها:

---

(1) Wikipédia. (Encyclopédie libre), internet.

(2) ربّما يكون الحريق الذي أضرمه الرومان إثر انهزام قرطاجة في 146 ق.م قد أودى بمكتبات وأرشيفات كان بإمكان المؤرخين الاستفادة منها، خاصّة بالنسبة لتاريخ المنطقة للفترة السّابقة للقرن الخامس ق.م، حيث تزداد المعلومات التاريخية شحا فالأخبار والروايات التي نقلها لنا المؤرخون الإغريق واللاّتين قليلة وتشوبها الخرّافات والأساطير بالإضافة إلى التحيّز وقلّة الموضوعية.

(3) غانم. (م. ص)، المرجع السابق، نفس المكان.

(4) Gsell. (S), Op. Cit, p. 82.

(5) Bosquet. (G. H), les Berbères, press universitaires de France, Éd. Que sais-je?, (1974), pp. 32-33.

(6) Cintas. (P), Manuel, p. 56.

(7) Picard (C), Op. Cit, p. 10.

- الموقع الجغرافي الإستراتيجي الممتاز لمدينة قرطاجة.
- احتواء المجتمع القرطاجي على طبقة ارستقراطية قوية وغنية[1]، وهذا ما دَعّم المستوطنة الجديدة ماديا ومعنويا لتحتل المكانة اللائقة بالمدينة التي ساهم في تأسيسها الأميرة الفينيقية عليسة (Elissa).

وخلال القرن الخامس ق.م أيضا يلاحظ تغيُر السياسة الخارجية القرطاجية، حيث توقف التوسع الاستعماري البونيقي تماما في شمال المتوسط، ولوحظ كذلك تراجع هام في الاستيراد. أمّا على مستوى السياسة الداخلية فإن هذا القرن يعتبر قرن سلام واستقرار المؤسسات السياسية القرطاجية، الشيء الذي سمح للعمل الزراعي بالظهور والتطوّر أكثر[2].

وكان لانهزام قرطاجة، أمام التحالف الإغريقي في معركة هيميرا (Himéra) شمال صقلية سنة 480 ق.م، الحافز الذي دفع بالقرطاجيين إلى التفكير جديا في تكوين قاعدة خلفية لهم، بداية من عاصمتهم قرطاجة لتدعيمها وتوسيعها، فبعد هذه المعركة كان لابد على القرطاجيين أن يعيدوا بناء قوتهم العسكرية[3]، وأن يعززوا دولتهم بتوسيع أراضيها في شمال إفريقيا لضمان استقلالهم الغذائي[4].

وبذلك توسعت الدّولة القرطاجية نحو الشرق لتصل إلى قورينة (Cyrénaïque)، ونحو الغرب لتصل إلى جنوب المغرب الأقصى (انظر شكل رقم: (01)، على غرار العاصمة قرطاجة قامت المدن التابعة لها بالتوسع أيضا. ما سمح لها بالتحكم أكثر في موارد القارّة، وبشكل خاص العاج والذهب[5]. والواقع أن قرطاجة لم تَتَّبع سياسة التوسع المباشر عن طريق استعمال القوة العسكرية، وإنما عن طريق عقد اتفاقيات مختلفة مع الأمراء النوميديين المحالفين والتابعين لها[6].

وفي سبيل تعويض الخسائر الاقتصادية الناتجة عن فقدانها لمستعمراتها في جنوب غربي أوربا، في إطار الصراع الذي شبّ بينها والإغريق، ومن أجل البحث

(1) Mansouri. (H), Op. Cit, pp. 11-12.
(2) Picard (C), Op.. Cit. p. 10.
(3) Picard (C), Loc. Cit.
(4) Mansouri. (S), loc. Cit.
(5) Mansouri. (S), Ibid. p. 12.
(6) Bosquet. (G. H), Op. Cit, p. 31.

عن مصادر أخرى جديدة لتمويّن تجارتها بالمواد الأولية والبحث عن أسواق جديدة خلال القرن الخامس ق.م[1]، أرسلت رحلتين استكشافيتين بحريتين:

- الأولى : نحو سواحل إفريقيا الغربية بقيادة حانون (Hannon).
- الثانية : إلى شمال أوربا الغربية بقيادة هملكون (Hamilcon)[2].

وبذلك كرست قرطاجة سياستها الخاصّة بإفريقيا فأولت لليابسة أهمية كبيرة بعد أن كانت مهتمة أكثر بالبحر. فأضافت إلى اهتماماتها الاقتصادية القديمة (التجارة والصناعة) الزّراعة كمورد أساسي لضمان أمنها الغذائي، ومن ثَمَّ ظهرت الضياع والحقول والمناطق الزّراعية الواسعة في شمال إفريقيا[3].

لعل التطورات التي شهدتها قرطاجة كانت من بين الأسباب التي جعلتها تنقطع عن دفع الضريبة السنوية التي كانت تقدمها لمدينتها الأم صور (Tyr)، لكن العلاقات الودِّية بينهما لم تنقطع أبدا[4]، فقد استمر القرطاجيون بإرسال الهدايا إلى المعابد الشرقية، على السواحل السورية، ومنها الهدايا التي كانت ترسل إلى معبد ملقرط[5].

وبعد القرن الخامس ق.م امتنعت قرطاجة عن دفع الضريبة المفروضة عليها لليبيين، هذه الضريبة التي تعوّدت على دفعها منذ ما يزيد عن ثلاثة قرون ودون انقطاع، فأدى ذلك إلى نشوب خلافات بينها والنوميديين، فتطورت الخلافات إلى حروب خلال سنوات 475-450 ق.م[6]، ثم عاد القرطاجيون إلى دفع الضريبة، لكنهم امتنعوا مرة أخرى عن دفعها ولكن بشكل نهائي، بل إن قرطاجة أخضعت الليبيين المجاورين لها (النوميديين) وأجبرتهم على دفع الضريبة لها.

إن السياسة الإفريقية التي انتهجتها قرطاجة بداية من القرن الخامس ق.م، جعلتها تدرك أكثر من ذي قبل الأهمّية الإستراتيجية والاقتصادية لإفريقيا. ففي المجال الزراعي وبدل الاعتماد على النوميديين[7] في تأمين غذائها، قامت بضَمِّ مناطق نوميدية جديدة منها مناطق غرب تونس، وفي المجال التجاري أرسلت بالرحلات

---

(1) Lapayer. (G) et Pellegrin. (A), Op. Cit. p. 96.
(2) Pline l'ancien, His. Nat, liv. II. 169.
(3) Schmidt. (W), l'empire carthaginois, Éd. Société nouvelle d'imp. et d'Éd. Paris, (1939), 15.
(4) Ferdjaoui. (A), les stèles puniques de Constantine, rappel, IV, Paris, (1988), p .290.
(5) Diodore de Sicile. Bib. His, liv. X. 14.
(6) Schmidt. (W), Loc. Cit.
(7) كانت قرطاجة تعتمد في أمنها الغذائي على مستعمراتها في صقلية، ولم يكن الاعتماد كبيرا على الأراضي الإفريقية.
انظر: بشاري. (م. ح)، المرجع السابق، ص. 12؛ 41-42.

الاستكشافية نحو السواحل الشمالية الغربية لأوربا، وإلى الجنوب عبر السواحل الجنوبية الغربية للمغرب (الأقصى) بحثا عن المواد الأولية وموارد جديدة خاصّة المعادن بالإضافة إلى العاج ،التبر والجلود.

د) صراع قرطاجة ضد الإغريق والرومان:

كان لمحاولات التوسع القرطاجي في السواحل الجنوبية لأوربا والجزر التابعة لها في إطار التنافس التجاري والسياسي دافعا لدخول الدّولة القرطاجية في صراع مرير وطويل الأمد ضدّ الإغريق بين (480–264 ق.م) أوّلا، ثم ضدّ الرومان خلال الفترة الممتدة بين (264–146 ق.م)[1] في مرحلة ثانية وأخيرة.

وقبل تاريخ 480 ق.م اشتدّ التنافس التجاري بين الإغريق والقرطاجيين، وأفضى ذلك إلى تحالف القرطاجيين مع الأوتروسك ضدّ الإغريق في معركة ألاليا (Alalia) عام 535 ق.م[2]، ثُمّ عمد القرطاجيون بعد ذلك إلى طرد الإغريق من جنوب إسبانيا، ووقفوا في وجه توسع المراكز الإغريقية في قورينة بليبيا، وذلك بمنعهم لدوريوس (Dorius) بن ملك إسبرطة من التوسّع التجاري على سواحل ليبيا باتجاه خليج السرت غربا سنة 501 ق.م[3]. غير أن الأسطول القرطاجي قد تلقى ضربات قاسية لأول مرة في معركة هيميرا التاريخية في سنة 480 ق.م، والتي كان لها وقع كبير على تغيير سياستها فيما بعد[4].

أقامت قرطاجة علاقات مع الرومان منذ نهاية القرن السّادس ق.م. وذلك عن طريق إبرام معاهدات تجارية وتمثلت في : معاهدة 509 ق.م، معاهدة 348 ق.م وأخرى في 306 ق.م والتي كانت لصالح قرطاجة. أمّا معاهدة 278 ق.م فكانت عسكرية، ومن ثم تداخلت مصالح الدولتين[5] فدخلتا في صراع مرير أُطلق عليه مصطلح الحروب البونيقية (Les guerres puniques)، التي بدأت في سنة 264 ق.م

---

(1) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 2, pp. 460-464.

(2) Warmington. (B. H), op. Cit, p. 46.

(3) غانم. (م. ص)، المرجع السابق، ص. 59.

(4) نفس المرجع، ص. 61.

(5) Picard. (Ch. G), la civilisation de l'Afrique romaine, Paris, (1959), pp. 69-70.

ولم تنته إلا بنهاية قرطاجة نفسها في سنة 146 ق.م على يد سيبيون الإميلي (Scipion Emilianus).

هذا الصراع الذي بدأ باحتلال قرطاجة لمدينة مسّينا (Messène) بصقلية سنة 264 ق.م، واستمرت هذه الحروب إلى غاية 241 ق.م كمرحلة أولى من هذا الصراع. وكان احتلال مدينة ساقنتة[1] (Sagonte) في 219 ق.م بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل المرحلة الثانية من الحروب البونية بين سنوات (218-202) ق.م، تعد هذه المرحلة من أقسى وأعنف مراحل هذا الصراع والتي برز خلالها القائد القرطاجي المحنك حنبعل (HanniBaal) الذي وصل بجيوشه إلى روما وهدّدها[2]، لكن تغير الإستراتيجية الحربية الرومانية بنقلهم الحرب إلى شمال إفريقيا جعل قرطاجة تهزم وتقبل بشروط معاهدة زاما (Zama) في 202 ق.م. وكان لماسينيسا فيها دور كبير حيث وقف إلى جانب الرومان[3]. وكذلك نُقلت تلك الحروب إلى شمال إفريقيا خلال الحروب البونية الثالثة بين 149-146 ق.م التي لم تدم سوى ثلاث سنوات، إذ انتهى فيها هذا الصراع بتدمير قرطاجة.

كان التطوّر الذي وصلت إليه قرطاجة (الذي هدد المصالح الإستراتيجية الرومانية التي كانت تتطلّع في المنطقة) الدافع الذي جعل روما تقرر تحطيم قرطاجة ونهائيا[4]. فمقولة كاتوس[5] (Catus) " هذه الخيرات قريبة منكم" مشيرا إلى ثمار التين التي كانت بيده وكان قد احضرها من بلاد القرطاجيين، ومقولة يوليوس قيصر[6]: "أتيت ببلد يستطيع أن يزود روما بمقدار 840 ألف قنطار من القمح"، وذلك أثناء الاحتفال بالانتصار الذي أحرزه في إفريقيا وامتلاكه لنوميديا عام 46 ق.م، كما كانت روما تأخذ حاجاتها من القمح من الولاية القرطاجية ونوميديا[7].

---

(1) وهي مدينة مورفيدو بإسبانيا حاليا، والتي تقع خارج حدود النفوذ الروماني حسب معاهدة 278 ق.م بين الطرفين.

(2) انظر: Decret. (F), Carthage, Op. Cit, p. 184.

(3) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 3, Paris, (1918), pp. 142- 149.

Tite-live, His. Rom, liv. XXIV, 48- 49.

(4) شنيتي، (م. ب)، التغيرات، ص. 85؛ 319؛ 321.

(5) كاتوس أو كاتو (Catus, Caton) من نبلاء مجلس الشيوخ الروماني. زار المنطقة عام 153 ق.م لمعاينة الوضع المتوتر بين قرطاجة والملك ماسينيسا، لاحظ التطوّر الزراعي الذي وصلت إليه قرطاجة، فأدرك بسرعة الخطورة التي سوف تجدها روما مع القرطاجيين إذا لم تسرع يوضع حد لها، فحثّ مجلس الشيوخ على موافقة فكرته القائلة بضرورة تحطيم قرطاجة (delende est Cartagho).

(6) شنيتي. (م. ب)، نفس المرجع، ص. 85.

(7) شنيتي. (م. ب)، المرجع السابق، ص.99.

ولم تنته هذه الحروب إلا بنهاية قرطاجة نفسها في سنة 146 ق.م وذلك بتدميرها من قواعدها، حرقها، ثم فرش أرضها ملحا وبيع من بقي، من سكان المدينة، على قيد الحياة في سوق العبيد، على يد القائد الروماني سيبيون الإيميلي (Scipion Emilien)، وكتب ج. بيكار[1] (Picard. G) عن هول ما حدث لقرطاجة قائلا:« لقد بقي هذا العمل في ذاكرة السكان كمثال مُرعب للتدمير الشامل لشعب ومحاولة إفناء حضارة بكاملها».

وقد أكدت المكتشفات الأثرية التي عُثر عليها في قرطاجة على عنف وشدّة الحريق الذي تعرضت له هذه المدينة، حيث دلّت الحفريات عن وجود طبقة سميكة من الرماد، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يكتبون عن الهدف الحقيقي لتدمير قرطاجة ما يلي[2] :« لم تقتل روما في إفريقيا راشدا حضاريا هو الحضارة القرطاجية، إنها قضت كذلك على جرثوم حضارة لا يمكن أن تتنبأ بما كان قادرا على خلقه، جرثوم حضارة نوميدية محتملة »[3].

ولعلّ من بين أهمّ فصول الصراع الذي خاضته قرطاجة أيضا هو الصراع الداخلي الذي كان بينها وبين النوميديين بسبب تغير سياستها تجاه نوميديا في محاولاتها وضع حد لالتزامها بدفع الضريبة عندما قاد القائد القرطاجي مالخوس خلال القرن السادس ق. م حملات عسكرية ضد النوميديين، وتواصلت هذه الحملات في الربع الأخير من القرن السادس بقيادة عزر بعل، وامتناعها عن دفع الضريبة السنوية نهائيا بعد معركة هيميرا، وبسبب محاولاتها التوسع على حساب أراضيهم[4]. فكانوا يثورون ضدّها كلّما سنحت الفرصة بذلك وربّما كان ذلك دافعا لانقلاب الأقليد ماسينيسا ضدّها، الأمر الذي أرجعه المؤرخون إلى نكثها بعهدها بتزويجه سوفونيزبة[5].

---

(1) Picard. (G), le monde de Carthage, Éd. Coréa, Paris, S.D, p. 76.

(2) Picard. (Ch. G), Flaubert, Carthage et l'archéologie contemporaine, revue de Paris, (1956), p. 108.

(3) أندري. بريان ،أندري. ف، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: استمبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، (1984)، ص. 59.

(4) بورنية. (ش)، وطاهر. (م)، المرجع السابق، ص. 196.

(5) Justin, XXX, 2- 4.

2) أوضاع نوميديا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث ق. م:

يَعْتَرِضُ الباحثين في تاريخ نوميديا مشكلة عويصة يصعب حلّها، تتمثل في سكوت المصادر المكتوبة عن الفترة الممتدة ما بين القرن الثاني عشر والقرن الثامن ق. م، ما يترك فراغا مهولا في تاريخ المنطقة، وعليه فإن المؤرخين يربطون دخول المنطقة الفترة التاريخية ببداية نزول الفينيقيين على سواحلها[1]، وهذا ما جعل أ. بيغانيول[2] (A. Piganiol) يقول:« يبدو أن شمال إفريقيا هي المنطقة الوحيدة في المتوسط التي بقي فيها العصر الحجري أطول مدّة زمنية. ولم يبدأ العصر المعدني إلاّ مع قدوم الفينيقيين إلى هذه المنطقة في حوالي 1000 ق.م»، أمّا ا. ف. غوتيه (E. F. Gautier) الذي تميزت كتاباته بالنظرة غير الموضوعية ذات النزعة الاستعمارية فيصف النوميديين في "كتابه ماضي إفريقيا الشمالية"[3] بوصف غير لائق حيث يقول عنهم «أنصاف المتوحشين» وهذا ما يؤكد أن بعضا من الكتابات الأجنبية قد حملت نظرة استعمارية تعصبية ميزها الاحتقار والاستعلاء على سكان المنطقة.

وعليه فإن هذا الفراغ يتركنا نطرح الكثير من التساؤلات التي تستوجب أيجاد حلول لها، ما يدع مجالا واسعا للتكهنات التي يصعب تأكيدها.

ولعل احتراق مكتبة قرطاجة في 146ق.م من قبل العسكريين الرومان كان قد أودى بكثير من المعلومات التي احتوتها كُتُبها عن هذه الفترة التاريخية وما بعدها، فحرمت الإنسانية من الاستفادة منها. وفي ظل فقدان تلك الكتب لابد من تعويض ذلك بمحاولة استنطاق المادة الأثرية الموجودة في نوميديا من نقوش ورسومات وفخاريات من قبل المختصين لملء هذا الفراغ[4].

أما الفترات اللاحقة فنجد نقصا كبيرا في معلومات المصادر التي تناولت تاريخ المنطقة، بالإضافة إلى تحيزها، ولذلك فلابد على الباحث أن يتوخى الحذر ويتحلى بالموضوعية والدقة في استغلال المادة التاريخية التي احتوتها تلك المصادر والكتابات.

---

[1] من المعروف أن الحد الفاصل بين العصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ هو اكتشاف الكتابة، ويرى المختصون أن الليبيين لم يعرفوا الكتابة ألاّ مع دخول الفينيقيين إلى بلاد المغرب القديم مع نهاية القرن الثاني عشرة ق. م.

[2] Piganiol. (A), la religion et les mouvements sociaux dans le Magreb antique, cahier d'Histoire mondiales, Vol. III, (1957), p. 814.

[3] P. 117.

[4] شنيتي. (م. ب)، الاحتلال، ص ص. 17- 20.

أ) المماليك النوميدية:

لا نملك من الأدلة المكتوبة والأثرية ما يؤكد وُجود ممالك نوميدية قبل القرن الثالث ق.م، ولكن تناول المصادر[1] وبشكل مفاجئ مملكتين نوميديتين: مملكة نوميديا الشرقية (ماسيليا) في القسم الشرقي ومملكة نوميديا الغربية (ماسيسيليا) في القسم الغربي من بلاد النوميديين (انظر: الملحق رقم (05))، ما يُرجح وجودهما قبل هذه الفترة بزمن. فليس من المعقول أن تصل هاتين المملكتين إلى التطور الذي وصلتا إليه في نهاية القرن الثالث والقرن الثاني ق. م، وأن يكون لهما دور فعّال في التأثير على القوى السياسية في البحر المتوسط (قرطاجة وروما) دون أن يكون لذلك التطور جذور تاريخية.

- مملكة نوميديا الشرقية (الماسيل):

تعود أقدم الأخبار التي نقلتها المصادر المكتوبة عن مملكة الماسيل إلى نهاية القرن الرابع ق. م، حيث تم الإشارة إلى اسم أمير نوميدي يدعى يلماص كان قد تحالف مع أغاثوكليس ضد قرطاجة عند غزوه لإفريقيا سنة 310 ق. م[2]، كما ورد في نقش دوقا المزدوج اللغة اسم حاكم نوميدي يدعى يزلماسن، وكان يحمل لقب شوفيط[3] (قاضي)، ولا نعرف بالضبط إن كان أميرا نوميديا مستقلا في حكمه لدوقا أم أنه كان يحكمها باسم قرطاجة ؟ ولكن من خلال اللقب[4] الذي كان يحمله نجد أن التأثير القرطاجي واضح فيه، وذكرت المصادر التاريخية[5] أن غايا (Gaia) حكم دوقا وحمل أيضا لقب شوفيط حيث ذكر تيت ليف[6] أن هذا الملك كان قد استولى على مقاطعة

(1) Polybe, Histoire, tra. Par: Roussel. (D). collection Pliéad, (1970), III, 33, 15.
(2) Diodore, Bib. Hist, XX, 17-1 ; Camps. (G), Massinissa, p. 117.
(3) Marcy. (M. G), les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord, Paris, (1936), p. 46.
(4) Diodore, XXIV, 48-49 ; Camps. (G). op. Cit, p. 89.
(5) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 3, p. 86.
(6) Tite live, Histoire Romaine, trad. par : Lasser. (E), éd. Librairie Garnier frères, Paris, (1950), XXIX, 29, 6-7.

قرطاجية ثم أعادها لها الملك سيفاكس فيما بعد، وعلى كل فإن معالم مملكة نوميديا الشرقية السياسية والاقتصادية لم تتضح إلا مع قدوم العاهل النوميدي ماسينيسا.

كانت هيبوريجيوس عاصمة المملكة الأولى ثم أصبحت زاما[1] و قيرطا فيما بعد، أما بخصوص امتداد هذه المملكة فإن حدودها لم تضبط بشكل مؤكد، ولا نملك من المعلومات الكافية والمؤكدة عنها ما جعل المؤرخين لا يحددون المجال الجغرافي الذي شملته مملكة نوميديا الشرقية بدقة، ذلك أن حدودها الشرقية المتاخمة لأراضي قرطاجة كانت تتسع في بعض الأحيان وتتقلص أحيانا أخرى، وعلى كل فيبدو أن نوميديا الشرقية كانت تمتد من الحدود القرطاجية شرقا إلى الوادي الكبير غربا شاملة منطقة الأوراس والشرق القسنطيني الظهر التونسية والجزء الأكبر من مجردة الوسطى والأراضي المحاذية للسرت الصغرى[2].

- مملكة نوميديا الغربية (المازسيل):

تعتبر حدود مملكة نوميديا الغربية أكثر وضوحا من سابقتها، حيث تمتد من وادي الملوية غربا إلى غاية النهر الكبير شرقا[3]، أما عاصمتها فكانت سيقا(Siga)[4]. تعود أقدم النصوص التاريخية التي ذكرت هذه المملكة إلى نهاية القرن الثالث ق. م، حوالي 213 ق. م، حيث أشار بوليب[5] (Polybe) "بأن نوميديا الغربية كانت حليفا قويا لقرطاجة، وأن النوميديين الغربيين كانوا يشكلون معظم الجيش القرطاجي المحارب في إسبانيا" .

لم تكن العلاقات بين الجارتين النوميديتين، الشرقية والغربية[6]، ودية ويتجلى ذلك من خلال النزاعات التي نشبت بينهما خاصة في عهد ماسينيسا وسيفاكس، وليس من المعروف تماما الأسباب التي أدت إلى نشوب تلك الخلافات التي يمكن أن تكون جذورها قديمة (صراع القبائل النوميدية قبل نشأة الممالك الوطنية) ثم تطورت هذه

---

(1) حارش. محمد الهادي، التطوّر السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203- 46 ق. م، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ جامعة الجزائر، (1985)، ص ص. 66- 78.

(2) Decret. (M), et Fantar. (F), Op. Cit, p. 100.

(3) Gsell. (S), H. A. A. N, t. 5, pp. 179- 180.

(4) Camps. (G), Massinissa, pp. 168-169.

(5) III, 33, 15.

(6) شنيتي. (م. ب)، الاحتلال، ص. 21.

الخلافات عندما وجدت من يعمقها من قرطاجيين ورومان لخدمة مصالحهما في المنطقة، وقد أسفرت عن سقوط سيفاكس في قبضة ماسينيسا وضم مملكة نوميديا الغربية إلى مملكته بين 203–202 ق. م[1] لتصبح نوميديا كلها تحت حكم ماسينيسا الذي استطاع تطويرها إلى حد جعل المؤرخين يرجعون إليه الفضل في استقرار القبائل النوميدية ودخول الزراعة إلى نوميديا[2].

وأمام قلة المعلومات التاريخية الخاصة بظروف بنشأة الممالك النوميدية وتطورها قبل القرن الثالث ق. م، فإن البحث والتعمق في هذا الموضوع يصبح أمرا صعبا جدا ويحسن بنا ترك الموضوع ريثما تسفر المكتشفات الأثرية عن ما يفيد الباحثين في هذا المجال.

ب) <u>القبائل النوميدية</u>:

عرفت شمال إفريقيا النظام القبلي الذي يعتمد على القبيلة، التي تتكوّن من أفراد وعائلات ذات الجد المشترك، والتي تمثل الخلية الأساسية لكل حياة اقتصادية، اجتماعية، دينية، وسياسية. وظهرت أول الممالك الليبية باتحاد عدة قبائل تحت سلطة أقليد (Aguellid) (ملك)[3]، وكانت معظم تلك القبائل غير مستقرة (بدو رحل)، ولعل ما قام به العاهل النوميدي ماسينيسا (Massinissa) من جهود في المجال الزراعي هو ما جعل بعض المؤرخين يعتقدون أنه هو الذي دفع بها إلى حياة الاستقرار[4].

وللإشارة فإنه لم يكن هناك أي فرق بين تلك القبائل المختلفة المواطن في الجانب العرقي، حيث كانت بنياتها الاجتماعية ومكوناتها المادية والمعنوية متشابهة، وعلى العكس فالدلائل تشير إلى أن قبائل المنطقة الشرقية من نوميديين وجيتول تمثل وحدة سياسية، ولم يكن هناك فرق بينها سوى في نمط معيشتها ومناطق نفوذها[5].

---

(1) شنيتي. (م. ب)، المرجع السابق، نفس المكان.

(2) غانم. (م. ص)، <u>معالم التواجد الفينيقي البوني الجزائر</u>، دار الهُدى للطباعة والنشر الجزائر، (2003)، ص. 248..

(3) Mahdjoubi. (S), <u>Histoire de la Tunisie</u>, Maison Tunisienne d'édition, (S. D), p. 107.

(4) Trousset. (M), <u>Monnaies anciennes de l'Afrique trouvée a Tiddis</u>, R.S.A.C, Vol. LXVI, (1948), p. 36.

(5) شنيتي. (م. ب)، <u>التغيرات</u>، ص ص. 153- 182.

لم يظهر النوميديون على الخارطة السياسية لشمال إفريقيا إلا في فترة تاريخية متأخرة نسبيا تعود إلى القرن الثالث ق. م وما بعده، كشعب ذي سيادة على أكبر رقعة جغرافية لبلاد المغرب الأوسط، من حدود قرطاجة شرقا إلى غاية وادي ملوية غربا وتليها مباشرة نحو الجنوب قبائل الجيتول بين الأطلس وتخوم الصحراء[1]. يمثل نص هيرودوت عن الليبيين أقدم النصوص الأدبية التي تتكلم عن القبائل النوميدية القديمة، ولكن لا يوجد في هذا النص ما يفيدنا فيما إذا كانت هناك قبيلة يُطلق عليها اسم النوميديين، بيد أنه أورد كلمة نوماد (Nomade) عندما قسم سكان ليبيا إلى قسمين مزارعين مستقرين ورعاة متنقلين[2].

ولم يكن المؤرخون القدماء على ما يبدو يفرقون بين اللفظتين نوميد (Numide) ونوماد (Nomade) حيث كان يعتقد أن كلمة نوميد أطلقت على هذا الشعب بسبب امتهانه الرعي بعد أن أرغمته الحيوانات الضارية على ترك الزراعة وامتهان الرعي[3]، وقد أورد سالوست[4] عن أصل النوميديين أنه يعود إلى الميديين والفرس الذين نزلوا على الشواطئ الغربية لإفريقيا الشمالية واختلطوا بالجيتول ثم توسعوا في البلاد فأطلقوا على أنفسهم اسم النوميد أي الرّحل، وعلى هذا الأساس فإن النوميديين يختلفون عرقيا عن الجيتول بعكس ما يراه م. ب. شنيتي[5] على أن القبائل التي تقع مضاربها خلف مواطن النوميديين(انظر الملحق (06)) وهي قبائل الجيتول والمزولامي لا تختلف مع النوميديين في شيء إلا في مواطنها ونمط المعيشة التي اشتهرت به، ولكن أصولها البعيدة مغربية. ومن الملاحظ اتفاق المصادر الأدبية في قرن التسمية بمعيشة السكان، وعلى كل فقد وردت تسمية نوميد في المصادر الأثرية منها ما جاء في النقوش المزدوجة اللغة التي وجدت بدوقا[6]. وعلى العموم فقد انحدر من هذه القبائل أول الممالك النوميدية.

---

(1) شنيتي. (م. ب)، نفس المرجع، نفس المكان.

(2) Gsell. (S), Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du nord, Hérodote, Paris, (1916), pp. 9-17.

(3) Strabon, Géographie, II, V, 33.

(4) Salluste. La conjuration de Catilina, la guerre de Jugurtha, trad. Et introduction et notés, par : Richard. (E), Paris, (1968), XVII.

(5) شنيتي. (م. ب)، التغيرات، ص. 154؛ 182.

(6) Chabot. (G. B), Recueil des inscriptions libyques, Paris, imprimerie nationale, (1940). Inscription N° 2.

ج) التنظيم السياسي في نوميديا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث ق. م:

تطرح مسألة وجود " تنظيم سياسي مكتمل الشروط "[1] في نوميديا من عدمه كثيرا من التساؤلات التي يتوجب البحث فيها ومحاولة إيجاد إجابات لها، بيد أن المعلومات التاريخية لا توفر لنا الأدلة الكافية عن وجود تنظيم سياسي نوميدي مكتمل الشروط، قبل ظهور قرطاجة على مسرح الأحداث في المنطقة، وهذا لا يعني حتما عدم وجود تنظيم سياسي في نوميديا، وكان صمت المصادر بهذا الصدد سببا جعل بعض المؤرخين الأجانب ينفون وجود أي تنظيم سياسي في المنطقة قبل حلول القرن الثالث ق. م[2].

وعلى كل فيجب على الباحثين توخي الحذر من الفرضية القائلة بعدم وجود أي تنظيم سياسي نوميدي قبل القرن الثالث ق. م، والمؤكد هو وجود تنظيم اجتماعي في المنطقة ولا نستبعد أبدا وجود تنظيم سياسي، ولكن السؤال الذي نطرحه في هذا المجال عن شكل هذا التنظيم هل كان تنظيما قبليا أم إقليميا أو أيا من أنواع التنظيم الأخرى ؟.

وما يدعم رأينا في وجود تنظيم سياسي هو أسطورة عليسة[3] من إشارات إلى أن هناك تجمع بشري تحت قيادة شخص واحد ممثل في شخص يرباص مُفوّض بتسيير شؤون القبيلة أو الإقليم. وإلا فبماذا يُفسر طلب الأميرة عليسة قطعة الأرض والتفاوض بشأن الضريبة السنوية مع شخص لا يمتلك هذا الحق (السلطة لفرض نفوذه) ؟. وفي أي إطار يمكن أن نُفسر دفع القرطاجيين لليبيين ضريبة سنوية إلى غاية القرن الخامس ق. م؟. ولماذا تُكلف قرطاجة نفسها عناء دفع ضريبة خلال عقود من الزمن في حال عدم وجود أي تنظيم سياسي "مكتمل الشروط"[4] في المنطقة ؟. وتجب الإشارة هنا إلى الغموض الذي يكتنف الأسطورة وإلى ما تطرحه من تساؤلات في هذا الشأن. هل كان يرباص رئيس قبيلة أم كان رئيس إقليم؟.

---

[1] شنيتي ، م. ب، الاحتلال، ط. 2، ص ص. 17- 19.
[2] نفس المرجع، ص. 18.
[3] تم أنشاء قرطاجة أساسا على أراض كانت تابعة للقبائل الليبية.
[4] شنيتي. (م. ب)،نفسه، نفس المكان.

وباستثناء ما ذكره جيستان، عند روايته لأسطورة عليسة، من إشارة إلى وجود نوع من التنظيم السياسي المحلي بمنطقة تونس الحالية في أواخر القرن التاسع ق. م، فإن المصادر الأخرى لم تتطرق إلى هذا الموضوع حسب علمنا.

ذكرت المصادر التاريخية بعض الأسماء التي يعتقد أنها تمثل أسماء أوائل الملوك النوميديين، منها اسم يلماس (Yalmas) الذي ورد ذكره عند ديودور الصقلي[1]، حيث يقول:« إن هذا الملك النوميدي تحالف مع أغاثوكليس الإغريقي عندما غزا سواحل قرطاجة في 310 ق. م»، ثم إن المصادر التاريخية ذكرت أسماء أول الملوك النوميديين وهما غايا ملك نوميديا الشرقية سيفاكس ملك نوميديا الغربية[2]. وللإشارة فإنه يبدو أن المصادر ذكرت هذين الملكين لارتباطهما الوثيق بالحروب البونية الثانية (218– 203 ق. م).

وعلى كل فتبقى مسألة وجود تنظيم سياسي في شمال إفريقيا، ذات الأهمية البالغة، معلقة في انتظار ما ستصل إليه البحوث وما ستسفر عنه المصادر المادية التي لم يكشف عنها النقاب بعد، رغم ترجيح الباحثين الوطنيين لوجود تنظيم سياسي مغربي قبل قدوم الفينيقيين[3].

د) التنظيم الاجتماعي في نوميديا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث ق. م:

جاءت أخبار النوميديين في بعض المصادر المكتوبة – على قلتها وتناقضها– منها ما ورد عند المؤرخين الإغريق واللاّتين ويأتي في مقدمتهم هيرودوت (Hérodote) الذي كان مُلما بأخبار ليبيا ومطّلِعا على جوانب من خصائصها الجغرافية والبشرية، وذكر أن بلاد الليبيين قد عرفت نمطان من أنماط المعيشة هما: الرعي والزراعة[4] وتشير الدّرَاسَات الحديثة[5] إلى أن منطقة نوميديا كان يغلب عليها الطابع الرعوي وظاهرة الترحال على الزّراعة والاستقرار[6]، ولم يزل "البربر"

(1) Diodore, Bib. His, XIII, 80.

(2) جوليان. (ش. أ)، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد أمزالي والبشير سلامة، تونس، (1969)، ص. 99.

(3) انظر : غانم. (م. ص)، المساهمة الحضارية البونية في المملكة النوميدية، مجلة الثقافة، عدد. 119، (1999)، ص ص. 75- 87.

(4) Gsell. (S), textes, (1916), pp.9-17 ;p. 181.

(5) Basset. (R), les influences punique chez les Berbères, R.Af. N°308-309,3éme et 4éme Trimester. (1921), p. 6.

(6) شنيتي، محمد البشير، نظرة على الواقع، ص. 11.

تتنازعهم حياة الفلاحة والبداوة الرعوية حتى القرن الثاني عشر ق.م[1]، وأن عاداتهم لم تتغيّر طيلة العصور إلا تغيُّرا يسيرا[2].

وعرف النوميديون تنظيما اجتماعيا اعتمد على القبيلة، حيث كان سكان إفريقيا في هذه الأوقات البعيدة خارج إقليم قرطاجة يتجمعون في إطار قبائل مستقلة، فالقبيلة تمثل الخلية الأساسية لكل حياة اقتصادية اجتماعية دينية وسياسية، وتتحد عدة قبائل تحت حكم ملك أو أقليد (Aguellid)[3] ، وكان معظم تلك القبائل غير مستقرة (بدو رحّل) حيث يُعتقد أن ماسينيسا (Massinissa) هو الذي دفع بها إلى حياة الاستقرار[4]، ولكن هيرودوت كان قد أشار إلى ليبيين مستقرين قبل حكم ماسيميسا بزمن بعيد.

وعرف النوميديون أيضا حياة الاستقرار، حيث سكن الحضر في قرى متواضعة على حد تعبير جوليان ش. أ بُنيت بيوتها من أفصاص من فروع الشجر أو في أكواخ من حجر أو طين[5] وكانت مُدُنهم تعيش في زمن ما قبل التاريخ[6]، ولم تكن تلك المُدُن طيلة دهور سوى فسائل فينيقية غُرست في إفريقيا، ولم تظهر مراكز الأهالي مثل سيرتا إلا عندما أجبر ملوك نوميديا البدو على الاستقرار[7]، ورغم ذلك فان العواصم النوميدية لم تكن سوى قرى متواضعة إذا ما قورنت بمدينة قرطاجة في أواخر القرن التاسع ق.م[8].

---

(1) جوليان. (ش. أ)، المرجع السابق، ص. 32.
(2) نفس المرجع، ص. 75.
(3) Mahdjoubi. (S), Op. Cit, p. 107.
(4) Trousset. (M), le trésor monétaire de Tiddis, R.S.A.C, Vol. LXVI, (1948), pp.128-131.
(5) جوليان. (ش. أ)، نفس المرجع، ص. 73.
(6) Fantar. (M. H), Les Phéniciens, p. 130.
(7) Trousset. (M), Loc. . Cit.
(8) جوليان. (ش. أ)، نفس المرجع، ص. 32.

ومما تقدم يمكن أن نسجل بعض النتائج والملاحظات التالية:

– لم يكن قصد الفينيقيين الاستقرار في شمال إفريقيا وإنما كانت إفريقيا بالنسبة لهم نقطة عبور ومركز استراحة وهم في طريقهم نحو شمال غربي المتوسط بحثا عن المواد الأولية لصناعتهم والأسواق لتجارتهم، لذلك لم يهتموا كثيرا بها، ولكنهم أدركوا أهمية إفريقيا فأسّسوا قرطاجة.

– نظرا لأهمّية غربي المتوسط الاقتصادية قام الفينيقيون بإنشاء مراكز ومحطات تجارية كثيرة، وكان أهمها مدينة قرطاجة، التي أُنشأت بشكل رسمي بإرسال أحد أفراد الأسرة الملكية، وتوكيلها بمهمة رعاية مصالح صور في المنطقة.

– غرفت فترت الاستقرار الفينيقي في شمال إفريقيا نشأة العلاقات المبكرة بينهم والليبيين جعلت منطقة شمال إفريقيا تشهد تحوّلات حضارية.

– تعد فترة التواجد الفينيقي في شمال إفريقيا مرحلة مُهمة في انتقال التأثيرات الفينيقية نحو بلاد المغرب القديم.

– تميز الفينيقيون بمقومات حضارية جعلت الشعوب التي كانت في علاقات معهم تتأثر بها وتستفيد منها في مختلف المجلات الحضارية.

– نظرا لنمو القوة التجارية الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط زادت حاجتهم إلى مراقبتها وحمايتها فتم تأسيس قرطاجة، وسرعان ما تطورت هذه المدينة لتصبح قوة إقليمية مُأثرة في البحر المتوسط بداية من القرن السابع ق.م، وتعزز ذلك بعد سقوط صور في 574 ق.م لتتحول قرطاجة بالتدريج من مدينة شرقية تابعة لصور إلى دولة إفريقية مستقلة، فتوسع إقليمها وتطورت اهتماماتها التجارية إلى عسكرية والاهتمام أكثر بالزراعة.

– إن التطور لاقتصادي والسياسي الذي وصلت إليه قرطاجة جعلها تتصادم بقوى أخرى في غربي المتوسط، فأنتج تصادم المصالح هذا دخول قرطاجة في صراع ضد الإغريق كان نتيجته الالتفات نحو إفريقيا، لتعويض خسائرها في المرحلة الأولى، ثم تُدمر نهائيا في المرحلة الثانية في صدامها ضد الرومان.

– عرف الليبيون (النوميديون) التنظيم الاجتماعي والسياسي منذ فترة مبكرة، ولكن ظهور الممالك النوميدية واتضاح معالمها لم يكن إلا في فترة متأخرة نسبيا.

– تطرقت المصادر المكتوبة إلى الممالك النوميدية نظرا لارتباطها الوثيق بالصراع الذي نشب بين القرطاجيين والإغريق أو القرطاجيين والرومان، ولكن يحتمل أن تعود هذه الممالك إلى فترات سابقة.

– تتميّز الفترة المدروسة بالنقص الشديد للوثائق الأثرية التي يستطيع الباحثون الاستناد عليها لتمكنهم من التعمق أكثر في أبحاثهم، ما سمح لكثير من المؤرخين الأجانب محاولة ملء هذا الفراغ عن طريق الاستنتاج أو التكهن.

الفصل الأول:

الزراعة، المعتقدات الدينية واللغة في قرطاجة ونوميديا قبل القرن الثالث ق.م.

أولا: الزراعة، المعتقدات الدينية، واللغة في قرطاجة قبل القرن الثالث ق.م

ثانيا: الزراعة، المعتقدات الدينية واللغة في نوميديا قبل لبقرن الثالث ق. م.

أولا: الزراعة، المعتقدات الدينية، واللغة في قرطاجة قبل القرن الثالث ق.م

1) الزراعة في قرطاجة قبل القرن الثالث ق. م:

أ- الاهتمام القرطاجي بالزراعة:

كان هدف الفينيقيين الرئيسي في غربي المتوسط هو التجارة وما تَدُرّه عليهم من أرباح طائلة، ولعل هذا ما جعل الملاّحين الفينيقيين ينشغلون عن ممارسة الزّراعة في إفريقيا، وكذلك كان الحال بالنسبة للقرطاجيين خلال زمن طويل. فكيف ومتى بدأ القرطاجيون في الاهتمام بالزّراعة وما هي المعارف التي تمتعوا بها في هذا الميدان؟

لم يُعر الفينيقيون أهمّية كبرى للزراعة في شمال إفريقيا[1]، برغم امتلاكهم خبرات ومعارف واسعة في هذا المجال[2] إذ انصبّت جل اهتماماتهم نحو التجارة. وتتبع القرطاجيون خطاهم هذه في الفترة الممتدة ما بين القرن التاسع والخامس ق. م، ولعل السبب في ذلك يعود إلى قلة العنصر البشري في المستوطنات الفينيقية، وإلى انشغالهم بالتجارة التي كانت تكفل لهم ما كانوا يحتاجونه من غذاء.

ولم تغير قرطاجة سياستها الاقتصادية هاته إلا بداية من القرن الخامس ق.م على إثر الهزيمة التي تلقتها في معركة هيميرا (Himéra) سنة 480 ق.م ومنافسة الإغريق لهم في صقلية وقورينة بليبيا، فأصبحوا حائلا بينهم والمتوسط الشرقي[3]، مما أدى إلى تراجع مواردها الاقتصادية، خاصة التجارية.

ويبدو أن هذه الوضعية الحرجة التي مرت بها قرطاجة دفعتها للتفكير في تغيير سياستها بعدم الاعتماد على التجارة وحدها، بل كان لابد عليها أن تعطي للزراعة المكانة اللائقة بها[4]. وهكذا بدأت قرطاجة في انتهاج ما أطلق عليه " سياسة قرطاجة الإفريقية " منذ هذا القرن، وتكرست هذه السياسة خلال القرون اللاحقة وأخذت في

---

(1) أبو النصر. عادل، تاريخ الزّراعة الليبية القديمة، ط. 1، (1960)، ص ص. 51-58. وكذلك: Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 04.

(2) Gsell. (S),Ibid. p. 06.

(3) غانم. (م. ص)، التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، معهد التاريخ الجزائر (1981-1982)، ص 323.

(4) نفس المرجع، نفس المكان.

توسيع إقليمها شيئا فشيئا، فازدادت مساحتها على حساب أراضي جيرانها الليبيين (النوميديين).

وخلال القرن الثالث ق.م، ضمّ هذا الإقليم: شرقي وجزء من وسط تونس الحالية، وضمّت قرطاجة أيضا جميع المدن الموجودة على السواحل الغربية والشرقية للجزائر[1]، وعلى غرار العاصمة قرطاجة قامت كل مدينة تابعة لها بتوسيع إقليمها، بضم أراض نوميدية جديدة، وإخضاع سكانها لها ومن ثم جعلهم يعملون تحت إدارتها على هذه الأراضي.

بعد انتهاج قرطاجة سياستها الجديدة بدأت تظهر في المجتمع القرطاجي طبقة ارستقراطية تتخذ من أعمال الزّراعة موردا أساسيا في معيشتها[2]، وكانت تعمل على توجيه سياسة الدّولة[3] نحو الاهتمام بالزراعة، ومن ثمّ أخذت الضّياع الواسعة في الظهور والتي كان يشتغل فيها أعداد هائلة من الأيدي العاملة. كانت الضِّياع مُوكلة للنوميديين التابعين لقرطاجة[4].

أشارت بعض المصادر[5] إلى غنى المقاطعات القرطاجية من الناحية الفلاحية، فديودور الصقلي[6] (Diodore de Sicile) يروي لنا "عن ذهول أغاثوكليس (Agathocles) القائد الإغريقي وجنوده مما رأوه من خيرات زراعية ومواشي، عند نزولهم على رأس بونه (Cap Bône) وهم في طريقهم نحو حصار قرطاجة قي سنة 310 ق.م، حيث أبهرتهم تلك القصور الجميلة التي كانت ملكا للارستقراطية القرطاجية، ومن السهول الواسعة المليئة بقطعان الخرفان والبقر والأحصنة".

ويقول شنيتي. م. ب[7] في هذا الصدد: "عندما بدأت الدّولة تهتم بالزّراعة نشأت الحدائق وحقول القمح والكروم وبساتين الزيتون والرمّان". ولعل الازدهار الاقتصادي القرطاجي خاصة في ميدان الزراعة كان من بين الأسباب التي جلبت أطماع روما للقضاء عليها لاستغلال خيراتها، ويدعم هذا الرأي ما قام به كاتو (Caton) عند

(1) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 2, p .95 et suites.
(2) Schmidt. (W), Op. cit, p. 15.
(3) غانم. (م. ص)، التوسع، ص. 116.
(4) شنيتي. (م. ب)، الاحتلال، ص. 100.
(5) Polybe , 1. 7. 2. 9 ;Diodore, XX. 8, 3-4.
(6) Diodore, XX. 8, 3-4.
(7) شنيتي. (م. ب)، التغيرات، ص ص. 99- 102.

زيارته قرطاجة في إطار حل النزاع الذي شب بينه وبين ماسينيسا، حيث شاهد التطوّر والازدهار الزراعي الذي وصلت إليه قرطاجة، فأدرك الخطر الذي يهدد الطموح الروماني في التوسع في المنطقة وأخذ بعضا من تين قرطاجة معه إلى روما لإقناع مجلس الشيوخ الروماني بضرورة تدمير قرطاجة[1].

اهتم القرطاجيون بتطوير المزروعات التي وجدوها في نوميديا بتحسين سلالاتها، كما أدخلوا أنواعا جديدة من المزروعات واهتموا خاصّة بزراعة الأشجار المثمرة كالرمّان، التين، الكرز، الكمثري والكروم. كما اهتموا بتربية الحيوانات من أحصنة وقطعان المواشي من أغنام وأبقار. أما الحبوب خاصّة القمح والشعير فلم يول القرطاجيون عناية كبيرة لهما كنتيجة لتوفرها عند النوميديين بل يمكن لنا القول بأن زراعة الحبوب في الأقاليم القرطاجية كانت من عمل الأهالي[2]، وكانت المناطق المؤهلة لذلك هي: باجه (Béja)، سهول مجردة، حول سوسه، السرت الصغير وبين السرتين[3].

ب) المعارف الزراعية القرطاجية:

قبل أن يكون الفينيقيون بحارة وتجارا، كانوا فلاّحين ممتازين في بلادهم الأصلية على الشريط الساحلي الضيِّق الذي سكنوه بين المتوسط ولبنان في الداخل[4]، وأسسوا مُدُنا زاهرة على السّاحل مثل: صور، صيدا وبيبلوس. كانت هذه المدن تمتلك أراض خصبة وأنهارا منتظمة الجريان[5]، واهتمّ سكانها بالزّراعة، ويؤكد هذا تقديسهم الأشجار كما لم يسبقهم إلى ذلك شعب آخر، فأطلقوا على آلهتهم أسماء الأشجار مثل باروت (Baroute) أي السرو، تمار (Tamar) أي تمر النخيل، ورمّان (Rommane) أي الرمّان[6]. كما كانوا أيضا علماء في ميدان الزّراعة، فشملت

---

(1) شنيتي. (م.. ب)، المرجع السابق، ص. 85.

(2) Camps. Massinissa, pp. 70 74.

(3) بورنية. (ش) و طاهر. (م)، المرجع السابق، ص ص. 256- 258. وأيضا: Gsell .(S), H.A.A.N, t. 4, pp. 1- 11.

(4) الخوري. منير، المرجع السابق، ص. 128.

(5) Ency Univ, t. 5, p. 412 ; Tlitli. (S), La Carthage punique, étude urbaine, Éd. Librairie d'Amerique, Paris, (1978), p. 115.

(6) Ency. Uni. Loc. Cit.

معارفهم كلّ فروع الزراعة، خاصة الحبوب والأشجار المثمرة خاصّة الدوالي وأشجار الزيتون[1].

نقل الفينيقيون معارفهم الزّراعية معهم إلى شمال إفريقيا وتأثر بها القرطاجيون[2]. وبداية من القرن الخامس ق.م الذي شهد تغيّر السياسة القرطاجية، حيث اتجهت نحو الاهتمام أكثر بالزّراعة، ظهرت المناطق الزراعية الواسعة في نوميديا، ومن ثم ظهرت الضياع الواسعة ونشأت فيها الحدائق الجميلة، وحقول القمح وبساتين تنتج الزيتون والرمّان والكمثري والكرز والتين، ومن ثمّ ظهرت الطبقة الاجتماعية المرتبطة بالأرض والتي تعمل لحساب الطبقة الأرستقراطية في أراضيهم التي تشمل آلاف العبيد[3].

ومنّ المزروعات الشائعة لدى القرطاجيين أشجار الزيتون، الكروم، التين والرمَّان وأنواع أخرى من الفواكه والخضروات بالإضافة إلى القمح والشعير[4]، والسمسم (الجلجلان) الذي استخرجوا منه الزيت، وبعض النباتات الطبية[5].

ولم يكن القرطاجيون مهتمين بالزّراعة فحسب، بل كان بعض من الأرستقراطية القرطاجية يمتلكون علما وخبرات كبيرة جدا في هذا الميدان، حيث كانت الزّراعة في قرطاجة تمثل علما حقيقيا[6]، برع فيها علماء كتبوا في الزّراعة أمثال أملكار حانون الخبير الزراعي[7] (Amilcar Hannon)، وماقون[8] (Magon) ورغم أنه لم يصلنا من الأول سوى اسمه، إلا أن الثاني قد اشتهر وذاع صيته، فترجمت أعماله إلى اليونانية واللاتينية[9]، ولكن لم يصل إلينا من عمله هذا إلا نتفا نقلها كتاب آخرون أمثال فارو (Varron)[10].

---

(1) أبو النصر. عادل، المرجع السابق، ص. 45.

(2) Gsell. (S),), H.A.A.N, t. 4, p. 02.

(3) شنيتي. (م. ب)، سياسة الرّومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريتانيا. 146-46 ق. م، م.ك.و، ط. 1، (1982)، ص ص. 100-101.

(4) غانم. (م. ص)، التوسّع، ص. 33.

(5) Gsell. (S), op. Cit, pp. 27-36.

(6) Gsell. (S), Ibid. p. 08.

(7) Slim. (M) et autres, Op. Cit, p. 152.

(8) Ency. Univ. Op. Cit, p. 412.

(9) Pline, XXIII, 22.

(10) Gsell. (S), loc. Cit.

- **ماقون القرطاجي (Magon):**

هو مؤسس الأسرة الماقونية (Magonides)[1] وعالم الزّراعة[2] الذي يعد من بين أحسن من كتبوا في الزّراعة القديمة وأشملهم. فبعد إحراق قرطاجة سنة 146 ق.م على يد سيبيون الإيميلي، ونظرا لأهمية ما جاء في كتابه من معلومات مفيدة قام مجلس الشيوخ الروماني بالاحتفاظ بمؤلفات ماقون الثمانية والعشرون دون غيرها من المؤلفات الأخرى التي احتوتها مكتبة قرطاجة، ثم قرّر ترجمتها[3]. فقد لقبه كوليميل (Columelle) بأب الزّراعة[4].

نال عمل ماقون القرطاجي مكانة خاصّة عند الرّومان، فأسندت ترجمة أعماله لديون كاسيوس الأوتيكي (Dion Casius) أحد أفراد الطبقة النبيلة بأوتيكا، لإتقانه اللغتين اللاتينية والبونيقية. ولم يذكر هذا الأخير إلا عشرين كتابا فقط[5]، كما تُرجم هذا العمل أيضا إلى اللغة اليونانية من طرف كاتب آخر هو سالينوس (Salinus)[6].

يتعلق عمل ماقون بجميع فروع الاقتصاد الريفي من زراعة الأشجار المثمرة من كروم[7]، عنب[8]، رمان[9] والحبوب، هذه الأخيرة التي لم يول لها أهمّية كبيرة، وتناول أيضا تربية الحيوانات من أحصنة، بغال، أبقار[10]، غنم وتربية النحل، وبعض النباتات المفيدة للحقل. وضمّت هذه الكتب جميع فروع استغلال الأرض والاهتمام بها والاقتصاد الريفي والرزنامة الزراعية لمواسم الزرع الحصاد والغراسة[11]، كما تضمّن هذا العمل أيضا بعض النصائح منها: مناشدة أصحابها الأرض بمباشرتها بأنفسهم بدل إسناد إدارتها لعمالها، وقد ورد في إحدى كتاباته "ينبغي على من يشتري أرضا زراعية أن يبيع بيته في المدينة حتى لا تبقى لديه تلك الرغبة التي تدفعه إلى عبادة

---

(1) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, pp. 27- 36.
(2) Gsell. (S),Ibid, t. 5, pp. 28-30.
(3) Gsell. (S), Ibid, t. 4, p. 04.
(4) أبو النصر. عادل، المرجع السابق، ص. 45.
(5) Tlitli. (S), Op. Cit, p. 12.
(6) Gsell (St), Op. Cit, pp. 4- 6.
(7) Columelle, L'économie rurale, trad. Dubois. (L), éd. Panckoucke, Paris, (1948), IV, 4, V, 5-6.
(8) Columelle, I, 4, CX, I,, 3-2 ; V,10 ; Varron, L'économie rurale, trad. Rousselot, éd. Panckoucke, Paris, (1943) I, 41, 6.
(9) Columelle, XII, 5-6.
(10) Varron, II, I, 27 ; Columelle, IV, 37, 3.
(11) Gsell. (S), Op. Cit, t. 4, p. 5; t. 5, pp. 28-30.

(آلهة) منزله في المدينة بدلا من عبادة آلهة الريف والمرء الذي يجد متعة أكثر في مقره في المدينة ليس بحاجة لأن يمتلك أرضا في الريف »[1].

2) المعتقدات الدينية القرطاجية قبل القرن الثالث ق.م:

لا شك أن الديانة كانت تحتل مكانة هامّة في حياة القرطاجيين، والتي تركت لنا عددا لا يستهان به من الآثار المادية، المتعلقة بالمعتقدات الدينية، الموجودة في قرطاجة نفسها أو في المدن البونيقية المنتشرة على طول السواحل المغربية، التي كشفت عنها الأبحاث الأثرية، وتناولها الباحثون الأثريون والمؤرخون بالدراسة والتمحيص، وتتمثل تلك الآثار في بقايا المعابد والنقوش الإهدائية والجنائزية على النصب والتماثيل، وما وُجد في القبور البونيقية من أدوات جنائزية كالتمائم والتماثيل صغيرة.

أ) أصول المعتقدات الدّينية القرطاجية:

تعود أصول المعتقدات الدّينية القرطاجية الأولى إلى الشرق حيث كان يعيش أجدادهم الفينيقيون على الساحل الفينيقي، فالديانة القرطاجية هي الديانة الفينيقية على العموم، ولكن هذه الديانة لم تبق شرقية بحتة، فالفكر الدّيني القرطاجي يتصل بظاهرة الامتزاج (التداخل) الواضح بين عدد من العناصر الحضارية كالليبية، اليونانية، المصرية، الإترورية والإفريقية الزنجية[2].

و«اشتهر الفينيقيون بميلهم إلى النظر إلى الطبيعة وما اشتملت عليه من أسرار وغموض وما كان فيها من ألغاز إلهية، وبإقبالهم على التفكير والاجتهاد في إدراك غوامض الدّين الروحية، فأدى بهم اجتهادهم هذا إلى حرصهم على عبادة الشمس تحت اسم بعل وتانيت القمر»[3]. وكانت ديانتهم هي الديانة الوثنية بوجه عام، وكان لكل مدينة من المدن الفينيقية إلهها الخاص بها.

---

(1) غانم. (م. ص)، التوسع، ص. 116.
(2) الناظوري. رشيد، التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الثالث: المدخل في التطور التاريخي والديني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (1976)، ص ص. 143-144.
(3) الجيلالي. عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة الجزائر، ط. 4، (1980)، ص. 53.

ب) المعبودات القرطاجية:

جلب الفينيقيون آلهتهم الشرقية معهم إلى شمال إفريقيا، وأقاموا لها المعابد في المعمرات التي أسسوها في غربي المتوسط خاصّة في قرطاجة، فأصل ديانة القرطاجيين ومستعمراتهم هي الديانة الفينيقية، لكن هذه الديانة لم تبق شرقية محضة إذ دخلتها تأثيرات محلية ومن ذلك تغير مكانة الآلهة الأنثى حيث أصبحت تانيت بيني بعل (Tanite penè-baal)، أي التي تأتي على يمين بعل[1] أو وجه بعل حمّون، وبعل حمّون (Baal-Hammon) متساويين[2].

وكان القرطاجيون يعتقدون في تعدد الآلهة التي يختص كل منها في جانب مُعيّن، فعبدوا آلهة متعددة منها بعل حمّون، تانيت بيني بعل، وملقرط (Melkart) حامي المدينة إله صور في الأصل[3] الذي شبّهه اليونانيون منذ قديم الزمان بهرقليس[4]، وكان له معبده بقرطاجة، كما كانت كثير من الأسماء تتركب منه أسمه مثل عملقرط وبد ملقرط وكانت ترسل إليه الكثير من الهدايا من قرطاجة[5]. وأشمون (Ashmon) إله الصِّحة الفينيقي، إله صيدا[6]، الذي شُيِّد له معبد في بيرصا منذ أيام تأسيس المدينة في المكان الذي نرى فيه اليوم كنيسة لويس التاسع[7]، ورشف (Rachef) الذي يمثل إله البرق والضوء، عشتارت إلهة الحب والخصوبة، وبعل شمين (إله السماوات)، وكافون، شادرابا، بعل حداد وغيرها من الآلهة، كذلك عبد القرطاجيون الأسرة الفلكية من أجرام سماوية خاصّة الشمس والقمر، ولكن كان أهمّ وأكبر الآلهة القرطاجية على الإطلاق هما بعل حمّون وتانيت بيني بعل[8].

---

(1) Lapayer. (G), et Pellegrin. (A), Op. Cit, p. 126.
(2) Warmington. (B. H), Op. Cit, p. 187.
(3) Conteneau. (G), Op. Cit, pp. 110-111.
(4) Strabon, vol. lII, liv. XVII, 3-14.
(5) صفر. أحمد. ، مدنية المغرب العربي في التاريخ، الدار التونسية للنشر بوسلامة، (1959)، ص. 119.
(6) Conteneau. (G), op. Cit, p. 62.
(7) صفر. أحمد، نفس المرجع، نفس المكان.
(8) Conteneau. (G), Op. Cit. pp. 110-111.

- **بعل حمّون(Baal Hammon):**

كان المعبود القرطاجي الأعظم والأكبر هو بعل حمّون (Baal Hammon)، إله السّماء والزّمن والعالم، يسكن السّماء ويحكم الفصول وهو أبعد من الشّمس لأنه يقيم فوقها، وهو سيِّد الأنصاب[1].

فُسّرت كلمة بعل حمّون بأنها تعني سيد المعابد المحرقة[2]، وهناك من أعطى تفسيرا آخرا لهذه الكلمة على أساس جغرافي فكما يقال بعل صيدون فإن بعل حمّون تعني بعل إفريقيا[3]، ومنهم من ربطه بمقر الإله "بيت إيل" وبذلك فُسِّرت كلمة بعل حمّون بـــ:" سيد الأماكن المقدسة"[4]، كما نجد من فسر كلمة حمّون بأنها تعني الحماية أي أن بعل حمّون هو الإله الذي يحمي عُبَّادَهُ المُخلصين[5].

فكما اختلف الباحثون في تفسير كلمة بعل حمّون اختلفوا أيضا في تحديد أصله، فمنهم من يرى أن أصله فينيقي، حيث عُثر على نقيشة ببيبلوس تعود إلى القرن الحادي عشر ق.م وعليها ذكر اسم "عبد حمّون"[6]، ومنهم من يعتقد أنه إله محلي تبنّاه الفينيقيون والقرطاجيون ليصبح أهمّ المعبودات البونيقية على الإطلاق[7].

أشار ديودور الصقلي إلى تمثال كان موجودا بقرطاجة صنع من البرونز يمثل بعل حمّون، وكان لهذا التمثال يدين متحركتين توضع عليهما الضحايا من الأطفال[8]، كما وصفت الشواهد الأثرية بعل حمّون "سيد الأنصاب" التي عثر عليها في مناطق مختلفة من قرطاجة ونوميديا في صورة شخص عجوز ملتح يرتدي جبة طويلة، جالس فوق عرشه، وفوق رأسه تاج طويل أو قبعة من الريش، ويده اليمنى مرفوعة إلى الأعلى لمباركة المُقربين إليه، أما يده اليسرى فتحمل عصا أو صولجانا مزودا بمقبض وينتهي أحيانا بسنبلة من القمح[9]. (انظر الأشكال رقم: (01)، (02)، (03)).

---

(1) Le Glay. (M), Saturne Africain, Monuments, t. I, Paris, (1961), pp. 256-257.
(2) Le Glay. (M), Loc. Cit.
(3) Le Glay. (M), Les religions orientales dans l'Afrique ancienne d'après les collections du muée S. Gsell, R.M.S.B, 3éme trimestre N°24, (1961), p. 23.
(4) Le Glay (M), Sat. Afr. Mon, p. 440.
(5) Fantar (M.H), Carthage approche d'une civilisation, t. 2, Éd. Alif, Tunisie, (1977), pp. 268-269.
(6) Fevrier (J.G), Essai de reconstitution du sacrifices Molokh, J.A, N°248, Paris, (1962), p. 171.
(7) Le Glay (M), Saturne Africain, Histoire, éd. E. de Bocard, Paris, (1961), pp. 441-442.
(8) Diodore, liv. XX. 14.
(9) Cintas (P), deux compagnes de fouilles a Utique, Karthgo, II, éd. Librairie. C. Clinksiek, Paris, (1951), p. 22.

ويعتبر بعل حمّون المسؤول عن الإنتاج الزراعي الجيّد وعن تلقيح القطعان، وهو الذي يضمن خصوبة[1] العائلات، ولعل هذا هو السبب الذي جعل البونيقيين يقومون بتقديم أبنائهم البكر إلى مذبحه قربانا له في العهد البونيقي عندما كان يُدعى بعل حمّون. هذا العمل الذي منعته روما منعا باتا فعوّض الأطفال بذبح الخراف والكباش أو الثيران[2] (انظر الشكلين رقم (04)، (08)). وكان لبعل حمّون معبد في صالمبو بقرطاجة، كما كان له معبدا عند أبواب كل مدينة مهمّة[3].

- تانيت بيني بعل (Tanit pénibaal):

أما تانيت بيني بعل (Tanite Penè baal) التي كان يُعتقد أنها تسكن فوق القمر[4] فيعتقد بعض المؤرخين أنها لا تمثل وببساطة سوى عشتارت الفينيقية[5]، كما أرجع البعض الآخر أصلها إلى الإلهة المصرية نيث (Neith) مع إضافة تاء التأنيث حسب ما تقتضيه اللغة النوميدية فتغير اسمها إلى تانيت[6]، لكن الشواهد الأثرية تدل على أنها إلهة فينيقية أدخلها الفينيقيون معهم إلى شمال إفريقيا. وقد أخذت تانيت أسماء مختلفة منها ربة وملكة[7] ولكنها نادرا جدا ما أخذت اسم "أدن"[8].

وفسر بعضهم كلمة بيني بوجه أو مقابلة بعل، كما فُسرت الكلمة على أساس المكان أي التي تأتي يمين بعل[9]، وفُسرت هذه الكلمة أيضا بظل بعل أو رفيقة بعل[10].

تدرّجت تانيت في معبد الآلهة القرطاجية، حيث كان التفوق لبعل حمّون على تانيت في المرحلة الأولى، ثم في مرحلة أخرى أصبحت مساوية له في معظم الأحيان

(1) يفصح. نادية، آلهة الخصب البونية النوميدية، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، (2003-2004)، ص ص. 64- 92.
(2) Le Glay. (M), Les religions, p. 23. .
(3) Picard. (G), Le monde, p. 78.
(4) Le Glay. (M), Sat. Afr. His, pp. 256-257.
(5) Parrot (G) et Chipiez (C), Histoire de l'art dans l'antiquité, t. 3, éd. Hachette, Paris, (1883), p. 73.
(6) Fantar (M. H), Carthage approche, t. 2, pp. 252-253.
(7) Lapayer. (M), et Pellegrin. (A), Op. Cit, pp. 129-130.
(8) Corpus inscriptionum simiticarum, par Prima, Paris, (1981)., I, p. 431, N .401, (tab. LVI) ; Fantar (M. H), les stèles épigraphiques du Tophet de Sousse, Reppal. IX, (1995), p. 38.
(9) Lapayer. (M), Op. Cit, p. 126.
(10) Fantar (M. H), Op. Cit, p. 255.

ثم تفوقت عليه بعد القرن الخامس ق.م[1]. وتصاحب تانيت بعل حمّون في النصب والنذر المُقدَّمة لبعل حمّون بشكل يكاد يكون دائما كما تدل على ذلك النقوش والنصب الكثيرة التي عثر عليها في مواقع مختلفة من قرطاجة والمدن البونيقية الأخرى[2].

وتعتبر تانيت بيتي بعل إلهة الخصوبة البونيقية، وكان يُرمز[3] لها بالعديد من الأشكال منها النخلة، الرمّانة، المثلث، الهلال، اليد وامرأة تحمل طفلا (نظر الأشكال رقم: (05)، (06)، (07)).

وعلى كل فإن بعل حمّون وتانيت بيني بعل حاميا إفريقيا، شكلا المعبودين الأكثر انتشارا في شمال إفريقيا وكان لهما معبدين كبيرين في صالمبو (Salammbô) بقرطاجة[4].

(1) Picard. (C), Notes de chronologie Punique : le problème du Siècle, Karthago, XII, (1963-1964), Paris, (1965), p. 26.

(2) C.I.S, t. 1, p. 431.

(3) حول موضوع الرموز الإلهية انظر: يفصح. (ن)، المرجع السابق، ص ص. 146-173.

(4) Fantar.(M. H), visite, p. 24.



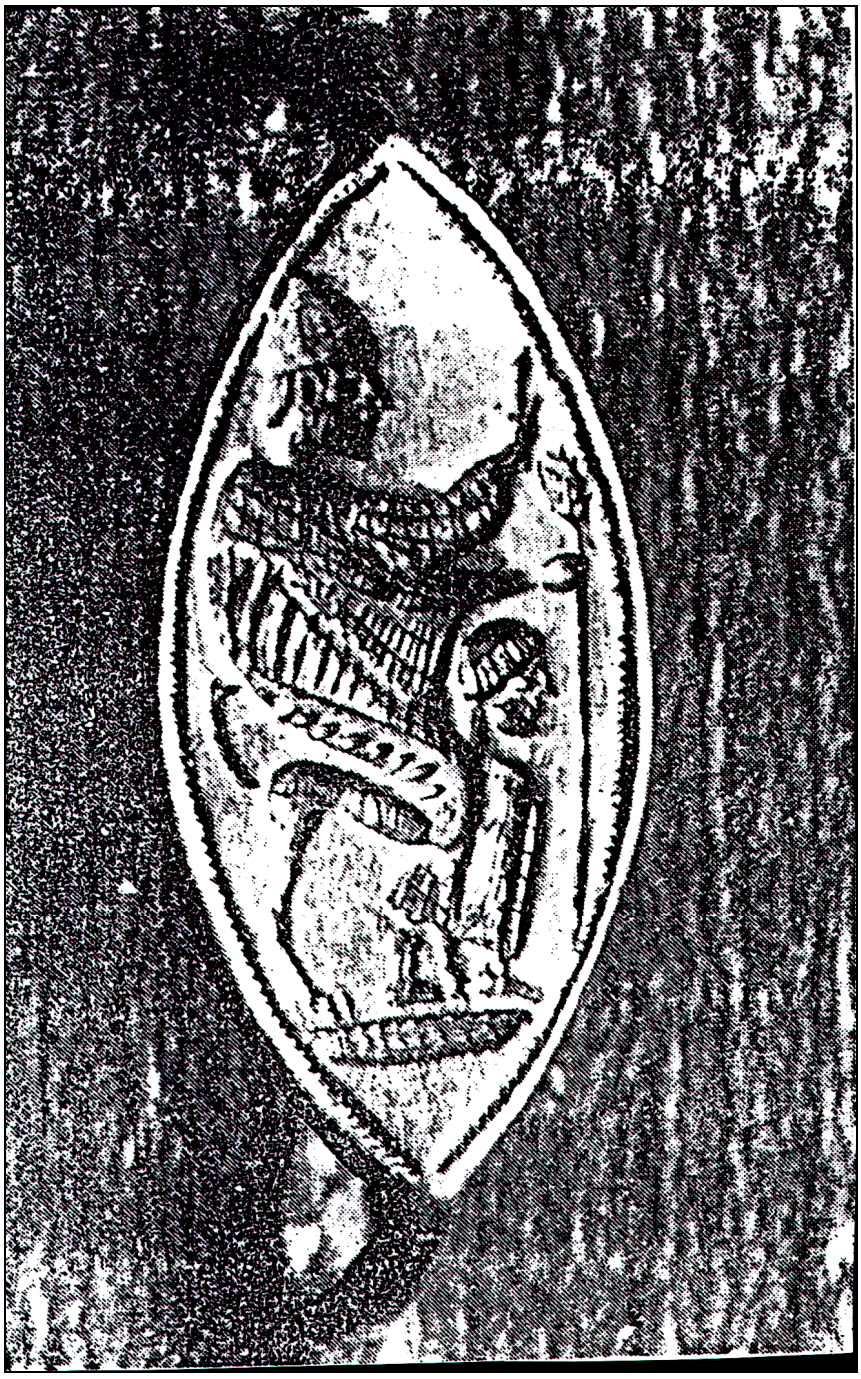
الشكل (01): تمثال لبعل حمّون جالس على العرش، يعود إلى القرن الأول ق. م.

المرجع: Picard. (G), le monde, pl. 35.



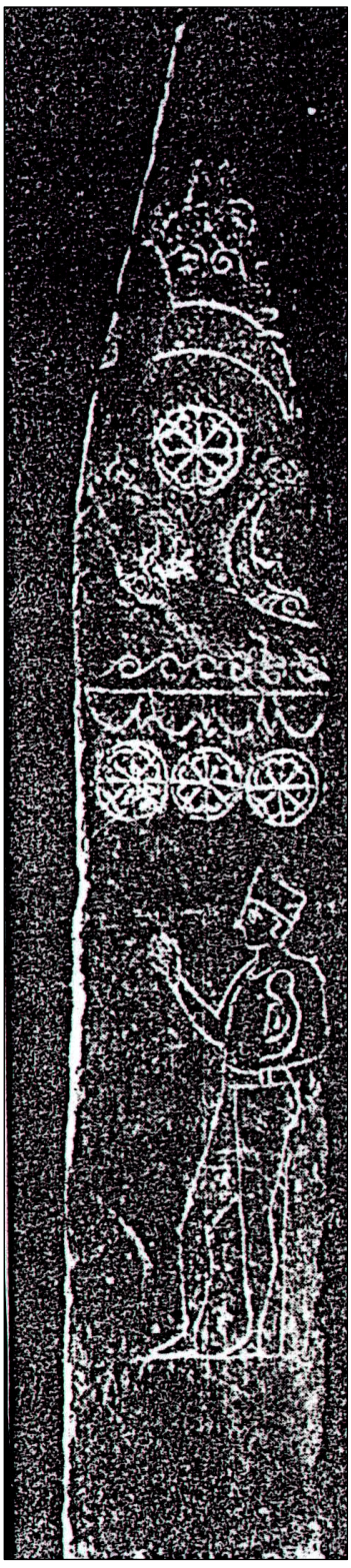
الشكل (02): نصب يظهر فيه بعل حمّون بيده الصولجان و يده الأخرى لمباركة عبده الواقف أمامه عثر عليه بسوسة.

المرجع: Encypedie Universalis, t.2,(1985) p.443.



شكل (03): صورة لبعل حمّون منقوشة على خاتم من ذهب، تعود إلى القرن الخامس ق.م، عثر عليها بأوتيكا (تونس).

المرجع: Cintas (P), Deux compagnes, Karthago, II, p. 53.



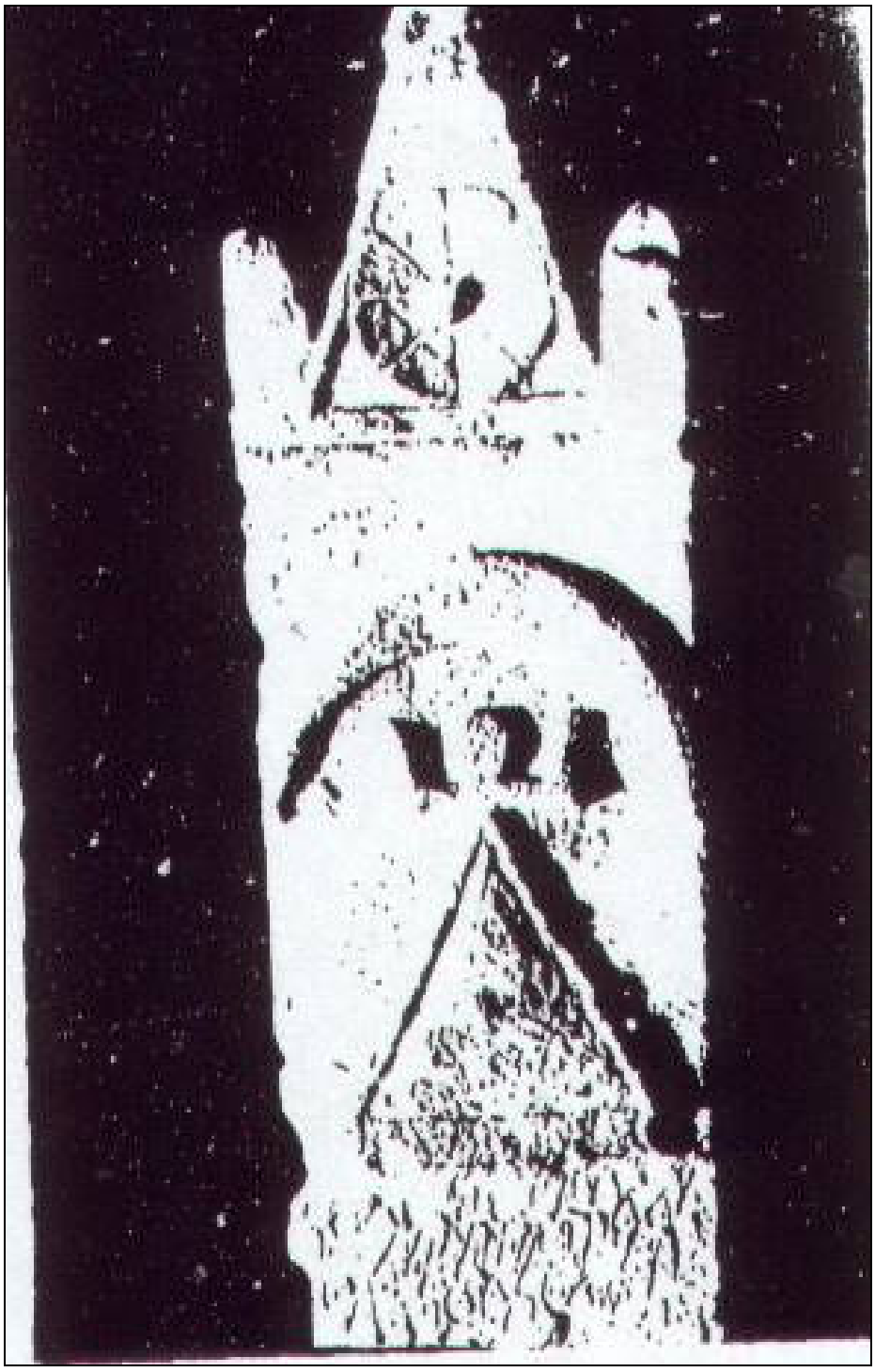
الشكل رقم(04): نصب عثر عليه في صلمبو، يعود إلى القرن الخامس ق.م، يمثل كاهنا يحمل طفلا ليكون قربانا لبعل حمّون.

المرجع: Picard (), Cat. Mus. Alaoui, t. 2, pl. XXXV, cb – 233.



الشكل (05): رسم لتانيت جالسة على العرش و تحمل طفلا.

المرجع: Hubac. (P), Molokh, Cahier de Charles Foucauld, 1ier trimestre, (1950), p. 26.



الشكل رقم (06): نصب يمل أحد رموز تانيت (الهلال).

المصدر: بورنية. ش وطاهر. م، قرطاج البونية تاريخ حضارة، المركز الجامعي للنشر، (1999)، ص 181.



الشكل رقم (07): نصب يمثل رمز من رموز تانيت (المثلث).

المصدر: بورنية. ش وطاهر. م، قرطاج البونية تاريخ حضارة، المركز الجامعي للنشر، (1999)، ص 181.

ج) أماكن العبادة (الطفاية) (Tophet):

شيّد القرطاجيون لآلهتهم المعابد، التي تمثل الأماكن المقدسة التي مارسوا فيها عباداتهم وأقاموا طقوسهم الدّينية، وقد حافظت المعابد البونيقية على الأقسام الأساسية التي تكوِّن المعبد والمعروفة عند الفينيقيين من قبل. وقد تعددت أنواع وأشكال المعابد واختلفت أحجامها، إذ نجد المعابد الضّخمة المشيدة وغير المشيّدة، والمصليات الصغيرة، والمعابد غير المبنية والتي أطلق عليها اسم الطفايات.

ووصف لنا ديودور الصقلي[1] (Diodore) تلك المعابد بأنها عبارة عن ساحات واسعة في شكل فضاءات مقدسة محاطة بأسوار، أسوار بدائية مصنوعة إما من الحجارة أو من الطين المجفف، ولم يكن دور هذه الأسوار سوى الفصل بين العالمين، المُقدّس والخارجي[2].

ويتكوّن المعبد البونيقي من أربعة عناصر أساسية تتمثل في السور، الساحة، المصلى والمذبح. فالساحة محاطة بالأسوار الضّخمة المصنوعة إما من الطين المجفف أو الحجارة. والمصلى الذي تتنوع أشكاله وزخارفه وموقعه، من معبد إلى آخر، وفي الغالب كان يحتل وسط الساحة[3] ويكون مرتفعا شيئا ما، فتوصل إليه عده درجات، فهو يأوي الإله أو رمزه المقدس[4]. والمذبح الذي يكون مرتفعا قليلا حيث يوضع فوق أعمدة صغيرة، ويأخذ في الغالب مكانه أمام المصلى، وهو المكان الذي توضع فوقه الضحايا[5].

أمّا الطفاية التي تحمل تسمية ذات أصول عبرية[6]، فهي من الناحية المورفلوجية المكان المقدس المفتوح إلى السماء[7] (أي ليس لها سقف) ، وهي المكان المقدس الذي مارس فيه البونيقيون عادة ذبح الأطفال وحرقهم في اللهب المقدس، ثم

---

(1) Diodore, XX.14.
(2) Fantar. (M.H), visite, p. 22.
(3) Fantar. (M. H), Carthage. Approche, p. 299.
(4) Fantar. (M. H), Ibid, p. 298.
(5) Fantar. (M.H), Kerkouane, cité Punique de Cap bon, t. 3,Tunis, (1986), p. 55.
(6) Le Dictionnaire des mythologies et des religions, éd. Flammarion, Paris, (1981), p. 255.
(7) Fantar. (M. H), visite, loc. Cit.

دفنهم في أواني فخارية تدعى أجاجين[1]، كما كانت تُجرى فيه الطقوس الجنائزية، وكانت تدفن فيه المرامد التي تحوي العظام المحرقة للأطفال والحيوانات وكانت توضع النصب وعليها اسم مُقدم الأضحية[2]. وقد أكّد لنا الأوستيولوجيون (Ostéologues)، (علماء العظام)، أن ما احتوته تلك المرامد إنما هي عظام بشرية وأخرى حيوانية، وهي عبارة عن مقابر للأطفال الذين ماتوا بعد الولادة مباشرة أو بعد عدة أشهر من ولادتهم[3].

ورغم إثبات المصادر المكتوبة وما يوحي في المصادر الأثرية، من مواقع الطفايات، على أن القرطاجيين قد مارسوا عادة ذبح وحرق الأطفال وممارسة البونيقيين لهذه الشعيرة، منها ما عثر عليه من مرامد في حقل قريب من الأبواب العتيقة لقرطاجة، أين وجدت الطفاية حيث كان يدفن رماد الضحايا[4]، وقد وجدت أجاجين في سوسه بتونس تحتوي على عظام بشرية محروقة لكن المستويات الأعلى لم تحتو إلا على عظام حيوانية[5]، إلا أن الإثباتات القطعية لتأكيد ذلك لا تزال ضعيفة[6].

ويرى أصحاب الاعتقاد بممارسة القرطاجيين للقربان البشري أنه برغم تطوّر العقلية القرطاجية لتصبح أكثر واقعية بدأت الأُضحية البشرية تتناقص شيئا فشيئا، حيث لم تستقبل طفّاية قرطاجة بين القرنين الأول ق.م والأول بعد الميلاد سوى الأضحيات الحيوانية[7].

وتقدم لنا هذه الطفايات معلومات جمّة عن التاريخ القرطاجي وفي عدة نواحي الاجتماعية، الدّينية والثقافية، فمن خلال آلاف النصب والتماثيل، والنقوش التي وجدت في هذه المواقع التي يمكنها أن تفيدنا في محاولة إعادة بناء المجتمع القرطاجي، ويمكن أن نقرأ في كتابات هذه النقوش بعض الأسماء، والمهن والرتب الاجتماعية، كما يمكنها أن تفيدنا في دراسة تطوّر الديانة واللغة البونيقية[8].

---

(1) جوليان. (ش. أ)، المرجع السابق، ص. 121.

(2) Fantar. (M. H), Visite, p. 24.

(3) Ency Uni, t. 4 p. 531.

(4) Picard.(G), Flaubert, p. 109.

(5) Picard.(G), Ibid. p. 101.

(6) بورنية. (ش)، وطاهر. (م)، المرجع السابق، ص. 286- 294.

(7) Picard. (Ch. G), les sacérdottes, de Saturne et les sacrifices dans l'Afrique Romaine, S.A.C, t. LXVI. (1948), p. 117.

(8) انظر: Berthier. (A) et Charlier. (A), le sanctuaire, t. 1.

وكان القرطاجيون قد اعتقدوا في الحياة الأخرى فدفنوا موتاهم في المرحلة الأولى حيث يمكن أن نلاحظ مقابر مختلفة، ذات حفرة، مقابر ذات بئر وأخرى أكبر وأكثر تعقيدا حيث ندخل إليها عن طريق أدراج تؤدي بنا إلى رواق، يأخذنا بدوره إلى الغرفة الجنائزية، ووجد في تلك المقابر الكثير من الأدوات كالخزف والمجوهرات، التماثيل، الأقنعة... مرايا وأساور[1] أما في المرحلة الثانية فقد مارس القرطاجيون عادة حرق الموتى، مُتأثرين في ذلك بالديانة الهيلينستية[2].

د) <u>القرابين القرطاجية</u>:

قدَّم القرطاجيون لآلهتهم الكثير من أنواع القرابين والهبات[3] المختلفة النباتية والحيوانية، منها ما يُحرق ومنها ما يكون هدية لنيل رضا الآلهة ومنها ما يكون تكفيرا عن ذنب أرتكب لنيل غفرانها، حيث نجد تعدادا كبيرا من الضحايا التي قدمت للآلهة كالبقر والغنم والطيور والزهور[4]. (انظر: الشكل رقم (08)).

أما أشهر القرابين التي قدمها القرطاجيون لآلهتهم فهي القرابين البشرية (انظر الشكل رقم: (04))، تلك القرابين التي أثارت انتباه واستياء الشعوب الأخرى، رغم أن القرطاجيين قد مارسوا الأضحية البشرية كغيرهم من شعوب البحر الأبيض المتوسط الأخرى[5]. وربما ما جعل هذه الشعيرة تميز الفينيقيين والقرطاجيين عن غيرهم من الشعوب هو تقديمهم لأبنائهم الذكور البكر قربانا لبعل حمون وتانيت وجه بعل والمغالاة في ممارسة هذه الشعيرة.

وتعد عملية تقديم الأطفال لمذبح بعل حمون من أشهر الشعائر الدينية وأقوى القرابين عند القرطاجيين، هذه العملية التي أثارت في وقتنا الحاضر جدلا كبيرا[6] بين

---

(1) Fantar. (M.H), <u>visite</u>, pp. 26-28.

(2) الناظوري. رشيد، <u>المدخل</u>، ص ص. 146.

(3) Mazel. (J), <u>Avec les Phéniciens à la poursuite du Soleil sur la route de l'Or et de l'Etain</u>, Paris, (1968), p. 169.

(4) جوليان. (ش. أ)، المرجع السابق، ص. 121.

(5) Gsell. (S), <u>H.A.A.N</u>, t. 3, p. 405.

(6) أثارت مسألة ذبح الأطفال البكر عند القرطاجيين قربانا للآلهة جدلا كبيرا بين المؤرخين المعاصرين، فمنهم من يرفض فكرة ذبح الأطفال وهم أحياء أمثال: م. ح. فنطر و س. موسكاتي، وذلك بناء على الشواهد الأثرية من بقايا عظام الأطفال المفحّمة ذات الوضعيات الممدودة التي توحي بأنهم قد ماتوا قبل الولادة أو بعدها بقليل، ولكن الأدلة القطعية التي تنفي ذلك تماما لم تتوفر بعد. انظر:
Haggins. (A) et Belkhodja. (A), <u>Les sacrifices d'enfants à Carthage mythes ou réalité</u> ? www. Apollonia Sacrifices. Com

المؤرخين المعاصرين فمنهم من يرفض ما تناقلته المصادر القديمة بشأن تقديم القرطاجيين أبناءهم الذكور البكر قربانا للآلهة، ومنهم من يؤكد ذلك، هذه العملية المعروفة بملوك (Molok) أو مُلوخ[1] (Moloch).

وكان القرطاجيون عُبَّادا مُخلصين لآلهتهم، فلم يتوانوا عن تقديم أبنائهم وأنفسهم لها، لبعل حمّون وتانيت خاصّة[2]. وكانوا يرون في عملية التضحية ضمان لحياة ورفاهية مدينتهم[3] ، وأنها تمثل تزكية لها (للأضحية) فالعملية تُلحق الأضحية بعالم الآلهة المُفضّل[4].

وتُعدُّ عادة ذبح الأطفال ثم حرقهم في معبد الآلهة أقوى العادات الدّينية عند القرطاجيين[5]، حيث كانت الدّولة القرطاجية تقوم برعايتها، وتسهر على إقامتها سنويا[6]. وكان وهذا في اعتقاد القرطاجيين واجب لابد من أدائه لكي تستمر حياة المدينة والسكان[7]، فكان الأطفال يُختارون من بين أفضل الأسر القرطاجية الوجيهة[8]، ولم يكن يسمح لأولياء الضحية بالبكاء أثناء ممارسة تلك الشعيرة، وكانت هذه الشعيرة الدّينية تقام في جو بهيج من الاحتفالات[9].

ويصوَّر لنا ش. أ. جوليان (Julien. Ch. A) تلك العملية المروعة في كتابه " تاريخ إفريقيا الشمالية"[10] قائلا :« إذ توضع الضحية على يدي تمثال برونزي ثم تتحرك هاتان اليدان نحو الأسفل فتنزلق الضحية لتقع في اللهب». وقد ألهمت تلك العملية خيال الكاتب الفرنسي ج. فلوبير (Flaubert. G)، حيث صوّر لنا هذا المشهد المروع قائلا: "وكانت حركة اليدين (يدي التمثال البرونزي لبعل حمون) في تزايد، وأصبح لا سبيل إلى توقفهما فما تكاد تصل الضحايا إلى حافّة الفتحة حتى تزول كما تتبخر قطرة الماء على صفيحة محمُرة نارا فيتصاعد دخان أبيض في الحُمرة القانية... ورغم ذلك فان شهية الإله لا تسكن..." **(11)**

---

(1) Picard. (G), Flaubert, p.108-110.
(2) Picard. (G), Loc. Cit.
(3) Ency Univ, t. 4 p.305.
(4) شنيتي. (م. ب)، التغيرات، ص. 260.
(5) الطويل. توفيق، قصة الكفاح بين روما وقرطاجة، دار النشر الحديث، (1936)، ص. 27.
(6) Diodore, Liv. XX, 14. 4 ; Gsell. (S), Loc. Cit.
(7) Fantar. (M. H), Visite, p. 24.
(8) Diodore, LIV. XX, 14, 4-5.
(9) Fevrier. (J. G), Op. Cit , p. 172.
(10) ص. 121.
(11) Picard. (G), Op. Cit, pp. 107-108.

لم يقتصر تقديم الأضحية البشرية عند القرطاجيين على ذبح أبنائهم الذكور البكر لبعل حمّون فقط، وإنما دفعوا بالإناث أيضا[1] ودون استثناء خلال الأوقات العصيبة، فقد قدموا لمذبح بعل حمّون ابتغاء مرضاته علّه يرفع عنهم الضيم الذي هم فيه حين غزا اقاثوكليس (Agathoclés) إفريقيا مائتي طفل من أبنائهم[2]، لعله يرزقهم النصر على الجيش الغازي سنة 310 ق.م. كما أن شهية بعل حمّون لم تقتصر على عباده فقط، فقدّم القرطاجيون له الأجانب أيضا، حيث قدّم حن بعل الماغوني لمذبح الآلهة 3000 من الأسرى الإغريق حين انتصر عليهم في سنة 409 ق.م[3]، وكان على القادة العسكريين الذين خسروا الحروب والمعارك أن يقدموا أنفسهم للنّار الموقدة في المعابد[4] قربانا ودليلا على تفانيهم في حُبِّ الوطن.

قدّم القرطاجيون لبعل حمّون أنفسهم أيضا في الأوقات العصيبة التي مرّت بها المدينة قرطاجة، فحين حاصر اقاثوكليس (Agathoclés) مدينتهم في 310 ق.م، هرع عدد كبير منهم وقدّموا أنفسهم للآلهة علها تنقذ مدينتهم[5]، كما أنهم لم يتوانوا عن تقديم الأجانب (الأسرى) أيضا[6] في الاحتفالات، وعند كل مناسبة إرسال سفينة أو بعثة استكشافية. وتتم هذه العملية بوضع الضحايا في مقدمة السفينة وضمّهم إلى الرصيف حتى الموت رغم عدم التشابه بين هذه العملية وما كان يقوم به القرطاجيون في الأضحية المعروفة بملوخ (Molokh) زمنا طويلا[7].

ليس أدل على أن القرطاجيين قد مارسوا عادة ذبح الأطفال وإحراقهم إرضاء لآلهتهم من تلك الآثار التي وُجدت في الطفايات (Tophet)، حيث وُجدت أجاجين ومرامد تحتوي على عظام محروقة لأطفال وحيوانات[8]. ووجد بمعبد بعل حمّون في صالمبو (Salammbô) بقرطاجة المكتشف في 1920 وفي الحقل القريب من الأبواب

(1) Picard. (G), Flaubert , p. 110.
(2) Diodore, LIV. XX, 14, 4-5.
(3) Ibid.VIII 162, 4; XX, 65.
(4) Mazel. (J. G), Op. Cit, p. 196.
(5) Diodore, XX, 14-5.
(6) Ibid. XX, 65.
(7) La grande encyclopédie, par une sociétés de savants et de lettres, H. Laumirouth et CIE éditions, t. 9, Paris, p. 106.
(8) Decret. (F) et Fantar. (M. H), Op. Cit, p. 144.

العتيقة[1] للمدينة وفي طفاية سوسه، أواني فخارية وأجاجين مليئة برماد وعظام بشرية[2].

ودليل على انتشار هذه الشعيرة الدّينية المكتشفات الأثرية لآلاف النصب التي كتب عليها ما يلي:« إلى الرّبة تانيت بني بعل وإلى السيد بعل حمّون، هذا ما قدّمه فلان بن فلان... » . وتكررت هذه العبارة آلاف المرّات[3]، حيث يكتب المُضحي في بعض الأحيان مهنته ومكانته الاجتماعية والعمل الذي كان مكلفا به[4]. مما يساعد الباحثين على دراسة مراحل تطوّر المجتمع القرطاجي، وتنظيماته السياسية أكثر.

شهد الفكر الدّيني القرطاجي بعد القرن الخامس ق.م تغيرا ملموسا في ميدان تقديم الأضحيات البشرية عندما بدأ الأغنياء ذووا العقلية الواقعية يقدمون للآلهة صغار الرقيق أو يقومون بشراء أبناء الفقراء[5] لكي ينقذوا أبناءهم. وبعد ذلك أخذت الأضحية البشرية تقل منذ القرن الرّابع[6]، وبدأت تعوِّضها الأضحية الحيوانية في زمن نجهل بدايته بالضبط، عندما أمكن للمعتَقِدين أن لا يقدموا أطفالهم البكر قربانا لبعل حمّون وتانيت، ويقدموا عوضا عنهم خروفا، وتعرف هذه العملية باسم ملوخمور (Molokhmor) [7]، وقد وجدت نصوص تدل على ذلك ويظهر أنها تُؤرَّخ بعهد سبتيم سيفيروس (Septim Sevirus) وما بعده نصها كما يلي:« فلتكن نتائج أعمالنا سعيدة، إلى السيد المقدس ساتورن (Saturne) نقدم هذه الأضحية، روح بروح ودم بدم، وحياة بحياة. لقد ضحينا بهذا الحمل تعويضا وإنقاذا لطفلنا »[8]. فقد حاول البونيقيون إيجاد بديل لأبنائهم في الأضحية الحيوانية حيث يشتري المُضحي حياة ابنه بحياة الحمل[9]، ودليل ذلك أن طفاية قرطاجة لم تستقبل خلال القرنين الأول قبل وبعد الميلاد إلاّ الأضاحي الحيوانية[10].

---

(1) Picard. (G), Op. Cit, p. 108.

(2) Decret. (F) et Fantar. (M. H), Op. Cit, p. 144.

(3) Charlier. (A) et Berthier. (A. R), le sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine, texte et planches, éd. Arts et métier graphiques, t. II, Paris, (1955).

(4) Fantar. (M. H), Visite, Loc. Cit.

(5) جوليان. (ش .أ)، المرجع السابق، نفس المكان.

(6) شنيتي. (م. ب)، التغيرات، ص ص. 159-163.

(7) Picard. (G), Op. Cit, p. 110 ; Le Glay. (M), les religions, p. 23.

(8) وُجدت النقيشة بنقاوس ، شمال القنطرة. أنظر: Piganiol. (A), Op. Cit, p. 821.

(9) Picard. (G), Les sacérdottes, p. 117.

(10) Picard. (G), Loc. Cit.

ورغم وجود بديل للأضحية البشرية إلا أن البونيقيين المتشدّدين لم يقلعوا نهائيا عن ممارسة هذه الشعيرة، وهذا في الأماكن البعيدة عن السلطة الرومانية التي منعت فقط ممارسة التضحية البشرية، وأصدرت عقوبة الموت في حق كل من يمارسها. وكان هناك من الكهّان من تحدى قوانين مجلس الشيوخ الروماني[1]، فقد بقيت هذه القوانين حبرا على ورق في المعابد البعيدة، ففي سوسه استمر الناس بالأضحية في الطفاية إلى نهاية القرن الأول بعد المسيح[2]، حيث كانت هذه العملية تمارس في الخفاء بعيدا عن أعين السلطة الرومانية. فقد قام البروقنصل تيبيريوس (Tebérius) بشنق آخر كاهن مارس هذه العملية على شجرة في الغابة المقدسة (تابعة للمعبد) وكان ذلك في منتصف عهد الأنطونيين[3].

(1) Picard. (G), Flaubert, p.110.
(2) Picard. (G), Loc. Cit.
(3) Picard. (G), Les sacérdottes, loc. Cit.



الشكل (08): نصب نذري يمثل مشهدا لتقديم قربان حيواني لبعل حمّون ولتانيت.

المصدر: C.I.S, t.tab. III, N. 3347

3) اللغة القرطاجية (البونيقية):

قدم التجار الفينيقيون إلى غربي المتوسط ومعهم سلاح لا يستهان به، ألا وهو الكتابة[1] في الوقت الذي كانت تعيش فيه منطقة المغرب (ليبيا القديمة) في العصر النيوليتي، فالكتابة تمثل الحدّ الفاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية[2].

أ) أصل اللغة والأبجدية البونيقية:

- أصل اللغة البونيقية:

كان الفينيقيون يتكلمون لغة ذات أُصُول سامية[3]، وهي فرع من فروع اللغة الكنعانية التي تمتاز بما تمتاز به اللغات السامية الأخرى من مرونة في الألفاظ والتصريف الذي يطرأ على مصادرها، وغالبا ما يتكوّن فعلها من ثلاثة أحرف، كما تتفق مع اللغات السامية الأخرى في عدم كتابة الحركات[4].

ومع استقرارهم في شمال إفريقيا طرأ عليها تغيُّرات، ذلك أن اللغة الفينيقية لم تستطع الصمود أمام اللغة النوميدية المحلية، بل دخلتها تعبيرات وأسماء محلية أبعدتها عن طابعها الشرقي الأصيل[5]. ويعتقد المختصّون في اللغات السامية بأن التعبيرات التي تسربت إلى اللغة الفينيقية في المغرب القديم لم تكن سطحية فقط، بل كانت عميقة جدا حيث تناولت التراكيب وطريقة النطق بها[6]، وأُطلق عليها اللغة البونيقية. فاللغة

---

(1) Courtois. (Ch), Saint Augustin et le problème de la survivance du punique, R. Af. N° 424 - 425, (1950), pp. 259-261.

(2) غانم. (م. ص)، معالم التواجد، ص. 116.

(3) Hubac. (P), Carthage, éd. La renaissance du livre, Paris, (1946), p. 73.

(4) غانم. (م. ص)، التوسع، ص. 36.

(5) Courtois. (Ch), op. Cit p. 268.

(6) مثل ذلك تغير النطق في التفخيم والترقيق وإدخال بعض المفردات المحلية، كما حدث عند دخول اللغة العربية في وقتنا الحالي.
أنظر: Moscati. (S), l'épopée des Phéniciens, Paris, (1971), p. 252.

البونيقية هي لغة المستعمرات الإفريقية[1]، ويعتقد بعض الباحثين أن اللغة البونيقية أكثر تطوّرا من اللهجات النوميدية[2].

- **أصل الأبجدية البونيقية:**

اختلف المختصون في بادئ الأمر بشأن أصل الأبجدية الفينيقية، فمنهم من أعادها إلى الكتابة المصرية فمنهم من أعادها إلى الكتابة المسمارية، ولكن ديسو (Dussaud) أثبت بعد الدراسة والمقارنة والتمحيص أن هذه الكتابة تختلف تماما عن كل الكتابات التي سبقتها كالهيروغليفية والمسمارية، فهي كتابة محلية يعود ظهورها إلى الألف الثانية ق.م[3].

تتكون الأبجدية البونيقية من (22) حرفا ساكنا[4] وتقرا هذه الكتابة من اليمين نحو اليسار[5]. وقد تواصلت الكتابة الفينيقية في غربي المتوسط بعد تأسيس قرطاجة خاصّة في المناطق التي كانت تحت التأثير السياسي القرطاجي أو التي كانت في احتكاك دائم معها[6]، وهذه الكتابة كلاسيكية في مظهرها فالحروف تظهر أكثر حجما من تلك التي وُجدت في الوطن الأم، ولم تخرج عن هذا السياق الكتابة القرطاجية إلى غاية القرن السّادس ق.م[7]. (انظر: الشكلين رقم (09)، (10)).

ويبدو أن الكتابة الفينيقية عرفت تطوّرا عندما وصلت إلى شمال إفريقيا حيث خلفتها كتابة جديدة تختلف عن الكتابة الفينيقية أطلق عليها الكتابة البونيقية[8]. وقد تميّزت هذه الكتابة بمظهر حروفها المائلة والمنحنية في بعض الأحيان[9]، لذلك أخذت حروفها شكلا أكبر (انظر: الأشكال رقم (11)، (12)، (13)).

---

(1) Faid herbe, épigraphie Phénicienne et Numidique (Libyque), R. Af, (1873), p. 58.
(2) Albertini. (E), Op. Cit, p. 41.
(3) Conteneau. (G), la civilisation Phénicienne, Payot, Paris, (1949), pp. 254-255.
(4) Conteneau. (G), Loc. Cit.
(5) Sznycer. (M), l'emploi des termes (Phénicien, Punique, Néo-Punique) problèmes de méthodologie, in acts of IInd congress on Hamito-semitic, (1978), pp. 261-269.
(6) Gautier. (E. F), le passé, pp. 42-48.
(7) Chabot. (J. B), Punica, J.A, t.8, Éd. imprimerie national, Paris, (1916), p. 209.
(8) Fevrier. (J. G), Histoire de l'écriture (libyque, hiéroglyphique, hittite), Paris, (1959), p. 321.
(9) Basset. (R), les influences, p. 6.

وعلى العموم فإن هذه الكتابة لم تحافظ على شكلها بل تطوّرت أيضا، وأعطى علماء الآثار مصطلح نيو- بونيقي (البونيقية الجديدة) للنقوش والكتابات باللغة القرطاجية التي ظهرت بعد تدمير قرطاجة[1]، تلك الكتابات التي وَجدت تجاوبا كبيرا من طرف السكان المحليين[2]، حيث يشهد على ذلك الكتابات والنقوش الكثيرة التي عثر عليها في كل من تونس والجزائر الشرقية[3]، حيث تظهر البونيقية الجديدة لتحل محل البونيقية القديمة (أنظر: الشكلين رقم (14)، (15)).

ويعتقد س. غزال (Gsell. S) أن البونيقية الحديثة تمثل بداية تراجع للكتابة الفينيقية في شمال إفريقيا، حيث أصبح القائمون على كتابة نقوشها يميلون إلى السرعة وعدم الاعتناء بها بعدم إعطائهم للحروف الأشكال التي تستحقها[4]، وعلى سبيل المثال أصبحت حروف الراء، الدال والباء تكتب بنفس الطريقة أي على شكل نصف دائرة أو قوس، مما يُدخل الشك والاضطراب دارس رموز اللغة البونيقية الجديدة[5].

وقد كتب القرطاجيون على الحجارة بوجه عام ولكنهم كتبوا أيضا على مواد أخرى، حيث وجدت نقوش بونيقية على البرونز، العاج، الذهب، الألواح الخشبية والعظام كما كتبوا على الطين المشوي[6].

(1) Fantar. (M. H), Téboursouk : stèles amépigraphique à inscription neo-punique, Paris, (1976), p. 01-08.
(2) Bosquet. (G. H), loc. Cit.
(3) Fevrier. (J. G), Histoire, p. 325..
(4) Sznycer. (M), op. Cit, p.267.
(5) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 102.
(6) Fantar. (M. H), les Phéniciens, p. 21.



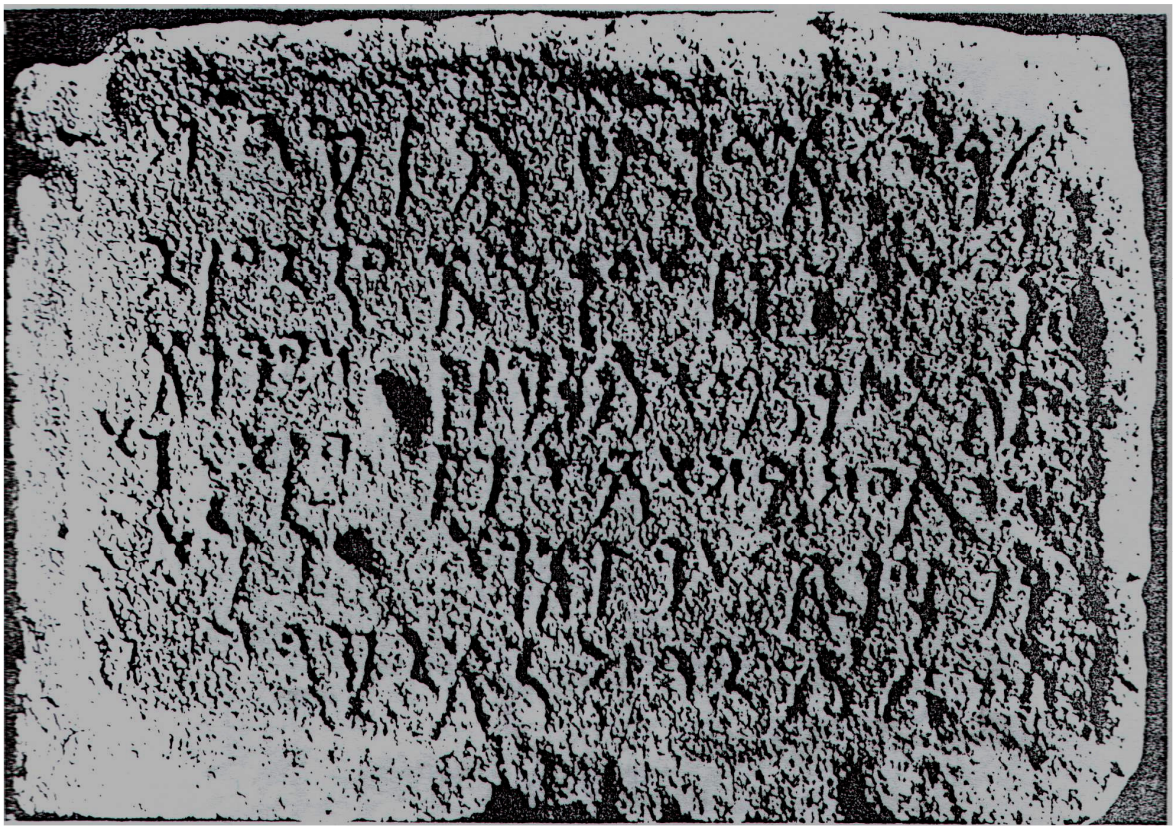
الشكل رقم (09): نصب منقوشة بكتابة فينيقية، يعود إلى القرنVI أوV ق.م، يُخلّد لذكرى تقديم أضحية بشرية، عُثر عليه بطفاية صالمبو بقرطاجة.

المصدر: Fantar (M.H), les Phéniciens en Méditerranée, ed. Alif, Tunisie, (1997), P. 107. ; Picard (C), Cat. Mus. Alaoui, t. I, p. 161, pl. LXIV, cb – 315 ;C.IS, I, N. 5685.



الشكل رقم (10): صحن منقوشة بكتابة فينيقية، عثر عليها بقبرص.

المصدر: Fantar. (M. H), les Phéniciens en Méditerranée, Ed. Alif, (1997), Tunis, p. 102.



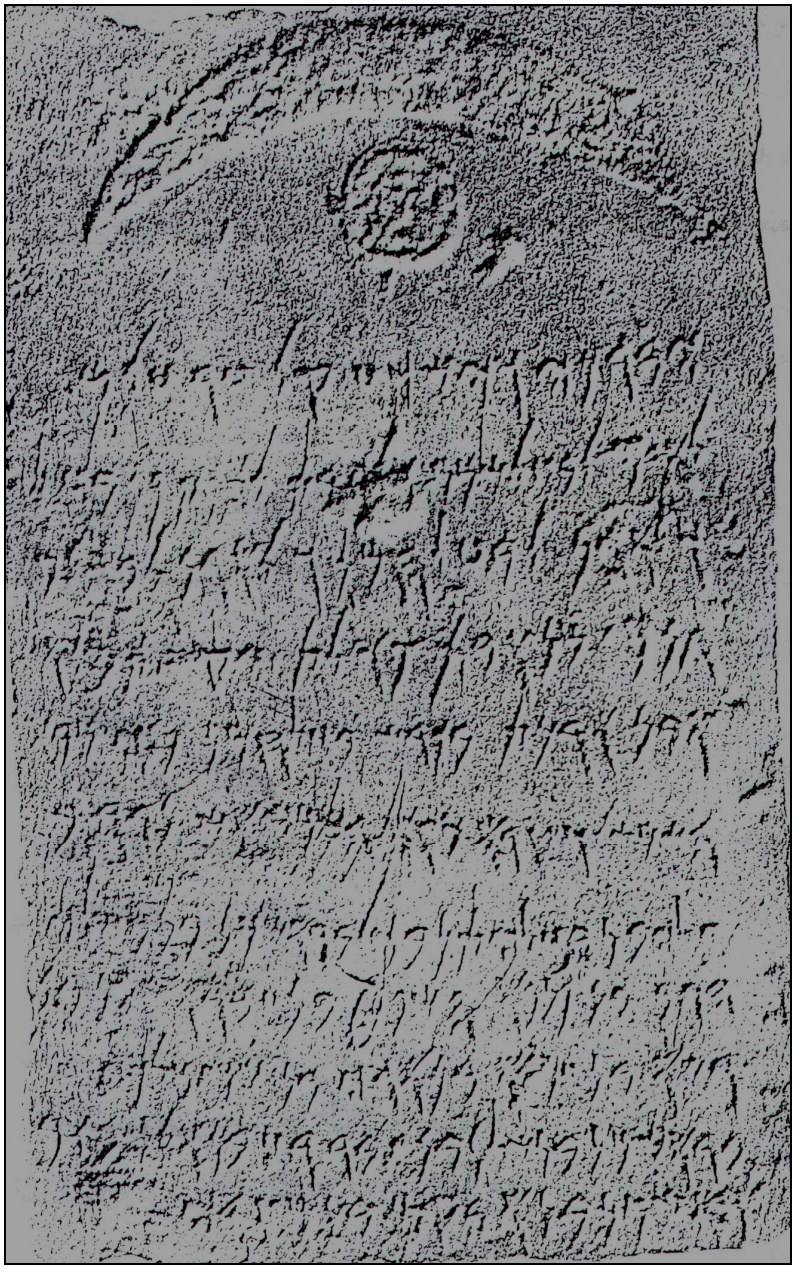
الشكل رقم (11): نقيشة مكتوبة بالبونيقية، تدل على معبد شيِّد لبعل حمّون.

المصدر: Fantar. (M. H), Kerkouane, t. 3, p. 65, pl. III.



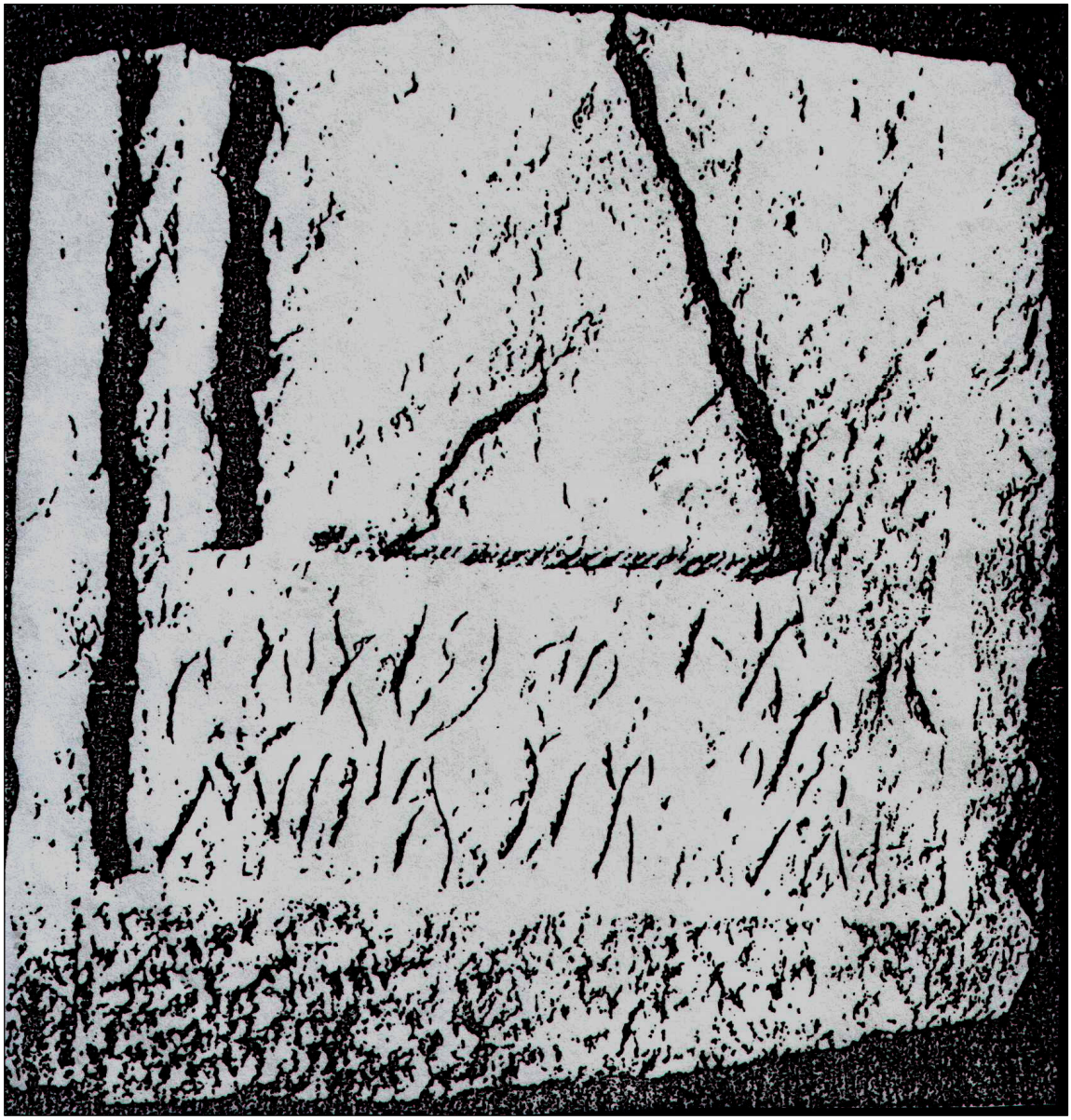
الشكل رقم (12): نصب مكتوب بالبونيقية يعلوه إحدى رموز تانيت "اليد" يعود إلى القرن الثالث ق.م.

المصدر: Picard (C), Cat. Mus, Alaoui, t. 2, pl. XXXVII, cb – 704.



شكل (13): نصب مكتوب بالبونيقية عثر عليه بمعبد صالمبو بقرطاجة ويعود إلى حوالي القرن الثالث ق.م.

المصدر: C.I.S, t.1, N°. 3778, tab.XII, XVI.



الشكل (14): نقيشة بالبونيقية الحديثة، تمثل نذرا قُدِّم لبعل حمّون، عُثر عليها ببولاريجيا.

المصدر: Fantar (M. H), une inscription, Semitica, XXXVII, pl. XIX, P. 113.



الشكل (15): نقيشة مكتوبة بالبونيقية الحديثة، قدّم فيها أعيان مديدي نذرا لبعل حمّون.

المصدر: Fantar (M. H), nouvelles stèles, Semitica, XXXVI, p. 27, pl. VII, N. 22

ثانيا: الزراعة، المعتقدات الدينية واللغة في نوميديا قبل القرن الثالث ق.م:

1) الزراعة في نوميديا قبل القرن الثالث ق.م:

يمثل اكتشاف الزّراعة مقياسا حقيقيا لمدى تحضّر الأمم والشعوب وعلى مر العصور، وتعد الزّراعة والتأثير الزّراعي القرطاجي في نوميديا مسألة ذات أهمّية بالغة جعلت الباحثين يولونها اهتماما خاصا، لذلك سنحاول تناولها في هذه الدراسة اعتمادا على ما جاء في المصادر المكتوبة من إشارات إلى الزّراعة في نوميديا، فاستفدنا من المعلومات التي وردت فيها، غير أننا اعتمدنا بشكل أكبر على الدراسات الحديثة التي تناولت جوانب الموضوع المختلفة.

أ) أصول الزّراعة في نوميديا قبل قدوم الفينيقيين:

تشهد الدراسات الجغرافية والاقتصادية على غنى نوميديا بثروات متنوعة «تزخر بها منها الزراعية والحيوانية والثروة الغابية، ورغم ذلك فلم تسلط المصادر التاريخية الأضواء إلا على التطور الزراعي الذي بلغته قرطاجة »[1] ، وتقول ش. شارن[2] في هذا الشأن: أن «هذه القوة التجارية (القرطاجية) التي كانت تغذيها خيرات شمال إفريقيا».

لم تتفق المصادر الأدبية التاريخية القديمة على رأي واحد فيما يخص أصل الزّراعة في نوميديا، إن كانت أصيلة أم أن الفينيقيين هم أول من أدخل الزّراعة إلى هذه المنطقة «فمن جهة نجد أن بعض المصادر تشير إلى أن الزّراعة كانت معروفة عند اللبيبين منذ أزمنة موغلة في القِدَم ولكتها لا تنتج إلا القمح والزيتون»[3]، ومن جهة أخرى ينفي ذلك البعض الآخر. ففي حين يرى هيكاتي (Hécatée) (حوالي 500

---

[1] شارن. شافية، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني(العهد الإمبراطوري الأول)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ القديم، ج. I. II، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،(2000- 2001)، ص. 6.

[2] نفس المرجع، نفس المكان.

[3] نفس المرجع، ص. 4.

ق.م) أن الليبيين قد عرفوا الزّراعة قبل قدوم الفينيقيين، ويصفهم بأنّهم "زارعو وآكلو القمح"[1] كما أشار هيرودوت[2] أيضا إلى وجود نوعين من السكان في ليبيا القديمة، مزارعون مستقرّون ورعاة غير مستقرّين. وخلافا لهذا الرأي يشير المؤرخ بوليب[3] (Polybe) إلى أن نوميديا لم تعرف الزّراعة إلاّ في وقت متأخر، وأن العاهل النوميدي ماسينيسا هو الذي أدخل الزّراعة إليها، حيث قال فيه : "إليك أعظم ما قام به فقد كانت نوميديا قبله عديمة الفائدة وتعتبر عاجزة بطبيعتها عن إنتاج المزروعات، فكان هو وحده أوّل من أثبت على أنها تستطيع إنتاج المزروعات كأية منطقة (زراعية) أخرى، لأنه استثمر فيها مساحات واسعة"، ويتضح من خلال ذلك أن بوليب يرى أن النوميديين لم يعرفوا الزّراعة إلا مع ماسينيسا المتأثر بالحضارة القرطاجية. ويتفق كل من استرابون[4] (Strabon) وبليني الكبير[5] (Pline l'ancien) مع بوليب في هذا الشأن إذ يقول بلين: "إن الكروم والزياتين مرفوضة في هذه الأرض".

أما معظم الدراسات الحديثة[6] فإنها تبيِّن لنا عكس ما كان قد ذهب إليه بوليب وكل من يتفق معه في الرّأي من أن الزّراعة ليست أصيلة في نوميديا، حيث أكدت بما لا يدع مجالا للشك على أصالة الزّراعة في نوميديا. وتعتمد هذه الدراسات على المعطيات الحديثة للمكتشفات الأثرية[7] الخاصّة بنوميديا، كما تعتمد على علم اللسانيات ودراسة عادات ومعتقدات السكان التابعة للزراعة، إضافة إلى ذلك دراسة ومقارنة الآلات الفلاحية المحلية بتلك الموجودة بالشرق[8]، وأدت تلك المقارنات إلى تأكيد خصوصية المعتقدات والأدوات الزّراعية في نوميديا، والتسميات التي أعطاها النوميديون للنباتات والمنتجات الزراعية المختلفة تؤكد أن النوميديين قديمي العهد بالزّراعة[9].

(1) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 69.
(2) Gsell. (S), textes, p. 191.
(3) Polybe, Hist. Nat, XXXVI, 6, 7, 8.
(4) Strabon, Géographie, XVII, 3. 15.
(5) Pline, Hist. Nat, XX, 2.
(6) Gsell. (S), Op. Cit, t. 1, p. 236 ; t. 4, p.186 ; t. 5, p. 09.
(7) Gsell. (S), op. Cit, t. 5, p. 256, Note N° 06.
(8) Basset. (R), les influences, pp. 08-09.
(9) Camps. (G), Massinissa, p. 77.

وتَبيَّن من خلال تلك المعطيات أن اهتمام النوميديون بالطبيعة يعود إلى عصور جد مبكرة. فيرى ج. كامبس[1] (Camps. G) أن النوميديين عرفوا الزّراعة منذ عصر ما قبل التاريخ على أقل تقدير، إذ لم ينتظر النوميديون مجيء ماسينيسا لكي يزرعوا سهولهم الخصبة.

ويلاحظ أن اهتمام النوميديين بالزّراعة وتنظيمها لم يبدأ إلا مع فجر التاريخ حسب س. غزال[2] (Gsell. S)، ويوافق هذا الرأي ج. كامبس[3] (Camps. G)، وهو نفس الرأي الذي يعتمده ر. باسيه (Basset. R)[4] مستندا في ذلك على الدراسة التي قام بها واستنتج من خلالها أن المعتقدات الدّينية الزراعية النوميدية خالية من التأثيرات الفينيقية والقرطاجية، مما يدل على أن الزّراعة قديمة جدا عندهم[5].

أما دور ماسينيسا في الزّراعة فإنه دور تنظيمي، حيث كان منظِّما عجيبا، وتركزت عبقريته بالخصوص في فهم ومعرفة استغلال الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في عهده[6].

فبالرغم من أن الطابع الرعوي الذي يتميّز بعدم الاستقرار كان هو السائد في نوميديا إلا أن القبائل غير المستقرة لم تكن تجهل الزّراعة تماما، حيث مارست إلى جانب الرعي أعمالا أخرى كالتجارة والزّراعة، مثال ذلك أن بعض الجيتول الذين اشتهروا بعدم الاستقرار كانوا يقومون بأعمال زراعية إلى جانب الرعي[7] وكانوا يزرعون الأرض تارة ويرتحلون بحثا عن المراعي لمواشيهم تارة أخري تبعا للظروف الطبيعية[8]، وبقي الرعاة المتنقلون والمزارعون المستقرون منسجمون[9] يكمل الواحد منهما الآخر، على عكس ما ذهب إليه بعض المؤرخين الذين يرون أن عدم الانسجام بين المزارعين والرعاة هو الميزة التي جعلت المنطقة تبقى متأخرة.

---

(1) Camps. (G), Berbères aux marges de l'Histoire, éd. Des Hespérides, Touluose, (1980), p. 146.6.
(2) Gsell. (S), Op. Cit, t. 1, p. 236.
(3) Camps (G), loc. Cit.
(4) Basset. (R), Op. Cit, pp. 08-09.
(5) Basset. (R), Ibid. pp. 12-14.
(6) أندري. بريان وآخرون، المرجع السابق، ص. 69.
(7) شنيتي. (م. ب)، التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر القديمة، م.د.ت، ع. 2، د.م.ج، (1986)، ص. 08.
(8) بشاري. (م. ح)، المرجع السابق، ص ص. 38- 39.
(9) أندري. (ب)، نفس المرجع، نفس المكان.

ب) الخبرات الزراعية النوميدية:

تشهد الشواهد الأثرية التي خلفها الليبيون القدماء على أنهم عرفوا تقنيات تحمي التربة من الانجراف، كما اهتدوا إلى تقنيات في الرّي طوّرها الرومان فيما بعد[1]، فهي تقنيات محلية أصيلة لكنها أُسندت خطأ للرومان[2] " فقد وضع الأهالي النواة الأولى لسياسة الري الرومانية المستقبلية"[3]. وعرف الليبيون نظاما لاستغلال مياه الأمطار المتساقطة على المنطقة[4] ومنها ما أشار إليها ديودور[5] من خلال تطرقه إلى بساتين ميغارة (Mégara) التي كانت تسقى ومعزولة بأسوار من الحجارة، فليس هناك فرق تلك التقنيات وبين تقنيات المزارعين الليبيين القدماء بتازبنت، وتقنيات المزارعين بضواحي جبل مشري (قرب تبسه)[6].

كما بيّنت بعض الدراسات الحديثة أن كثيرا من النباتات والأشجار أصيلة في نوميديا، لم يدخلها القرطاجيون إلى المنطقة مثل أشجار الزيتون[7] التي تنتشر في كامل شمال إفريقيا من الشرق إلى الغرب، ومن أقصى الشّمال إلى الجنوب بمنطقة التاسيلي بأقصى الجنوب الشرقي للجزائر. ولا تزال بعض المناطق في الجنوب تزرع أشجار الزيتون ولكن بشكل محدود جدا.

أما بالنسبة لزراعة الحبوب فكانت معروفة عند الليبيين، وقبل مجيء الفينيقيين، ويبدو أن النوميديين كانوا يقومون بتموين قرطاجة نفسها بالحبوب خاصة القمح. حيث أوكلت قرطاجة زراعة القمح والشعير للّيبيين[8]، ثم تطورت زراعتها فيما بعد[9] حتى «أصبحت كيرتا سوقا دولية للحبوب»[10]،ولم تقتصر زراعة الحبوب على المناطق الشمالية فقط بل كانت تمارس أيضا في المناطق الجنوبية[11]، يشهد على ذلك المطاحن

---

(1) حارش. (م. هـ)، المرجع السابق، ص ص. 108-109.
(2) أندري. ب، المرجع السابق، ص. 69.
(3) بشاري. (م. ح)، المرجع السابق، ص. 40.
(4) Balout. (L), préhistoire de l'Afrique du nord, Paris, (1955), p. 452, N°7.
(5) Diodore, Bibliothèque, XX, VIII, 3-4.
(6)
(7) Joléaud. (L), l'ancienneté de la fabrication de l'huile dans l'Afrique du Nord, R.Af, N°338-339,(1929), p. 09.
(8) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 5, p. 11; Basset. (R), op. Cit, pp. 08-09.
(9) Strabon, Géographie, LXVII ; Sallust, XVI, 5, XXIX, 4, XLVI, 5.
(10) شارن. (ش)، المرجع السابق، ص. 445.
(11) Gsell. (S), Atlas archéologique de l'Afrique, A. Jourdan, Alger, Paris, (1905), 2 Vol, p. 37.

والمطامير التي وجدت بمسعد[1] التي تبعد بحوالي 370 كلم جنوب الجزائر العاصمة. وتدل الصور التي نقشها الملوك النوميديون على نقودهم لسنابل القمح على أهمية هذه المادة وانتشار زراعته[2].

وتؤكد الدراسات الأثرية على وجود أنواع كثيرة من الأشجار الأصيلة في نوميديا تنموا بشكل طبيعي تبعا للظروف المناخية للمنطقة منها أشجار التين، الكروم[3] وأشجار الزيتون، ورغم ذلك إلا أنه لم يتم التأكد بعد من أن النوميديين قد مارسوا زراعة هذه الأنواع من الأشجار بل استغلوا ثمارها فقط.

ويرى ر. باسيه (Basset. R) أن زراعة الأشجار المثمرة كانت في مرحلة البداية عند الليبيين[4]، على عكس الرأي الذي يقول أنه لم يكن هناك أي نوع من الأشجار المثمرة يُزرع، باستثناء النخيل في الجنوب[5]، ومن خلال ذلك يمكننا استنتاج أن النوميديين قد عرفوا زراعة بعض الأشجار المثمرة ولكنه لم يُطور زراعتها. وربّما ينطبق نفس القول على البقول كالحمص، الفول والعدس[6].

وبخصوص تربية المواشي التي شكّلت الأساس الاقتصادي للنوميديين الرحّل[7] وكان حليب الأغنام غذاءا أساسيا عند النوميديين[8]، فقد كانت معروفة عندهم وقبل مجيء الفينيقيين، ويؤكد هذا البقايا الأثرية لعظام الحيوانات من أبقار، أغنام وأحصنة والتي تعود إلى العصر النيوليتي[9]، كما يدعم هذا الرأي تلك الرسوم الصخرية الموجودة في الجزائر والتي يلاحظ بها رسومات لأحصنة وأبقار وماعز[10]، واعتنى النوميديون بتربيتها منذ القديم، وتشهد المصادر المكتوبة على وفرة الثروة الحيوانية في

---

(1) Picard. (G. C), castellum dimmudi, Alger, (1948), p. 35.

(2) Mazard. (J), Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque, éd. Arts et métiers graphiques, Paris, (1955), p. 55.

(3) يرى لاشي . (ل) (Laschi. L) أن زراعة الكروم تعود إلى فترة سابقة للوجود الفينيقي في بلاد المغرب. أنظر:
Leschi. (L), La vigne et le vin dans l'Afrique romaine, III congres de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord, Constantine, (1937), Alger, (1938).

(4) Basset. (R), Op. Cit, p. 10.

(5) Decret. (F) et Fantar. (M. H), Op. Cit, p. 136.

(6) حارش. (م. هـ)، المرجع السابق، ص. 112.

(7) Tite- live, XC.

(8) Columelle, XCI.

(9) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 1, pp. 219- 225.

(10) Gsell. (S), Ibid. 225- 226.

نوميديا[1]، بل يمكن القول أنّ هذه الحرفة كانت أكثر تطوّرا في المناطق التابعة للنوميديين من تلك التي كانت تابعة لقرطاجة[2].

ونظرا لأهمّية الخيول في المجال العسكري والاقتصادي[3] فقد أولى النوميديون عناية خاصّة لها، ومن دلائل اهتمامهم بها ما كان يقوم به الملوك النوميديون من عمليات إحصاء سنوية للمهور[4] ونقش صورتها على نقودهم[5]، وليس من المستبعد أن يكون النوميديون هم من كانوا يشرفون على تربية الخيول القرطاجية وتدريبها (انظر: الأشكال رقم (16)، (17)، (18)).

ج) أثر العوامل الطبيعية في الزّراعة النوميدية:

امتداد الدولة القرطاجية والأراضي النوميدية على أراضي شمال تونس وشمال ووسط الجزائر، هذا المجال الجغرافي الذي يسود الجزء الشمالي منه مُنَاخ البحر الأبيض المتوسط والذي ينقسم بدوره إلى قسمين هما:

- المناخ الرطب: الذي يسود أقصى الشمال، ويتميّز بمنسوب متوسط من التساقط يتراوح بين 600 و 750 ملم سنويا.

- المناخ شبه الجاف: ويقع إلى الجنوب من الإقليم الأول، حيث يَقِلّ فيه التساقط إلى ما دون 600 ملم سنويا.

أما من الناحية التضاريسية فيتميّز بوجود كتلتين جبليتين متوازيتين، تمتاز الأولى بالتماسك، الأمر الذي منع مرور المؤثرات البحرية الرطبة نحو الداخل، أما الكتلة الثانية فهي عبارة عن كتل تترك بينها فجوات، ما سمح للتيارات القارية الجافّة بالمرور نحو الشمال، وهذا ما يُفسر طابع الجفاف لمعظم أراضي الجزائر (نوميديا قديما)[6].

---

(1) Sallust, XXI, II ; Polybe, XII, 3.

(2) Basset. (R), Op. Cit. p. 10.

(3) كانت الخيول النوميدية وفيرة جدا فاستغلت في زمن السلم والحرب كنقل الخيام والتنقل بها والمشاركة في السباقات وخوض الحروب، ولكن ليسس هناك ما يدل على أنها استغلت في الحقول. أنظر كل من:
Sallust, XXI, II ; Plybe, XII, 3,3.Tite- live, XXXV ; XXII, 3-5, II ; Gsell. (S), H.A.A.N, t. 5, p. 182.

(4) Strabon, XXIL, 18, 19.

(5) Mazard. (J), op. Cit, pp. 18, 19, 20, N° 1- 2- 3- 5- 12 ; p. 129, N° 406- 407 ; p. 149, N° 508.

(6) حول موضوع المناخ الذي ساد بلاد المغرب القديم انظر: بشاري. (م. ح)، المرجع السابق، ص ص. 06-10.

وتمثل هذه الخصائص الطبيعية المناخ الملائم لتنمو مجموعات مختلفة من النباتات وكالأعشاب والأشجار بشكل طبيعي ودون تدخل الإنسان. وميل الإنسان المغربي للطبيعة جعله يكتشف زراعة أنواعا من النباتات التي ازدهرت، نذكر منها زراعة القمح والشعير.

وقد "أدت هذه الظروف الطبيعة الجغرافية لشمال إفريقيا عموما والجزائر خصوصا إلى بروز نمطين مُختلفين من المعيشة، فبعض السكان عرف حياة الاستقرار منذ عصور سحيقة، أما البعض الآخر لم يعرف حياة الاستقرار بل بقي يرتحل بحثا عن الكلأ لمواشيه من الشمال إلى الجنوب، ومن الجنوب إلى الشمال، وذلك حسب الفصول "[1]. فأنتجت هذه الازدواجية في أسلوب المعيشة تكاملا اقتصاديا[2] بين الرعاة المتنقلين منتجي الصوف، الجلود واللحوم، والمستقرين منتجي المزروعات.

[1] أثار الكثير من المؤرخين الاستعماريين الصراع الدّائم بين السكان المستقرين والرحل في بلاد المغرب، والنتائج التي ترتبت عن ذلك النزاع الدائم أمثال جوليان. (ش. أ)، لكن لم تشر إلى ذلك التكامل والتعاون بين الطرفين في شتى المجالات، كالمجال التجاري والعسكري. انظر: شنيتي. (م. ب)، التغيرات، ص ص. 157-187؛ التوسع، ص ص. 8-11.

[2] شنيتي. (م. ب)، التغيرات، ص ص. 157-187.



الشكل رقم (16): نقود نوميدية تعود إلى زمن ماسينيسا تحمل صورة حصان.
المصدر: Mazard. (J), troisième supplément au Corpus nummorum numidaemauritaniaeque, Lybica, t. VIII, 2sem. 1960, N°55, p. 134.



الشكل رقم (17): نقود نوميدية تعود إلى زمن ماسينيسا تحمل صورة حصان.
المصدر: Mazard. (J), troisième supplément au Corpus nummorum numidaemauritaniaeque, Lybica, t. VIII, 2sem. 1960, N°50 bis, p. 134.



الشكل رقم (18): نقود نوميدية نقشت عليها صورة حصان.

المصدر: Babelon. (J), Observations sur quelques monnaies de Libye, Actes du 79ème congrès des sociétés savantes, Paris, (1957) pp. 23-24.

2) المعتقدات الدينية في نوميديا قبل القرن الثالث ق. م:

ليس من السهل على الباحث تناول موضوع المعتقدات الدّينية النوميدية، خاصّة الفترة السّابقة لقدوم الفينيقيين إلى شمال إفريقيا، وذلك لأسباب تتعلق بغموضها وقلّة المعلومات التي جاءت في المصادر الأدبية التي تناولت الموضوع، وبسبب التفاعلات الحضارية التي عرفتها المعتقدات الدّينية الليبية من خلال تعاقب عدة حضارات على شمال إفريقيا فأبعدتها عن طبيعتها، فيصبح من العسير على الباحث في هذا الميدان التفريق بين ما هو محلي وما هو وافد، والوقوف عند واقع وحقيقة تلك الديانة التي لا تزال غامضة في كثير من جوانبها.

وعلى هذا الأساس فإن أهمّ وأقدم المصادر المكتوبة التي تناولت الموضوع هي ما ورد عند هيرودوت[1] (Hérodote) وإلى جانب المصادر المكتوبة نجد المصادر الأثرية المادية المتمثلة في الرسوم الصخرية في جبال الأطلس، وما احتوت عليه من إشارات إلى المعتقدات الدّينية النوميدية القديمة، إضافة إلى استمرار بعض مظاهر تلك المعتقدات الدّينية القديمة خلال الفترة البونيقية والرومانية في الأماكن البعيدة خاصّة في الأرياف والجبال، أين بقي النوميديون محافظون على معتقداتهم القديمة المتمثلة في العبادة البدائية لقوى الطبيعة[2].

ويبدو أن المعتقدات الدّينية النوميدية مرت بثلاث مراحل هي: مرحلة تقديس المظاهر الطبيعية والاعتقاد أن لها أرواحا، الإيمان بالأخريات من بعث وحساب في مرحلة أخرى، وفي مرحلة أخيرة عرف النوميديون فيها آلهة متعددة تمثل المرحلة اللاهوتية[3]. وقد تميّزت المعتقدات الوثنية في نوميديا بأنها انعكاس لنظرة الناس للكون والحياة بمختلف مكوناتها الروحية[4].

---

(1) Gsell. (S), Textes, pp. 185- 194.

(2) Slim. (M), et autres, Op. Cit, p. 109.

(3) البرغوتي. محمود عبد اللطيف، المرجع السابق، ص. 203.

(4) شنيتي. (م. ب)، المرجع السابق، ص. 257.

أ) المعبودات في نوميديا:

اعتقد النوميديون، كغيرهم من شعوب العالم القديم، في الطبيعة التي عجزوا عن تفسير ظواهرها فخافوا منها وقدّسوها، حيث تشير بعض النصوص القديمة إلى أن النوميديون مارسوا طقوسا من أجل جلب المنفعة وطرد الأضرار والأوجاع أو إلحاق الأضرار بالعدو[1]، كذلك قدّسوا الحيوانات (Zoolâtrie) كعبادة الكبش[2] الذي يغذيهم والأسد الذي يخيفهم[3] وأيضا الأشجار وأماكن وجود المياه والتلال، حيث شعروا بأن العالم مليء بالقوى الروحانية، ويمكننا إدراج هذه المعتقدات في الإيمان بظاهرة الحلول[4] (Animisme). ويبدو أن النوميديين قد نظروا إلى حوادث الأرض، الجبال والكهوف[5] والحجارة على أساس أنها أماكن مقدسة أو المكان الذي تقيم فيه الآلهة[6]، فعبدوها وقدّموا لها القرابين والهدايا ومن ثم أقاموا لها الشعائر الخاصّة بها.

وقد وجدت بعض النقوش اللاتينية التي تدل على ذلك منها النقيشة الصغيرة التي وجدت على مسافة قريبة من سور الغزلان حيث نجد فيها دعاء لعفريت الجبل باستوريانيس[7] (Pastorianis) الذي يحمي من عنف الرياح، أين بقي النوميديون ساكنوا المناطق المرتفعة والأرياف محافظون على نمط حياتهم وعلى العبادة البدائية لقوى الطبيعة والمتمثلة في الجن[8]. وبين غليزان وتيارت توجد صخرة القايد وعلى سطحها ثقوب واضحة، ويظهر أنه كانت تقدم فوقها القرابين وتسكب عليها السوائل وتوقد النّار أيضا فوقها[9].

ونجد أسماء كثيرة منتشرة في نوميديا لهذه الآلهة، ونذكر منها: بكاكس (Bacax) في قالمة بجبل طايا (Taya)، سينيفر (Sinifere) في جنوب تونس، وماستينام (Mastinam) في طرابلس وقورزيل (Gurzil) في مداوروش، وإيفرو

(1) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 3, p. 243.
(2) Gsell. (S), Ibid. p. 250- 253.
(3) Piganiol. (A), la religion, p. 819.
(4) Gsell. (S), Op. Cit, p. 255.
(5) Picard. (G), les religions de l'Afrique antique, Paris, (1954), pp. 3 - 4.
(6) Basset. (R), recherches sur la religion Berbères, extrait de la revue de l'Histoire des religions, t. 61, (1910), p. 01.
(7) Basset. (R), Ibid. p. 04.
(8) Mahdjoubi. (S), Op. Cit, pp. 108-109.
(9) Basset. (R), Op. Cit, pp. 6 -7.

(Ifru) وجيدابا (Giddaba) بقسنطينة وهناك أسماء كثيرة بالنسبة للجن المحلي[1]، كجن النهر أو على الأقل منابع النهر وأطلق عليهم جينيوس[2] (Genius)) ، وكذلك جن الينابيع القوافل والأماكن العالية ، حيث كان النوميديون يقدسون هذه المعتقدات.

ولعل أهمّ ما ميّز المعتقدات الدّينية النوميدية في تلك المرحلة هي أنها انعكاس لنظرة الناس للكون والحياة بمختلف مكوناتها المادية والمعنوية وبما أنه من الصعب على إنسان ذلك الزمن أن يفسر الظواهر الطبيعية وأن يبحث عن مسبباتها، فإن تصوره ذهب به إلى الاعتقاد بوجود عدة قوى خفية تتحكم في الظواهر الطبيعية وفي الإنسان، فعبدها وقدم لها الهدايا والقرابين[3]، خوفا من سخطها وطمعا في نيل رضاها ومن أجل حلول بركاتها في المتعبد الوفي لها.

عبد النوميديون وقدّسوا أرواح أسلافهم الموتى المؤلهين، وتتجلى هذه الديانة في طرق الدفن وفي نظرتهم نحو الموتى، حيث كانت هذه العبادة شائعة لديهم[4]، وكان الأهالي يعبدون ملوكهم فأقاموا لهم أضرحة ضخمة. فعبادة الأمراء عند النوميديين والموريين يجب أن يكون لها أصول سحيقة في معتقدات الليبيين، رغم أن بعض المؤرخين يرون أنها ذات أصول شرقية فينيقية وأن النوميديين تأثروا بهم في ذلك[5] (أنظر: الأشكال رقم (28)، (29)، (30)).

انتقل النوميديون إلى مرحلة دينية أكثر تطوّرا، حيث عرفوا فيها آلهة متعددة ذات أشكال وأسماء مختلفة منها الإناث والذكور مثل فيلرينام[6] (Vilrinam) وآش (Ash)[7]، وذكر هيرودوت[8] (Hérodote) أن من بين الآلهة المصرية التي عبدها سكان شمال إفريقيا الإله آمون (Ammon) (انظر: الشكل رقم(19))، وهو أكثر الآلهة انتشارا، وهو في اعتقاد بعض المؤرخين إله محلي عبده الليبيون قبل أن ينتقل إلى مصر وقبل أن يظهر الفينيقيون في شمال إفريقيا. ويقول م. تروسيه[9]:" في اعتقادنا لا

---

(1) Trousset. (M), le dieu Ammon et la déesse Africa, Actes du 79éme congrès nationale des sociétés savantes, Alger, (1954), p. 129.

(2) Basset. (R), Op. Cit, p. 9.

(3) شنيتي. (م. ب)/ المرجع السابق، ص. 258.

(4) البرغوتي.(م. ع)، المرجع السابق، ص. 203.

(5) أندري. بريان، المرجع السابق، ص. 71، وانظر: Piganiol. (A), la religion, p. 815.

(6) Mahdjoubi. (S), Op. Cit, p. 113.

(7) البرغوتي. (م. ع)، نفس المرجع، نفس المكان.

(8) Gsell. (S), Textes, pp. 185-187.

(9) Trousset. (M), Op. Ct, p. 128.

يمكن الخلط بين الإله آمون رع المصري والإله بعل حمّون القرطاجي وآمون الليبي"، كما نجد من بين الآلهة النوميدية الشمس والقمر[1] التي تظهر في كثير من النصب والنقوش التي عُثر عليها في نوميديا[2].

ب) <u>القرابين في نوميديا</u>:

يبدو أن النوميديين قد عبدوا هذه الآلهة وقدّموا لها القرابين والهبات في مختلف مراحل دياناتهم، ودليل ذلك الرسوم الصخرية التي تعود إلى عصر ما قبل التاريخ وجدت بمنطقة الحرمة في قسنطينة وبمنطقة خنقة الحجار في قالمة ووادي إيتل ببسكرة، وتمثل أشخاصا واقفين أو جاثمين على ركبهم وأيديهم مرفوعة وممدودة نحو الأعلى حاملين أشياء غير واضحة، فسرها س. غزال بأنها قرابين تقدّم لآلهتهم[3]، كما قدّم النوميديون القرابين للجن ولآلهتهم الأخرى كالشمس والقمر، ومن القرابين نجد الكبش الذي قُدّم للإله ماستينام (Mastinam) كأضحية[4]، وقدّموا لها الأطعمة أيضا من زيت وحليب، وأقاموا لها أماكن للعبادة وأقاموا لها الشعائر والطقوس الدّينية الخاصّة بها[5].

ج) <u>الطقوس الدينية والجنائزية في نوميديا</u>:

نكاد نجهل الطقوس الدينية التي كان يمارسها الليبيون القدماء فيما قبل التاريخ، ولذلك لا يمكن أن نقدم صورة واضحة ودقيقة لها، ولعلنا نجد في الرسوم الصخرية التي تركها الإنسان الليبي القديم إشارات إلى تلك الشعائر والطقوس التي كان يمارسها منها تلك الصلوات التي كان يؤديها رافعا يديه نحو السماء جاثما على ركبتيه[6] حسب ما فسره س. غزال، والاستحمام في الأيام الفردية من فصل الصيف لجلب المطر،

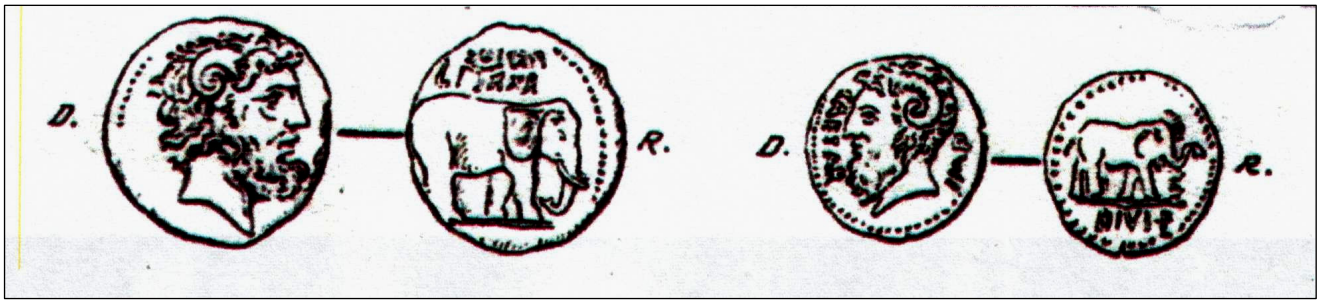
(1) Gsell. (S), Op. Cit, p. 185.
(2) Piganiol. (A), Op. Cit, p. 814.
(3) Gsell. (S), <u>H.A.A.N</u>, t. 3 , p. 255.
(4) Mahdjoubi. (S), Op. Cit, p. 110.
(5) Basset. (R), Op. Cit, p. 5.
(6) Gsell. (S), Op. Cit, pp. 255-256.

ممارسة الصراع الطقوسي (Lutte rituelle) بمنطقة شرشال، ولعل كثير من الرسومات الصخرية المنتشرة عبر مناطق واسعة من نوميديا كانت بدافع ديني حيث كان يعتقد أن من رسم حيوانا أو شخصا يكون ملكا له عن طريق أسر صورته[1].

وتبقى هذه التأويلات التي قدّمها س. غزال عن الرسومات الصخرية مجرد محاولات غير مؤكدة لفهمها فتظل "الرسومات الصخرية مبهمة تماما"[2]. ويبقى الغموض يكتنف الكثير من جوانب هذه الدّيانة، رغم الجهود التي يقوم بها الباحثون في هذا المجال، وهذا ما يجعل التنقيب في موضوع الدّيانة النوميدية مجالا واسعا للباحثين.

(1) Gsell. (S), Op. Cit p. 243.

(2) براهيمي. ك، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر. شنيتي. (م. ب) وبورويبة. ر، ش.و.ك، الجزائر،(1982)، ص. 127.



اللوحة III رقم: 17 رقم: 55

الشكل (19): نقود ليبية تحمل صورة الإله آمون.

المصدر: Troussel, (M), Le dieu Ammon et la déesse Africa, fig. 1, p. 143.

3) اللغة في نوميديا قبل القرن الثالث ق. م:

أ) اللغة والأبجدية النوميدية:

لم تُعر المصادر المكتوبة اهتماما للغة التي كان يتكلم بها النوميديون، فلم يُقدم لنا لا هيرودوت ولا استرابون ولا بليني الكبير أية ملاحظة أو تعليقات حول اللغة التي كان يتكلم بها الليبيون، ونالت اللغة النوميدية اهتمام الباحثين الأجانب منذ الفترة الاستعمارية فكان لهم دراسات وبحوث في هذا المجال نذكر على سبيل المثال: ج. ب. شابو[1] (Chabot. J. B) الذي قام بجمع الكثير من النقوش النوميدية وبوبها حسب الأهمية جمع فيها أكثر من 1120 نقش ليبي، وج. ج. فيفرييه[2] (Février. J. G) وباحثين آخرين[3]، وباعتبار أن هذا الموضوع لا يزال قيد البحث، فإننا سنحاول أن تقوم باستخلاص بغضا من النتائج التي توصلت إليه الدِّراسات التي تحاول قراءة النقوش والكتابات التي عثر عليها في مختلف مناطق شمال إفريقيا ومقارنتها بمختلف اللهجات النوميدية التي استمرت إلى يومنا هذا، إضافة إلى محاولات استشفاف أصولها في الرسومات الصخرية والنقوش على الفخاريات والمنسوجات ومن خلال الوشم الذي ما يزال يُمارس في بعض المناطق من بلاد المغرب إلى يومنا هذا[4].

ب) أصل اللغة النوميدية (الليبية):

مهما يكن من رأي في أصل السكان الذين أطلق عليهم أسماء مختلفة منها الليبيين أو المغاربة أو البربر أو الأمازيغ، والذين يسكنون، إلى حد الآن، كامل شمال

---

(1) Chabot. (J. B), Recueil des inscriptions libyques, Paris, , imprimerie nationale, (1940).

(2) Fevrier. (J. G), Que Savons nous du Libyque? R. Af. N 100, (1956), PP. 263- 273 ; Histoire, pp. 321- 328.

(3) مارسي. (ج) (G. Marcy)، النقوش البربرية (النوميدية والصحراوية)، حوليات الدراسات الشرقية، ج. 2، (1936).، فيد هرب (Faid Herbe)، مجموعة الكتابات النوميدية الكاملة، (1870).

(4) Hachid. (M), la plus ancienne écriture de l'Afrique du nord, le libyque à plus de 3000 ans d'âge, WWW. Agdaz.org. com

إفريقيا من البحر المتوسط إلى السودان، ومن السواحل المُطلة على الأطلنطي إلى مصر، فإنهم يشكلون وحدة لغوية[1].

أما اللهجات النوميدية التي كانوا يتكلمون بها والتي تمتعت بقسط وافر من الاستمرارية منذ فجر التاريخ إلى وقتنا الحاضر، فتعود أصولها إلى اللغة النوميدية القديمة[2]. ومن خلال المقارنات التي عقدت بينها وبين لغات سامية أخرى تبين أن هناك تقارب شديد بينها وبين تلك اللغات، وتبين أن العلاقة بين اللغة النوميدية واللغات السامية وطيدة في المفردات والقواعد، ومن المحتمل أن يكون أصل اللغة النوميدية البعيد سامي[3]، ويقول م. ع. البرغوتي[4] عن نتيجة مقارنة بين اللغتين النوميدية والمصرية القديمة عقدها أوريك بيتس (Oric Pits): « إن العلاقة بينهما وثيقة، ولكن ليس من المعروف تماما متى وأين تم هذا الاتصال والتداخل»، وأن أصل اللغة التي بتكلم الليبيون بها منذ فجر التاريخ غير معروف تماما، كما هو الحال بالنسبة لأصل الليبيين أنفسهم، ولعلّ من الأفضل أن توضع كل التكهنات الخاصّة بهذا الموضوع على الرَّف إلى أن يتم تجميع المزيد من الأدلة والبيانات حول هذا الموضوع[5]، كما يقول و. فيسيل[6] (W. Vycihl) : "إن البربرية (اللغة الليبية) قريبة جدا (أقرب مما كنا نتصور) من المصرية والسامية"، وتندرج اللغة النوميدية حسب بعض المختصّين[7] في المجموعة الشامية – السّامية (Chamito-sémitique).

ومهما يكن من رأي في أصل هذه اللغة، فان البحث في هذا الموضوع مازال مستمرا، ولا يمكن الجزم في أصلها البعيد الذي لم يُعرف بالتحديد[8] ولكن التقارب بين اللغات السامية والنوميدية في كثير من الخصائص اللغوية يجعلنا نرجح فرضية أصولها الشرقية، وربّما هذا التقارب هو ما جعل الليبيين يتقبلون اللغة الفينيقية ويتعلمونها بسهولة ويُسر وجعل اللغتين تندمجان ليكونا البونيقية.

---

(1) Basset. (R), recherches, p. 01.
(2) Mahdjoubi. (S), Op. Cit, p. 32.
(3) Camps. (G), Berbères, p. 32.
(4) البرغوتي. (م. ع)، المرجع السابق، ص. 144.
(5) نفس المرجع، ص. 143.
(6) Vycihl. (W), les études Shamito-sémitique, actes du 1ère congrès d'études des cultures Méditerranéennes d'influences arabo-berbère, p.135.
(7) Camps. (G), les Berbères, éd. Toubkal, Maroc, (1990), p. 276 ; p. 278.
(8) البرغوتي.)م. ع)، نفس المرجع، ص. 144.

ج) الأبجدية النوميدية:

امتلك النوميديون كتابة خاصّة بهم أُطلق عليها أسماء مُختلفة منها ليبية أو نوميدية أو بربرية أو ليبية – بربرية[1]، والكتابة المعروفة بالتيفيناغ (Tifinagh) تُعتبر إحدى سليلاتها. ويمكن أن نميز على الأقل ثلاث أبجديات مختلفة للكتابة النوميدية[2] هي: حروف شرقية، حروف غربية، التيفيناغ القديمة[3]، ويمكن أن نضيف إليها أبجدية رابعة هي التيفيناغ ويعود الجزء الأعظم من هذه النقوش إلى القِسم الشرقي[4].

وتنتشر الكتابة النوميدية في شمال إفريقيا بشكل واسع جدا، حيث نجد أنها تمتد من البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الإفريقية جنوبا ومن غرب النيل والنوبة شرقا إلى جزر الكناري غربا، وقد كُتبت هذه اللغة على الصخور وجذوع الأشجار وعلى الفخاريات ولكن من النادر جدا أن نجدها مكتوبة على الألواح[5]. (انظر: الشكل رقم (20)).

أمّا بالنسبة لتحديد زمن ظهورها فإن معظم الكتابات والنقوش التي عُثر عليها تعود إلى القرن الثالث ق.م وما بعده، وربما يعود ذلك للاهتمام الذي عرفته من طرف الملوك النوميديين خاصّة ماسينيسا وابنه مكيبسا، أما أقدم هذه النقوش فتعود إلى القرن السّادس ق.م أو قبله بقليل، فالكتابة النوميدية التي وجدت على المزهرية التي عثر عليها برشقون بالغرب الجزائري فتعود إلى هذه الفترة الزمنية، ولا يمكن أن نجزم بعدم وجود كتابات أخرى أقدم، أما الكتابات الموجودة في الصحراء فلا يمكن تحديد الزمن الذي تعود إليه بدقة ولكنه أكثر حداثة[6].

---

(1) Picard. (G), le monde, p. 78.

(2) يُقصد بالكتابة الليبية تلك النقوش التي تعود إلى فترة ما قبل الفتح الإسلامي حيث تم حصر حوالي 3000 نص إلى حد الآن، أما الكتابات الحديثة فعددها أكبر وتوجد في منطقة الصحراء. انظر:
Hachid. (M), Loc. Cit.

(3) Chaker. (S), l'écriture libyco-berbère état des lieux et perspectives, Salem.Chaker@inalco.fr

(4) جوليان. (ش. أ)، المرجع السابق، ص. 117.

(5) Hachid. (M), Loc. Cit.

(6) Camps. (G), Op. cit, p. 272.

اختلف الباحثون في تحديد عدد الحروف التي تتكون منها الأبجدية النوميدية فمنهم من يرى أنها تتكون من ثلاثين (30) حرفا عند بعضهم[1] وأقل من ذلك عند البعض الآخر أي اثنين وعشرين (22) حرفا[2]. وتتميّز حروف الكتابة النوميدية بأشكالها الهندسية البسيطة (délicate) وغير الملتحمة[3]، وتقرأ هذه الكتابة على العموم من الأسفل نحو الأعلى، لكن لا يمكن اعتبار ذلك قاعدة عامة، حيث يمكن أن تقرأ من اليمين إلى اليسار أو من الأسفل إلى الأعلى[4]. (انظر: الشكلين رقم (20)، (36)).

ولم تنل الكتابات الليبية بأبجدياتها المختلفة حضّها من الترجمة عن طريق فكّ جميع رموزها وقراءة نقوشها المختلفة رغم انتشارها الواسع وكثرة النقوش التي عثر عليها (جمع ج. ب. شابو في كتابه سنة 1940 أكثر من 1120 نقش ليبي عثر عليها في شرق الجزائر وغرب تونس)[5] ورغم استمرارها عند الطوارق إلى يومنا هذا، ورّغم وجود عشرين حرفا مماثلا لها في البونيقية واللاتينية، ما عدا الكتابة التي وجدت في دوقا (Dougga) بتونس والتي كتبت بالحروف الشرقية، وذلك لأنها مكتوبة بلغة مزدوجة نوميدية وبونيقية[6]. ويعود السبب في عدم القدرة على ترجمة وفك رموز اللغة النوميدية إلى عدة أسباب أهمّها حداثة الدراسات المتعلقة بها، وصعوبتها التي تكمن في فك رموزها واختلاف أبجدياتها، وعدم وضع فواصل بين الكلمات المشكّلة للجملة[7]. فلازالت الكتابة النوميدية تنتظر شمبليونها (Champollion) الذي سوف يتمكن من فك رموزها على حد تعبير م. حشيد[8].

وقد نالت الكتابة النوميدية اهتمام الملوك النوميديين خاصّة ماسينيسا ومسيبسا حيث كانت تستعمل كلغة رسمية لدولهم كما استعملوها في النقوش الرسمية[9]، وتنال الكتابة النوميدية القديمة حاليا اهتمام الباحثين الذين يقومون بمحاولات جادة لفك رموزها بدراستها والبحث في أصلها وعلاقاتها بالأبجديات الأخرى.

---

(1) Chabot. (J. B), recueil, p. 135 ; Fevrier. (J. G), Que Savons ; p. 263.
(2) Chaker. (S), l'écriture ; Kaddach. (M), l'Algérie des algériens de la préhistoire à 1954, Paris, (2000), p. 32.
(3) Hachid. (M), Loc. Cit.
(4) Hachid. (M), Loc. Cit.
(5) Chabout. (J. B), Loc. Cit.
(6) Camps. (G), Op. Cit, p. 154.
(7) Chaker. (S), loc. Cit.
(8) Hachid. (M), Loc. Cit.
(9) Gsell. (S),H.A.A.N, t. 1, p.

- **أصل الأبجدية النوميدية:**

اختلف المختصون في تحديد أصل الكتابة النوميدية كما اختلفوا في أصل اللغة نفسها، فهناك عدة فرضيات حاولت تتبع أصول الكتابة النوميدية نذكر منها ثلاث هي:

الفرضية الأولى:

يرى أصحاب هذه الفرضية أن الكتابة النوميدية ذات نشأة محلية ظهرت نظرا لتطور الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها منطقة نوميديا، حيث أخذ النوميديون عن الفينيقيين فكرة الكتابة، فاخترعوا كتابة خاصة بهم، مستقلة عن الكتابة الفينيقية والبونيقية، ويساند هذا الرأي كل من ج. ب. شابو[1] (Chabot.J. B)، س. غزال (Gsell. S) [2] ويشاطرهم الرأي ج. كامبس[3] (Camps. G)، حيث يعتقدان أن أصل الكتابة النوميدية هو تطوير محلي لأفكار نقلها الليبيون عن التجار الفينيقيين، ولا يستبعد ج. بيكار[4] (Picard. G) هذه الفرضية حيث يقول: في هذا الصدد : "ليس من المستحيل أن تكون الكتابة النوميدية قد اشتُقت الفكرة عن الكتابة الفينيقية"، ويطرح م. ص. غانم[5] تساؤلا هاما في هذا الصدد إذ يقول : "إن الإنسان الذي رسم (الرسوم الصخرية في الجزائر) لا تصعب عليه في رأينا الكتابة، علما أن بداية الكتابة في الشرق القديم ومصر كانت الكتابة التصويرية (Ecriture pictographique)" ولذلك فلا يستبعد أن تكون الكتابة النوميدية ابتكارا محليا خالصا، بينما يرى س. شاكر[6] (Chaker. S) أن أصل الأبجدية النوميدية يبقى غامضا في ظل عدم وجود الإثباتات التاريخية والأدلة المادية ويستبعد فكرة اختراع الليبيين للكتابة دون تأثير أجنبي، حيث يقول[7]: "لا يعقل أن تظهر الكتابة دون أن يكون هناك تمهيدا سابقا لها".

---

(1) Recueil, inscription N° 2.
(2) H.A.A.N, t. III, p. 386.
(3) Camps. (G), loc. Cit.
(4) Picard. (G), Le monde, loc. Cit.
(5) غانم. (م. ص)، المساهمة، ص. 76.
(6) Chaker. (S), Loc. Cit.
(7) Chaker. (S), Loc. Cit.

الفرضية الثانية:

ظهرت الكتابة النوميدية نتيجة احتكاك النوميديين بالقرطاجيين، فابتكروا كتابة خاصة بهم متأثرة بالكتابة البونيقية، وهو ما ذهب إليه كل من ر. باسيه[1] (Basset. R) وج. ج. فيفرييه ((Fevrier. J. G)[2] وقام هذا الأخير بعقد مقارنة بين الأبجديتين النوميدية والبونيقية الحديثة فوجد أن ستة من أحرفها متشابهة لفظا وكتابة.

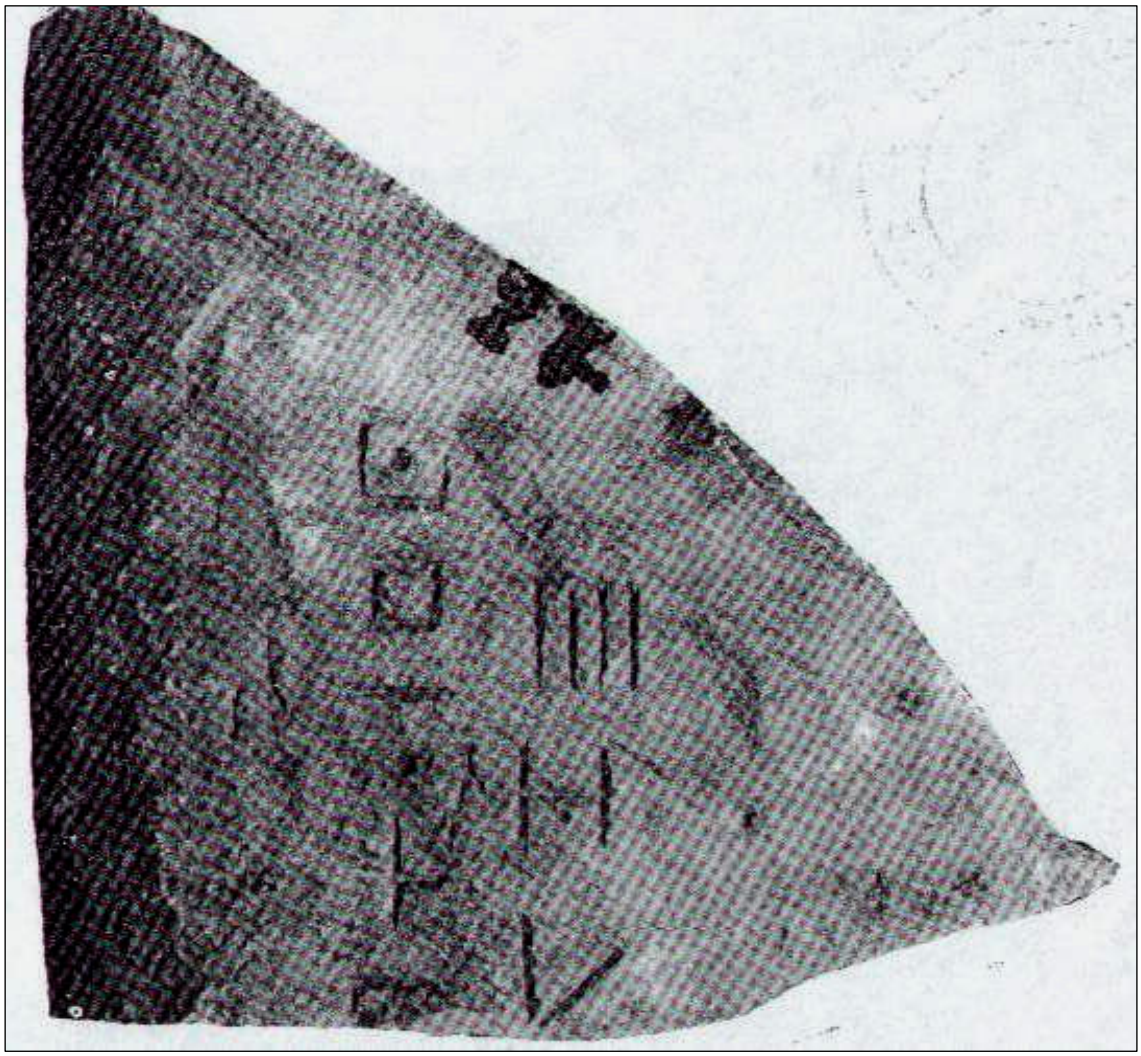
الفرضية الثالثة:

جاءت الكتابة النوميدية من شبه الجزيرة العربية عن طريق مصر على اعتبار أن الهجرات البشرية نحو المغرب جاءت من شبة الجزيرة العربية[3].

وتنتشر الآثار المادية للكتابة النوميدية في كامل المناطق التي يقطنها الليبيون، ولكنها تكثر في مناطق الجزائر الشرقية إذ تبلغ نسبتها في المنطقة81 بالمائة من مجموع الكتابات التي جمعها ج. ب. شابو (J. B. Chabot) في كتابه ، كما تشهد الآثار التي تركها النوميديون على انتشار هذه الكتابة[4]. (انظر: الشكل رقم (21)).

ومهما يكن الشأن بالنسبة لأصل الأبجدية النوميدية فإنها تعد تمييزا لهم عن غيرهم من الشعوب الأخرى، ودليل مادي ثابت على التطور الحضاري الذي عرفوه في ذلك الوقت.

(1) Basset. (R), les influences, pp. 08- 12.
(2) Fevrier. (J. G), Histoire, p. 329.
(3) Ghaki. (M), Grand dictionnaire Universel du xx siècle, t. VII, Paris, (S. D) p. 164.
(4) Camps. (G), Op. Cit, pp. 152-155.



الشكل رقم (20): نصب بكتابة ليبية تعود إلى عهد مكيبسا (148-118ق.م) عثر عليها برأس جنات

المصدر: Jaubert. (J. M), musee d’alger : inscriptions libyques, Lybica, t. VIII, 2sem. 1960, p. 155.

المنطقة	عدد الكتابات التي عُثر عليها
دوقا	18
وسط تونس	39
جنوب تونس	14
الحدود الجزائرية التونسية	19
الشرق الجزائري	911
وسط الجزائر	31
الغرب الجزائري	07
الحدود الجزائرية المغربية	08
المغرب الأقصى	73

الشكل رقم (21): جدول توزيع النقوش النوميدية في المغرب العربي حسب ما ورد عند شابو

المصدر: Chabot. (J. B), Recueil des inscriptions libyques, Paris, imprimerie nationale, (1940).

الفصل الثاني:

عوامل التأثير القرطاجي في نوميديا.

أولا: العوامل البشرية.

ثانيا: العامل التاريخي والجغرافي.

ثالثا– العلاقات القرطاجية – النوميدية من القرن الثالث إلى 146 ق.م.

تناولت المصادر المكتوبة على قلّتها وشُحّ معلوماتها جوانب مهمّة من تاريخ وحضارة قرطاجة، كما تركت لنا تلك الحضارة الكثير من الآثار المّادية التي لا تزال بحاجة إلى بذل الكثير من الجهد في التنقيب عنها ودّراستها. أما بالنسبة للّيبيين عموما والنوميديين خاصّة فقد وردت أخبارهم في المصادر ولكنها اتسمت بالقلة والتناقض، ولم يكن القصد منها التأريخ لهؤلاء الأقوام إنما جاءت أخبارهم عرضا لارتباطها بأحداث أخرى دونتها تلك المصادر، فورد فيها إشارات نحو العوامل التي أدت إلى انتقال التأثيرات القرطاجية نحو النوميديين والتي يمكن لنا إجمالها في عوامل ثلاثة هي: بشرية، تاريخية وجغرافية هذه العوامل تمثلت أساسا في الجوار بين الشعبين القرطاجي والنوميدي وطول مدة التواجد الفينيقي القرطاجي في نوميديا، ومختلف العلاقات التي نشأت بين القرطاجيين والنوميديين.

أولا: <u>العوامل البشرية</u>:

1) <u>أصل الشعب القرطاجي</u>:

يُعتقد أن أصول الفينيقيين البعيدة سامية تعود إلى منطقة الهلال الخصيب ثم هاجروا نحو السواحل السورية خلال الألفية لثالثة ق. م فأسّسوا بها مُدنا كثيرة منها بيبلوس (جبيل)، صيدا وصور[1]، ثم أسّسوا في إطار التجارة مراكز ومحطات تجارية في غربي المتوسط وكان أهمها قرطاجة، فأصول القرطاجيين الأولى تعود إلى الفينيقيين الذين هاجروا من بلادهم نحو شمال إفريقيا واختلطوا بسكانها[2]، وقد تغيرت التسميات التي أطلقت على هؤلاء المهاجرين الذين سكنوا بلاد المغرب القديم، حيث أطلق عليهم اسم الليبو– فينيقي أي الفينيقيون الذين سكنوا إفريقيا وبعد القرن الخامس ق. م أصبحت هذه التسمية تطلق على الليبيين الذين يقطنون المدن القرطاجية وتأثروا بحضارتها[3].

(1) غانم. (م. ص)، <u>التوسع</u>، ص ص. 22- 31.
(2) Warmington. (B. H), op. Cit, p. 76.
(3) Warmington. (B. H), Loc. Cit.

يمكن أن نستخلص من ذلك أن القرطاجيين هم نتاج تزاوج بين الشعبين الفينيقي والليبي، الذين أخذوا اسم البونيقيين، وبذلك يمكننا القول إن الحضارة البونيقية هي نتاج حضارتين[1]، حضارة ذات الأصول الفينيقية وحضارة مغربية أصيلة.

2) أصل النوميديين:

كان يُعتقد في الأصول السّامية لسكان نوميديا، حيث تحكي الروايات التي نقلها كل من القديس أوغسطين وبروكوب عن الأصول السامية للنوميديين وأنهم يقولون أنهم كنعانيون عندما يُسألون عن أصولهم[2]، كما تندرج لغتهم ضمن اللغات السامية– الحامية[3]، ولكن الآثار المادية التي تركها الإنسان الذي قطن المنطقة في زمن ما قبل التاريخ على قدم وجودهم في هذا الجزء من المعمورة، منذ عصور موغلة في القدم إذ يؤكد علماء ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيون على الأصول المحلية لهؤلاء السكان، حيث تتواصل السلالات البشرية – دون انقطاع – للإنسان العاقل والتي عثر على بقايا عظامها والأدوات التي كان يستعملها في حياته اليومية في مواقع مختلفة من نوميديا[4].

ولو أن بعض هذه الدراسات تعتقد في الأصول غير المحلية لإنسان مشتى أفلو، منها من ترجعه إلى أصول شرقية آسيوية وأخرى إلى أصول غربية أوربية، إلا أن هذه الفرضيات بدأت تتراجع وترى أن أصول إنسان مشتى أفلو محلية[5]. وعلى كل فمن المؤكد أن الليبيين أسلاف النوميديين قد سكنوا المنطقة منذ أقدم العصور.

أما بالنسبة للنوميديين فقد ظهروا على مسرح الأحداث في فترة متأخرة نسبيا تعود إلى القرن الرابع، وقد أورد هيرودوت[6] لفظـــة (نوماد = بدو) وكان يقصد بها جميع السكان الليبيين الرعاة، وقدم لنا وصفا لسكان المنطقة. أما الجغرافي استرابون[7] (Strabon) فيعتقد أن النوميديين كانوا بدوا رحّلا أرغمتهم الحيوانات الضّارية على

---

(1) Albertini.(E), op. cit, p. 43.
(2) Gautier. (E. F), le passe, p.78- 92.
(3) Vycihl. (W), Op. cit, p. 134.
(4) براهيمي.(ك)، المرجع السابق، ص. 120- 135.
(5) Balout. (L), Op. Cit, p. 432.
(6) Gsell. (S), textes, pp. 9 -17 ; p. 181.
(7) Strabon,, II, V, 33.

ترك الفلاحة وامتهنوا الرّعي، أما سالوست[1] (Salluste) فيرى أن النوميديين قد أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية وتعني هذه اللفظة البدو الرحّل.

ومما تقدم يمكن أن نعتبر أن القرطاجيين أو من أطلق عليهم البونيقيين هم مزيج من الليبيين ذووا الأصول المحلية والفينيقيين أصحاب الأصول الشرقية فلا نستغرب تأثر النوميديين بحضارة ساهموا في تكوينها.

ثانيا: <u>العامل التاريخي والجغرافي</u>:

1) <u>العامل التاريخي: طول مدة التواجد الفينيقي- القرطاجي في شمال إفريقيا:</u>

يعود التواجد الفينيقي في غربي المتوسط إلى فترة زمنية مبكرة جدا، ربما قبل تأسيس تلك المحطات والمراكز التجارية على السواحل الغربية للمتوسط[2]، عندما كان الفينيقيون يقومون برحلاتهم الاستكشافية على الضفة الجنوبية الغربية للمتوسط. ولكن من المؤكد أن الاستقرار الفينيقي في شمال إفريقيا قد بدأ في نهاية الألف الثانية ق. م عندما بدأوا في تأسيس المحطات والمراكز التجارية التي تطورت إلى مدن[3]، منها مدينة ليكسوس على السواحل الغربية للمغرب الأقصى في نفس الوقت مع قادش بشبه جزيرة أيبيريا حوالي 1110ق.م، ويبدو أنهم أسسوا أوتيكا، أول مستعمرة لهم على السواحل التونسية، في نفس الفترة الزمنية تقريبا أي حوالي 1101ق.م[4].

وبتأسيس قرطاجة في 814 ق. م كان قد مرَّ حوالي ثلاث قرون من الزمن على التواجد الفينيقي في شمال إفريقيا، واستمرت قرطاجة لأكثر من خمسة قرون ونصف إلى غاية تدميرها على يد سيبيون الإيميلي في 146ق.م[5]، أي قرابة التسعة قرون من الزمن بشكل دائم ومستمر جعل الشعبين القرطاجي والنوميدي يعيشان جنبا إلى جنب

---

(1) Salluste, XVIII.

(2) Gsell. (S), <u>l'Algérie</u>, pp. 10-14.

(3) غانم. (م. ص)، <u>التوسع</u>، ص ص. 88- 100.

(4) Slim. (M), et autres, Op. Cit, p. 11.

(5) انظر: غانم. (م. ص) <u>التواجد</u> ، ص. 04.

في نفس المجال الجغرافي، وهذا ما سمح للنوميديين بملاحظة جيرانهم والاحتكاك معهم ثم التأثر بهم.

وطول المدة الزمنية من بين العوامل الأساسية التي جعلت الشعبين يقيمان علاقات بينهما مختلفة ومثمرة. وقد تنبّه ا. ف. قوتيه[1] (E. F. Gautier) إلى أهمية وأثر العامل الزمني في التأثير الحضاري القرطاجي على النوميديين حيث قال: " ما يجب أن نفهمه هو أنه ما بين نهابة الألف الثانية وتدمير قرطاجة في 146 ق.م فإن التأثيرات القرطاجية قد استمرت زمنا طويلا، امتدت لألفية كاملة، مرتين أطول من عُمُر الإمبراطورية الرومانية نفسها، وهذا زمن معتبر".

وقام م. ليقلي[2] (M. Le Glay) بدراسة تاريخ قرطاجة، مُبَيِّنا التطورات التي طرأت عليها، فقسمه إلى سبع مراحل تاريخية هي:

1 – القرن الثاني عشر ق.م : نزول الفينيقيين في صالمبو(Salambo).

2 – القرن التاسع ق.م: تأسيس قرطاجة من طرف معمرين صوريين وقبارصة.

3 – نهاية القرن السابع : تأسيس القوة القرطاجية.

4 – القرن السادس: قرطاجة مدينة شرقية.

5 – القرن الخامس: نراجع قرطاجة ودخولها إلى إفريقيا.

6 – القرن الرابع: الصراع مع الإغريق.

7 – القرن الثالث وما بعده : الحروب البونية وتدمير قرطاجة 146 ق.م.

ومن خلال هذا التقسيم يمكن أن نستنتج أن التأثير الحضاري القرطاجي الأشد على النوميديين لم يبدأ إلاّ خلال القرن الخامس ق. م عندما تغيّرت السياسة القرطاجية بتوجهها نحو إفريقيا وإعطاءها الأهمية اللازمة لها، بمحاولاتها توطيد علاقاتها مع الملوك النوميديين.

والواقع أن عملية تأثُّر النوميديين بالحضارة القرطاجية لم يكن نتيجة عمل مُنظم ومقصود قامت به قرطاجة إنما كان بطريقة غير مباشرة وبشكل سلمي وهو النتيجة الطبيعية لتجاور شعبين لمدة زمنية طويلة جدا.

---

(1) Gautier.(E. F), le passé, p.114.

(2) Le Glay. (M), nouveauté,, p. 415.

2) العامل الجغرافي: الجوار بين القرطاجيين والنوميديين:

شملت قرطاجة جزءا مُهما من الأراضي التونسية الحالية وكثيرا من المدن الساحلية لشمال إفريقيا، وعليه فإن عامل الجوار بين القرطاجيين والنوميديين يبرز كعامل من العوامل الأساسية التي أدت إلى انتقال التأثير القرطاجي نحو النوميديين انظر: ملحق الخرائط رقم (01)).

ويبدو أن الحدود الفاصلة بين القرطاجيين والنوميديين تمثل نقاط التواصل بينهما. فتوسيع قرطاجة والمدن التابعة لأقاليمها بعد القرن الخامس جعل بعض النوميديين يدخلون ضمن حدودها ويخضعون لسيطرتها السياسية ومن ثمة تأثروا بها حضاريا، وكذلك تراجع حدود قرطاجة عقب ضم الإقليد النوميدي ماسينيسا (Massinissa) لأراضي ومدن قرطاجية، حين استعاد أراضي أجداده وجميع المدّن التابعة لقرطاجة[1] خلال الحرب البونيقية الثانية (218– 202 ق.م) جعلته يضم إلى مملكته سكان مُتأثرون بالحضارة القرطاجية، إضافة إلى أنه كان هو نفسه متأثرا بالحضارة القرطاجية، كما استعاد النوميديون أراض كثيرة كانت قرطاجة قد ضمّتها إليها، وبعد سقوط قرطاجة حاول الملوك النوميديون بناء دول حقيقية متخذين من قرطاجة نموذجا لهم[2]، احتل الملوك النوميديون والموريون تلك المُدُن – التي كانت تابعة لقرطاجة – الساحلية وضمُّوها إلى ممتلكاتهم[3]، وربما كان ذلك بهدف إدخال الحضارة البونيقية إلى المدن الأخرى التابعة لهم.

ولعل أهم أشكال التجاور بين الشعبين كان في المدن التي لعبت دورا كبيرا في نقل التأثيرات القرطاجية إلى النوميديين حيث كانت تُمثل مراكز للاحتكاك المباشر بين الشعبين في مختلف الميادين، وقد شهدت نهاية القرن الثاني عشر قبل ميلاد السّيد المسيح إنشاء أول المراكز الفينيقية في الجزء الغربي من المتوسط[4] وهي ليكسوس (Lixus) في حوالي 1111 ق.م، وتم تأسيس أوتيكا (Utique) في نفس الفترة الزمنية

(1) Salluste, V.
(2) Piganiol. (A), La religion, p. 819.
(3) Mahdjoubi. (S), Op. Cit, pp. 103- 106.
(4) Basset. (R), Op. Cit, p. 04.

1101 ق.م[1]، وخلال القرن السّادس ق.م أصبحت قرطاجة على رأس تلك المُدُن. ويقول س. غزال[2] (S. Gsell) في هذا الصدد: " من بين كل المُدُن الفينيقية، هناك واحدة فقط لعبت دورا هامًا في تاريخ إفريقيا، هي قرطاجة"[3]، حيث تتصل دراسة هذا التأثير بدراسة تاريخ العاصمة البونيقية قرطاجة، وضَمّت الدّولة القرطاجية مُعظم المدن الساحلية لنوميديا[4].

كانت هذه المراكز التجارية والمعمرات والمدن البونيقية عبارة عن مراكز إشعاع لنشر الحضارة والثقافة البونيقية[5]، ويظهر أن هذه المدن قد لعبت دورا كبيرا في عملية التأثير الحضاري بفضل انفتاحها وعدم عنصرية سكانها الشرقيين[6]. ففي هذه المدن التقى السكان المحليون بالقرطاجيين، حيث كانت عبارة عن مراكز استقطاب للسكان المحليين، فأقاموا في تلك المراكز العمرانية الساحلية وخاصّة تلك التي أقامها الفينيقيون منذ حلولهم على شواطئ المغرب القديم[7]، وزار الكثير منهم قرطاجة كحليف أو أقام بها كرهينة[8]. وهناك من النوميديين من آثروا العيش في مدينة قرطاجة وتركوا قبائلهم. وكان النوميديون الذين يحيطون بقرطاجة يأتون ليقدموا خدماتهم لها[9]، وعلى كل الأراضي التي كانت تديرها قرطاجة. كما أن الكثير من هؤلاء النوميديين أمراء وحلفاء قرطاجة قد زاروا هذه المُدُن وشاهدوا عظم الحضارة القرطاجية فتأثروا بها[10]، بأن ظهرت مُدُن نوميدية متأثرة بالحضارة البونيقية منها سيرتا (Cirta)، دوقا، تيديس ومكثر، وقد أشار تيت ليف[11] (Tite-live) إلى مدى التأثير البونيقي في سيرتا[12] قائلا :" أن سيرتا كانت متأثرة بالحضارة البونيقية إلى حدّ بعيد"، ويؤكّد هذا الآثار المادية التي عثر عليها بقسنطينة وضواحيها[13] (انظر الشكل رقم (31)).

---

(1) Warmington. (B. H), Op. Cit, p. 15.

(2) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 2, p. 374.

(3) جوليان. (ش. أ)، المرجع السابق، ص. 75.

(4) Trousset. (M), Monnaies, pp. 151-153.

5) Camps. (G), Berbères, p. 110.

(6) Gautier. (E. F), Op. Cit, p. 119.

(7) Basset. (R), Op. Cit, p. 06.

(8) Basset. (R), Loc. Cit.

(9) Gsell. (S), Op. Cit, t. 4, p. 46.

(10) Basset. (R), Op. Cit. p. 07.

(11) Tite-live, XXIX, 4-5.

(12) يحتمل أن يكون أصل التسمية فينيقي فهي: سيرتا أو قيرطا. ولكن س. غزال يرفض النظرية القائلة أن قيرطا تأتي من كلمة قرط الفينيقية والتي تعني القرية أو المدينة (Quart)، ويعتمد في ذلك على شكل كتابتها فالمدينة تكتب بالقاف (Q'rt) وليس بالكاف (K'rtn) في اللغة الفينيقية. أنظر: Gsell. (St), Op. Cit, t. 5, p.273.

(13) Cintas. (P), fouille, pp. 290-296.

وبالرغم من أن قرطاجة لم تحتل كامل بلاد النوميديين، وأن نفوذها السّياسي عندما كانت في أوّج قوتها لم يتجاوز تونس الحالية والسواحل النوميدية[1]، إلاّ أن التأثير البونيقي نفذ نحو الداخل سواء كان ذلك عن طريق البونيقيين أنفسهم، أو بواسطة النوميديين الذين تشبعوا بالحضارة البونيقية ضمن إطار المدن البونيقية، وراحوا ينشرونها في الداخل[2] منها مُدُن: سيرتا، ميلة، سيجوس وتبسه (انظر الشكل (33))، وقد كان تأثير المدنية البونيقية أقوى بطبيعة الحال في المناطق[3] الشرقية من نوميديا، إذ تتناقص الآثار المادية والكتابية للحضارة البونيقية كلما اتجهنا نحو الغرب بداية من مدينة قرطاجة[4]. (انظر الشكل رقم (32)).

ويتجلى دور هذه المدن في مجال التأثير الحضاري من خلال سماحها بالاحتكاك المباشر واليومي بين النوميديين والقرطاجيين، فقد كانت حاجة قرطاجة إلى اليد العاملة دافعا لها للاستعانة بالنوميديين في صناعتها كيد عاملة. ولم يكن سكان تلك المدن البونيقية الحضارة والتي أُسّست في القرن الرّابع وما بعده شرقيون تماما، بل كانوا سكانا مختلطين[5]، ومن ذلك ما تركه حانون (Hannon) وأملكار (Hamilcar) على إثر رحلتيهما[6] في المدن التي أسّساها من سكان مختلطين ليبيين (نوميديين) وقرطاجيين، فهذا الاختلاط سمح – دون شك – بمرور التأثيرات القرطاجية إلى الليبيين عموما والنوميديين خصوصا.

وفي هذه المدن أيضا لاحظ النوميديون التطوّر الحضاري الذي وصلت إليها قرطاجة، وحاولوا التأثر بها، وفي هذه المدن تأثر النوميديون باللغة البونيقية فأصبحوا يتكلمون بها، وتعلموا الفنون والتقنيات الزراعية الجديدة التي كانوا يجهلونا، وأيضا تأثر النوميديون بالآلهة القرطاجية[7] فتطوّرت المعتقدات الدّينية عند النوميديين[8].

وفي هذه المدن والمراكز الساحلية القرطاجية تم التقاء التجار القرطاجيين بالسكان المحليين، فنشأت بينهما المعاملات التجارية وتطوّرت لتشمل مجالات اقتصادية

---

(1) سارتون، جورج، المرجع السابق، ص. 153.
(2) جوليان. (ش. أ)، المرجع السابق، ص. 125.
(3) سارتون، جورج، نفس المرجع، نفس المكان.
(4) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 95.
(5) Gsell. (S), Ibid., pp. 107- 112.
(6) سارتون، جورج، نفس المرجع، ص. 155.
(7) Slim. (M) et autres, op. Cit, p. 110.
(8) Basset. (R), Op. Cit, p. 09.

أخرى، ومن ثم تطوّرت وتوطدت العلاقات الاجتماعية بروابط متينة من الزواج بين الطرفين[1].

ثالثا- العلاقات القرطاجية – النوميدية من القرن الثالث إلى 146 ق.م:

1) العلاقات السياسية القرطاجية – النوميدية من القرن الثالث إلى 146 ق.م:

يجد الباحثون المهتمون بدراسة التواجد الفينيقي في غربي المتوسط ندرة في المصادر المادية وسكوت المصادر الأدبية عن الفترة الباكرة للتواجد الفينيقي في هذه المنطقة، هذا ما يجعل الباحث عاجزا عن الوصول إلى نتائج مؤكدة عند تناول موضوع بداية ونوعية العلاقات بين القرطاجيين والنوميديين في مراحلها الأولى.

ولئن نقلت هذه المصادر بعض الإشارات البسيطة عن العلاقات الباكرة بين القرطاجيين والليبيين، ومن المرجح أن تعود هذه العلاقات إلى فترة مبكرة جدا، إذ نجد ما يؤكد ذلك في أسطورة عليسة التي نقلها لنا المؤرخ جيستان (Justin)[2].

ويمكن لهذه الرواية أن تقودنا إلى استنتاج أن العلاقات التي سادت بين الطرفين كانت سلمية تسودها الصداقة وأساسها المبادلات التجارية، ذلك منذ القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس ق.م[3]، حيث رحب الليبيون بالتجار الفينيقيين وقدموا لهم الأرض لتأسيس المراكز التجارية على سواحلهم، وفي المقابل استفاد الليبيون من هذه التجارة ومن الضريبة التي كانت تقدمها لهم قرطاجة حتى القرن الخامس ق.م[4].

بيد أن العلاقات بين القرطاجيين والنوميديين ستتغير بداية من القرن الخامس ق. م على إثر اتخاذ قرطاجة سياستها الجديدة تجاه نوميديا، التي بدأتها بقطع الضريبة السنوية التي تعودت على دفعها منذ زمن بعيد ثم إرغامهم على دفع الضريبة لها[5]، وبتوسيع إقليمها على حساب أراضيهم لاستغلالها في المجال الزراعي، وبتجنيدهم في حروبها.

---

(1) بورنية. (ش) وطاهر. (م)، المرجع السابق، ص. 195.

(2) Justin, XVIII, 4-6.

(3) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 1, p. 380.

(4) بورنية. (ش) وطاهر. (م)، نفس المرجع، ص. 238.

(5) Picard. (G. C), Vie et mort de Carthage, éd. Hachette, Paris, (1970), p. 89.

ولعل انتهاج قرطاجة هذه السياسية دفع بالنوميديين إلى محاولة التخلص من سيطرتها ومعاداتها واستغلال فرص التمرد عليها، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة نذكر منها:

- تحالف شخص يدعى يلماص[1] مع أغاثوكليس في 310 ق. م عندما نزل برأس بونة، حسب ما رواه ديودور الصقلي[2].
- تمرد المرتزقة المشهور (241-237) ضد قرطاجة بمشاركة سكان المدن النوميدية، فقام أملكار برقة بالقضاء عليه ومعاقبة المدن المشاركة في هذا التمرد[3].

وبالرغم من ذلك فإن المصادر التاريخية أوردت لنا أخبارا عن العلاقات القرطاجية النوميدية الودية، حيث كانت تربطها الصداقة بينها وبين سيفاكس ملك نوميديا الغربية[4]، والظاهر أن قرطاجة لم تستطع أن تربط علاقات ودية مع المملكتين النوميديتين في ذات الوقت، ولم تنجح في أن توفق بين الطرفين وتستفيد منهما معا، فربط علاقات ودية مع إحدى النوميديتين يغضب الأخرى منها. وصداقتها المتينة مع سيفاكس ملك نوميديا الغربية[5] ما لبثت أن ساءت بسبب وقوف قرطاجة إلى جانب غايا ملك نوميديا الشرقية إثر الخلاف الذي شبّ بين غايا وسيفاكس حسب ما ذكره تيت ليف[6]، ثم أدركت قرطاجة الخطأ الاستراتيجي الذي وقعت فيه فعادت تسترضي سيفاكس مَرّة أخرى[7]، وكذلك أخفقت قرطاجة في عقد تحالف مع ماسينيسا وسيفاكس في ذات الوقت، وكنتيجة لتدخل قرطاجة في الخلاف الذي شبّ حول خلافة العرش النوميدي عقب وفاة الملك غايا، جعلت الملك ماسينيسا يقف ضدّها، ثم يتحالف مع الرومان فيما بعد، فساهم بذلك في القضاء عليها[8]، ويقول ش. بورنية[9] في هذا الصدد: « ظهرت الممالك النوميدية كطرف قائم الذات مع عمق ارتباطها بأوجه

---

(1) يعتقد كامبس. ج أن ايلماص كان قائدا لإحدى القبائل النوميدية الشرقية، وأنه أحد أجداد ماسينيسا. أنظر:
Camps. (G), Massinissa, p. 117.

(2) Diodore, XX, 17- 1.

(3) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 5, pp. 179- 180.

(4) Polybe, III, 33, 15.

(5) Loc. Cit.

(6) Tite - Live, XXIV, 48- 49.

(7) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 3, p. 186.

(8) حول الموضوع انظر: شنيتي، م. ب، الاحتلال، ط. 2، ص ص. 21- 27.

(9) بورنية. (ش) وطاهر. (م)، المرجع السابق، ص. 212.

الحضارة البونية رغم هشاشة العلاقة السياسية وهي هشاشة أفضت إلى التحالف بين ماسينيسا والرومان في أواخر القرن الثالث ق. م".

2) العلاقات العسكرية بين القرطاجيين والنوميديين من القرن الثالث إلى 146 ق.م:

ليس المقصود بالعلاقات العسكرية بين القرطاجيين والنوميديين الصراع[1] (الجانب السلبي) فحسب وإنما يشمل أيضا التعاون بينهما (الجانب الإيجابي) كما تشهد على ذلك المصادر، وكانت التأثيرات القرطاجية تَمُرّ في كلتا الحالتين[2].

بالرغم من أن قرطاجة – في بداية عهدها– لم تكن دولة ذات نوايا توسعية عسكرية واستعمارية، إلا أنه ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد ظهر تحول ملحوظ في سياستها. وكان لتراجع الحركة الاقتصادية القرطاجية أثر في بروز حاجتها إلى حركة عسكرية توسعية تمكنها من حماية مصالحها التجارية وفرض سيطرتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ذلك نتيجة اصطدامها بالإغريق والرومان، ومنذ ذلك ظهرت حاجة قرطاجة إلى تكوين جيش قوي يدافع عن المصالح التجارية والسياسية لإمبراطوريتها الواسعة الأرجاء.

ومع ملاحظة قرطاجة عدم كفاية جيوشها الخاصّة، انتباهها للخصائص الجسمية والروحية التي يتمتع بها النوميديون في ساحات الوغى من جسم نحيف وقوي وشجاعة وإقدام وشدّة مراس وتمتعهم بالصحة الجيدة، فقد قال عنهم ديودور[3]: " إن النوميديين هم أكثر الرجال اللذين نعرفهم تمتعا بالصحة"، أمّا سالوست فيقول[4] عن سكان شمال إفريقيا عموما :" إنهم أصحاء ويقاومون التعب، وأكثرهم يموت بسبب الشيخوخة، والقليل منهم فقط يقتله المرض".

وهذه الصفات جعلت قرطاجة تجندهم في جيوشها للحروب أو الرحلات الاستكشافية التي كانت تقوم بها، أو ترسلهم إلى المدن الفينيقية التي تتعرض

---

(1) انظر أعلاه ص. 28.

(2) ليس القصد من تناول العلاقات العسكرية سرد كل ما حدث بين النوميديين والقرطاجيين، إنما إظهار العلاقات العسكرية بينهما التي سمحت بمرور التأثيرات القرطاجية نحو النوميديين في كلتا الحالتين، الاتفاق أو الخلاف، فاكتفينا بالإشارة إلى العلاقات العسكرية (التعاون) بين قرطاجة ونوميديا الشرقية في فترات مختلفة، آخرها تحالف ماسينيسا ضدها مع الرومان.

(3) Diodore, L.III, C. 17.

(4) Salluste, XVI, XVIII.

للأخطار[1] كمرتزقة أو تفرض عليهم واجب أداء الخدمة العسكرية إن كانوا من تابعيها، وقد برهن النوميديون في كثير من المواقع عن شدة بأسهم ورباطة جأشهم منها صقلية وإسبانيا[2].

وتشهد المصادر التاريخية على أهمية الجنود النوميديين وعددهم الكبير في الجيوش القرطاجية منها ما أشار إليه كل من بوليب[3] وديودور الصقلي[4] أما تيت ليف[5] فيقول في هذا الشأن: « وكان معظم هؤلاء المرتزقة ليبيين، فقد كانوا محاربين أشداء في جيش حن بعل (Hanni Baal)» خلال الحرب البونية الثانية (218-201 ق.م)، ويقول بوليب[6]: « كان النوميديون يشكلون معظم الجيش القرطاجي في إسبانيا ». وكان معظم الجنود الذين أرسلتهم قرطاجة إلى صقلية في 241 ق.م ليبيون (نوميديون)، فلم يكن لدى قرطاجة صعوبة في تجنيد فرق جديدة من المرتزقة حيث كانت أعدادهم كبيرة جدا في الجيوش القرطاجية[7].

ورغم الدّور الذي كان يقوم به هؤلاء المرتزقة في الدفاع عن قرطاجة ومساعدتها على حماية مصالحها الإستراتيجية في الحوض الغربي للمتوسط ، إلا أنهم وفي نفس الوقت كانوا يشكلون تهديدا حقيقيا لها في بعض الأحيان مثل ما حدث لها عقب الحرب البونية الأولى خلال (241-237 ق.م) عندما ثار ضدّها عشرة آلاف من المرتزقة كان جُلّهم ليبيون (نوميديون)[8].

ويمكن أن نبرز العدد الكبير للجنود النوميديين في الجيش القرطاجي من خلال الفرق المكونة له حيث كان يتكون، بالإضافة إلى المواطنين القرطاجيين الذين يشكلون أقلية، من أعداد كبيرة من النوميديين بصفتهم لواحق أو خاضعين أو مرتزقة.

- **لواحق** (Auxiliaires) : وهم الشعوب والحلفاء والأمراء الرسميين للدولة، وكان من بين هؤلاء الحلفاء سيفاكس (Syphax) في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد. كما

(1) Lapayer, (G), op. Cit, p. 96.
(2) Diodore, X, 14, 77.
(3) Polybe, I, 65, 88.
(4) Diodore, XXX, 2. 6.
(5) Tite-live, XXIII, 18, 1.
(6) Polybe, III, 15. 33.
(7) Babelong. (J), observations sur quelques monnaies de Libye, acte du 79 congrès national des sociétés savantes, Alger, 1954, Paris, imp.nat, (1957), p. 25.
(8)

كان ماسينيسا أيضا حليفا للقرطاجيين قبل أن يُغيّر من سياسته تجاه القرطاجيين في الحرب البونية الثالثة.

- **الخاضعون** (Sujets) : وهم الأهالي على الحدود التابعة للإمبراطورية القرطاجية في إفريقيا وأوربا، وقد كانت الخدمة العسكرية واجبا مفروضا عليهم، تماما كأداء الضريبة، وكان معظم تابعيها هؤلاء من النوميديين، حيث خسرت قرطاجة جل مستعمراتها في شمال المتوسط في إطار صراعها ضدّ الإغريق والرومان[1].

- **مرتزقة** (Mercenaires): وهم الجنود الذين تربطهم عقود مع الدّولة القرطاجية، حيث ينتهي العقد بنهاية الحرب محل العقد. وكانت قرطاجة تأخذ معظم هؤلاء من إفريقيا (خاصّة بلاد النوميديين)، وأيضا من بلاد الإغريق[2].

ومن ذلك نستنتج أن أغلب الجنود القرطاجيين كانوا من أصول إفريقية من فئة الخاضعين أو اللواحق، أما المرتزقة فكانوا من مناطق مختلفة، ولكن من المحتمل أن تكون أغلبيتهم أيضا نوميدية، بسبب المنافسة الإغريقية ثم الرّومانية لقرطاجة في محاولات تجنيد المرتزقة من شمال المتوسط وقلة وجود منافسين لها في إفريقيا.

كان هؤلاء الجنود يتعرضون للاحتكاك اليومي والمستمر مع القرطاجيين خلال هذه الحروب، ومن ثم ينقلون هذه التأثيرات الحضارية التي تعلموها إلى أوطانهم البعيدة عقب نهاية تلك الحروب، ويقول ج. هـ. بوسكيه[3] (Bousquet G. H) في ذلك: « يبدأ التأثير بالمرتزقة الذين يعودون إلى منازلهم»، ويتجلى التأثير أيضا من خلال ما قاله غوتيه. إ. ف[4]: « لقد كان معظم الجنود الذين شاركوا في الحروب البونيقية الأولى يتحدثون البونيقية».

فكما جلبت خصائص النوميديين الجسمية قرطاجة، فقد امتلك النوميديون حصانا نال شهرة كبيرة[5] في القدرة على التحمل والجلد والانصياع لأوامر فارسه في الكر والفرّ، لذلك أولى الملوك النوميديون أهمّية كبرى لتربية الأحصنة التي كانت تحتاجها

---

(1) حول الموضوع انظر: Gsell. (S), H.A.A.N, t. 2, p. 253.
(2) Gsell. (S), Loc. Cit.
(3) Camps. (G), Les berbères, p. 33.
(4) Gautier. (E. F), op. Cit, p. 265.
(5) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, pp. 81-82.

فرق الخيالة، فنقشوا صورته على نقودهم[1]، ومن المؤكد أن قرطاجة قد استفادت من الخيول والخيالة النوميديين.

3) العلاقات الاقتصادية القرطاجية – النوميدية من القرن الثالث إلى 146 ق.م:

تعود العلاقات الاقتصادية بين الليبيين والفينيقيين ثم القرطاجيين من بعد إلى فترة زمنية بعيدة جدا، إلى فترة سابقة لتأسيس قرطاجة نفسها، أي إلى مرحلة الارتياد ثم الاستقرار الفينيقي في شمال إفريقيا خلال نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد[2]. فقد كان من الضروري على الفينيقيين إنشاء علاقات مع الأهالي الذين كانوا يدعمون تجارتهم ويقومون بإمدادهم باليد العاملة القوية[3]، حيث لم يكن عدد المهاجرين الفينيقيين كبير، وكان يجب عليهم لكي يجهزوا سفنهم ويدعموا جيوشهم ويزرعوا أرضهم أن يطلبوا مساعدة النوميديين[4].

وقد جذبت المواد التي كان يتاجر بها الفينيقيون– القرطاجيون النوميديين، كما كان سكان المناطق المجاورة للمراكز والمُدُن القرطاجية يفدون جماعات جماعات ليشتروا البضائع منهم، وليبيعوا بضاعتهم لهؤلاء التجار[5]. وقد لعب الليبيون دورا هاما في نقل المنتجات الفينيقية والقرطاجية فيما بعد نحو المناطق الداخلية بحكم معرفتهم بالطرق والمسالك ومراكز العمران في مناطق جنوب الأطلس، فهم أقدر من غيرهم على نقل البضائع ومبادلتها بين الصحراء والتّل، مما جعلهم يشكلون همزة وصل بين مراكز التجارة في التل وواحات الصحراء وما وراءها[6].

وكان الفينيقيون يتاجرون مع القوافل السودانية[7]، ومع دواخل إفريقيا منذ القرن الثاني عشر ق.م عن طريق الليبيين. ويبدو أن العملية التجارية كانت مربحة للطرفين[8]، فالربح الذي كان يجنيه الليبيون من هذه التجارة وإعجابهم بالمواد المصنّعة

---

(1) Trousset. (M), Monnaies, p. 133 ; p. 152.
(2) Gsell. (S), l'Algérie, loc. Cit.
(3) Gsell. (S), , op. Cit, p. 373.
(4) Piganiol. (A), la religion, p. 816.
(5) شنيتي. (م. ب)، التوسع، ص. 10.
(6) Justin, liv. 18, 20.
(7)
(8) Laroux. (G), Les anciennes civilisations, éd. Hachette, Paris, (S.D), p. 78.

الشرقية جعلهم يقيمون علاقات مع الفينيقيين والقرطاجيين، ويشركونهم أرضهم. لكن خلال الفترة السّابقة لتأسيس قرطاجة إلى غاية القرن الخامس قبل الميلاد لم تكن المبادلات التجارية بينهما غنية ومتنوعة كنتيجة لعدم اهتمام الفينيقيين بإفريقيا، إذ كانت إفريقيا بالنسبة لهم نقطة استراحة أكثر من أن تكون مركزا تجاريا[1]، وكانت العمليات التجارية تتم عن طريق المقايضة[2].

وبعد تأسيس قرطاجة حوالي 814 ق.م بدأت تلك المبادلات التجارية تنموا شيئا فشيئا، خاصّة بعد القرن الخامس ق.م، حيث أضاف القرطاجيون إلى الرصيد القديم الذي تركه لهم الفينيقيون من مراكز ومحطات ومعمرات، محطات ومراكز جديدة. فازدادت وتضاعفت هذه لتشمل كل السواحل النوميدية[3]، كذلك ازداد عدد المراكز البونيقية خلال رحلة حانون[4] (Hannon)، وهذا يعني تطوّر العلاقات بين القرطاجيين والقبائل النوميدية، فأصبحت العلاقات التجارية أكثر تنوعا وايجابية. ويُفسر هذا باهتمام القرطاجيين أكثر بإفريقيا من الناحية التجارية، وتدل كميات النقود البونيقية التي عثر عليها في مواقع مختلفة من المدن النوميدية على مدى تطور العلاقات التجارية القرطاجية النوميدية، منها النقود التي عثر عليها في صلداي (بجاية) والتي تعود إلى نهاية الحروب البونيقية الثانية[5].

ولم يقتصر التعامل التجاري القرطاجي على سكان المدن الساحلية فقط بل أنها مارست التجارة مع الأهالي سكان المناطق الداخلية أيضا، عن طريق التوغل داخل إفريقيا دون إنشاء المستوطنات[6]، حيث كان النوميديون البدو يلعبون دور الوسيط التجاري في نقل البضاعة القرطاجية والشرقية إلى أبعد الأماكن[7]. وقد جنت بعض المدن النوميدية أرباحا طائلة من جراء هذه الوساطة التجارية حيث كانت هذه الأخيرة

---

(1)

(2)

(3) سارتون. جورج، المرجع السابق، ص. 155.

(4) نفس المرجع، ص ص. 153- 194.

(5) عثر على 3000 قطعة نقدية بونيقية تعود إلى الفترة الممتدة ما بين 218- 201 ق. م. انظر:
Laporte. (J. P), monnaies puniques de Saldae (Bougie), B.S.N.A.F, éd. diffusion de Boccard, Paris, (1999), pp. 221-225.
Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 373.

(6)

(7) شنيتي. (م. ب)، المرجع السابق، ص. 9.

نقطة النهاية للطريق الأكثر استعمالا، والذي تسير عليه القوافل عابرة الصحراء، هذه الطريق التي تربط النيجر الأعلى والأوسط بالبحر المتوسط[1].

وقد تساءل ستيفان غزال[2] (Gsell. S) عن مدى أهمّية وكمية المواد المتاجر بها داخل القارة أي أهمية إفريقيا بالنسبة للتجارة القرطاجية؟. وتجيبنا رحلة حانون (Hannon) عن هذا التساؤل بمدى أهمّية إفريقيا بالنسبة للتجارة القرطاجية، والتي كانت تمد القرطاجيين بمواد أولية كالتبر والأحجار الكريمة في بعض المناطق، بالإضافة إلى الأصواف والجلود وريش النعام وبعض الحبوب. وبالمقابل كان التوميديون يأخذون المواد المصنعة كالمجوهرات والعطور[3] والمواد القادمة من الشرق كالحطب والخمر[4].

لقد كانت المبادلات التجارية قبل ماسينيسا تتم في معظم الأحيان عن طريق المقايضة[5]، ومن ثّمَ ازدادت المبادلات بين الطرفين بعد قيام الممالك الوطنية، وتطوّرت المعاملات والنشاط التجاري باستعمال النقود، كما دل على ذلك كثرة النقود القرطاجية التي وُجدت في تيديس[6] (Tiddis) التابعة لنوميديا وفي غيرها من المدن النوميدية الأخرى كالقل[7] وقسنطينة[8].

لعبت التجارة دورا كبيرا في نقل التأثيرات الحضارية البونيقية إلى النوميديين وإلى ابعد الحدود، فالاحتكاك الدائم بين هؤلاء التجار سمح للنوميديين أن يتعرفوا على الحضارة القرطاجية ويتعلموا لغتهم، ويتعرفوا على المعتقدات الدّينية القرطاجية، ثم التعلق بها ومن ثم تبنيها فيما بعد.

كما سمحت للنوميديين بالدخول إلى المدن القرطاجية بهدف العمل فيها والمتاجرة مع المقيمين فيها، وبالمقابل سمحت للقرطاجيين بالتوغل نحو الداخل والتعريف بحضارتهم، ويقول أ. البرتيني[9] (Albertini. A) في ذلك:« إن التجار

---

(1) Warmington. (B. H), Op. Cit, p. 77.
(2) Gsell. (S), Op. Cit, p. 167.
(3) Basset. (R), Les influences, loc. Cit.
(4) Ency Univ, t. 5, p. 531.
(5) Mazard. (J), Op. Cit, p. 156.
(6) مدينة تقع بالقرب من قسنطينة، و متأثرة إلى حد كبير بالحضارة البونيقية.انظر: Trousset. (M), le trésor, p. 131.
(7) Gsell. (S), Op. Cit t. 2, p. 154.
(8) Moscati. (S), les Phéniciens, éd. Bompiani, Milan, (1988), p. 178.
(9) Albertini. (E), Op. Cit., p.43.

القرطاجيون لم يتوقفوا عند حدود تبادل السلع فقط، بل أن النوميديين الذين كانوا في علاقات دائمة معهم تعلموا اللغة والديانة البونيقية أيضا".

ولم يكن التعامل التجاري بين النوميديين والقرطاجيين هو الميدان الاقتصادي الوحيد، ولكن التجارة كانت أوسع وأشمل. وبالنظر إلى قلة العنصر البشري القرطاجي في المنطقة وانشغال القرطاجيين بالنشاطات التجارية، المدنية والعسكرية فقد شملت التعامل الاقتصادي الجوانب الأخرى أيضا كالنشاط الزراعي والصناعي[1]. فليس من المستبعد أن يكون القرطاجيون قد أوكلوا أمر الأعمال الزراعية إلى الفلاحين النوميديين الخاضعين لسيطرتهم للإشراف عليها[2].

كما استفاد النوميديون من المراكز التجارية البونيقية القرطاجية، بعد سقوط الدّولة القرطاجية في 146 ق.م، عن طريق بسط نفوذهم عليها فأدى ذلك إلى تطوّر التجارة النوميدية. حيث قام العاهل النوميدي ماسنسن (Mss'nssen) بإلحاق عدد هام من المُدُن التابعة لقرطاجة[3] إلى مملكته بعد الحرب البونية الثانية (218-201)، واستولى أيضا على العديد من الموانئ التابعة لقرطاجة[4] ما سمح له بإحكام السيطرة والمراقبة عليها وعلى التجارة الساحلية، وبذلك استفاد النوميديين من ذلك في جوانب مختلفة منها تطوّر التجارة النوميدية واستغلال خبرات قرطاجة التجارية والصناعية الواسعة[5].

4) العلاقات الاجتماعية القرطاجية – النوميدية من ق الثالث إلى 146 ق.م:

تحتل العلاقات الاجتماعية بين النوميديين والقرطاجيين أهمية كبيرة في مجال التأثير من خلال الروابط الاجتماعية التي نشأت بين الطرفين، حيث اختلط دَمُ النوميديين بالدّم القرطاجي منذ فترة مُبكرة جدا، فقد بلغ من امتزاج الشعبين القرطاجي بالنوميدي أن تكوّنت بينهما وحدة متكاملة فاندمج الكلّ في الكلّ، وأوثقوا روابط

---

(1) كانت المعاملات الاقتصادية بين القرطاجيين والنوميديين واسعة وهامّة جدا. انظر: شارن. (ش)، المرجع السابق، ص. 6؛ 443-473.
وأيضا:
Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 136.

(2) شنيتي. (م. ب)، سياسة الرّومنة، ص. 105.

(3) Salluste, V.

(4) Mahdjoubi. (S), Op. Cit, p. 106.

(5) Slim . (M), et autres, Op. Cit, p. 106.

الاتصال هذا بالزواج بينهما الخاصّة منهم والعامّة[1]. فالزواج كان يربط الأمراء النوميديين بأعضاء الطبقة الأرستقراطية القرطاجية[2]، فبالرغم من رفض عليسة (Elissa) لطلب الأمير الليبي يرباص (Yarbas) بالزواج منها ثم انتحارها[3]، إلاّ أن هذا لا يمنع احتمال أن تكون هناك حالات سابقة من الزواج بين الفينيقيين والليبيين قبل تأسيس قرطاجة بزمن، وربّما هذا ما شجّع يرباص على طلب يد الأميرة الفينيقية عليسة. ولكن من المؤكد أنه قد حدثت بعد ذلك الكثير من حالات الزواج، والوعود بالزواج بين النوميديين والقرطاجيين، ويشجعنا على هذا الرأي ما عثر عليه قي القبور القرطاجية من أدوات وأسماء مختلطة قرطاجية نوميدية (ليبية)[4] وأيضا حالات الزواج التي وقعت فيما بعد كزواج أوزلسيس(Oezaleces) عم ماسينيسا(Massinissa) بفتاة من الأرستقراطية القرطاجية[5]، كما وعد أملكار برقة (Amilcar Barca) الأمير الليبي نرفاص (Nèharvas) بأن يزوِّجه من إحدى بناته[6]، ووُعد ماسينيسا بالزواج من سوفونيزبة ابنة أزدروبعل والتي تزوجها سيفاكس ملك نوميديا الغربية، فقد كان النوميديون معجبون ببنات الأرستقراطية القرطاجية لذلك فلا نستغرب أن يكثر هذا النوع من العلاقات[7].

ولم تكن العلاقات الاجتماعية تقتصر على روابط الزواج بين الطبقة الأرستقراطية من الطرفين فقط وإنما كانت الطبقة العامة أيضا موثقة الأواصر، وبفضل هذه العلاقات العائلية عاش الكثير من النوميديين في مدينة قرطاجة أو المدن التابعة لها، ونشأ كثير منهم عند أقارب لهم أو احتك بهم في مدينة قرطاجة فتغيرت نظرة النوميديون إلى الحضارة البونيقية، ولم يعودوا ينظرون إليها على أساس أنها غريبة ونشأ هؤلاء الذين تربوا في قرطاجة بونيقيون، ثم نقلوا هذه الثقافة إلى أوطانهم

(1) الجيلالي. محمد بن عبد الرّحمان، المرجع السابق، ص. 54.
(2) Bosquet. (G. H), op. Cit, p. 31.
(3) Justin, liv. XVIII. 5-6.
(4) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 465.
(5) Tite-live, XX, 12-29.
(6) Polybe, I, 78.
(7) Bosquet. (G. H), loc. Cit.

البعيدة فتأثر بها رعاياهم[1]. وكان من بين هؤلاء ماسينيسا الذي تربى في قرطاجة بين كبار المدينة[2].

ولم يكن الزواج مقتصرا على طلب النوميديين ليد القرطاجيات فقط، بل أن القرطاجيين قد تزوجوا بنات النوميديين أيضا، ونقلت لنا الكتب أن إحدى بنات ماسينيسا (Massinissa) قد تزوجت بأحد أفراد الطبقة الأرستقراطية القرطاجية[3].

هذه الروابط العائلية جعلت ج. كامبس[4] (Camps. G) يقول عن ماسينيسا الذي نشأ في قرطاجة: « إن هذا النوميدي كان بونيقيا شكلا ومضمونا (أي ثقافة)، وكان يجري في عروقه من الدّم القرطاجي بنفس القدر الذي كان يجري في عروق حنبعل (Han baal) من الدّم الإفريقي»، وكذلك كانت نشأة جدّه غايا (Gaia) في قرطاجة بونيقية أيضا، ويُقال أنه كان يحمل لقب سوفات (الشوفيط) (Suffét) حيث حكم في دوقا (Dugga) باسم قرطاجة[5].

وبالرغم مما حملته هذه الزيجات من طابع سياسي يدل على سعي قرطاجة لاستمالة الليبيين عموما وخاصّة جيرانها النوميديين إلى جانبها، وذلك بربط علاقات عائلية معهم بالزواج أو الوعود بالزواج[6]، إلاّ أن آثاره الحضارية كانت كبيرة جدا. والواقع أن قرطاجة قد نجحت في استمالة الليبيين عن طريق هذه السياسة إلى حد بعيد، فكوّنت حولها أصدقاء وحلفاء من الأمراء النوميديين، فلم تكن بحاجة إلى التوسع بالقوة العسكرية. لكن نكثها بوعودها كان يثير غضب النوميديين في بعض الأحيان حسب ما روته المصادر، فإعطاؤها سوفونيزبة (Sophonisbe) خطيبة ماسينيسا لسيفاكس[7] (Syphax) كان السبب المباشر في تغير سياسته مع قرطاجة، السبب الرومانسي الذي أولى المؤرخون له أهمّية كبرى لتبرير انقلاب ماسينيسا على قرطاجة والوقوف ضدها[8] إلى جانب الرومان. ولعل وقوف ماسينيسا، أشهر وأقوى الملوك النوميديين،

(1) Basset. (R), Op. cit, p. 11.
(2) Lapaye**r**. (G), Op. Cit, p. 117.
(3) Bosquet. (G. H), Op. Cit, p. 34.
(4) Camp**s.** (G), Berbères, p. 46.
(5) Huba**c**. (P), Op. Cit, p. 207.
(6) Camp**s,** (G), Op. Cit, p. 150.
(7) Camp**s,** (G),Loc. Cit.
(8) Salluste, V.

في وجه قرطاجة كان سعيا وراء استعادة أملاك أجداده وإلى تكوين دولة قوية في المنطقة متخذا من قرطاجة نموذجا لذلك[1].

ارتبط النوميديون مع القرطاجيين بأواصر وعلاقات عائلية لا شك أن الهدف الأساسي منها كان يتمثل في توطيد العلاقات السياسية بين الطرفين بالدرجة الأولى، ولكن النتيجة الحضارية المترتبة عنها تكون أعظم، فلا يمكن إنكار الدور الحضاري الذي تلعبه المرأة في المجتمعات سواء في الماضي أو الحاضر، فهي المدرسة الأولى التي يتلقى على يديها الأبناء أبجديات الحياة والناقل الأساسي والأول للمعارف الحضارية الأولى من لغة وعادات ومعتقدات دينية. وكل ما نتلقاه في الصغر يبقى محفورا في أذهاننا فلا يمكن أن يزول بسهولة ويُسر.

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نستخلص ما يلي:

– ساهمت عوامل عدة في نقل التأثيرات القرطاجية المختلفة إلى النوميديين، فيمكن أن تكون الأصول البعيدة للشعبين الفينيقي والليبي واحدة، تعززت بامتزاج بين الليبيين والفينيقيين كانت نتيجته الشعب القرطاجي أو ما يطلق عليه البونيقي.

– عمل الزمن الطويل والتجاور على تمتين الروابط والعلاقات بين النوميديين والقرطاجيين.

– تطورت العلاقات بين النوميديين والقرطاجيين من المبادلات التجارية لتشمل جميع النواحي السياسية، الاقتصادية، العسكرية والاجتماعية.

– ساهم السكان الأصليون لشمال إفريقيا في تكوين حضارة جديدة منذ وصول الفينيقيين إلى المنطقة، وفي ظل الدّولة القرطاجية، أطلق عليها الحضارة البونيقية. هذه الحضارة التي تختلف عن ما جاء به الفينيقيون الأوائل. لذلك لا نستغرب تمسك سكان نوميديا بها بعد زوال قرطاجة.

(1) Basset. (R), les influences, p. 18.

الفصل الثالث:

التأثير القرطاجي في نوميديا في مجال الزراعة من القرن الثالث إلى 146 ق.م.

أولا: التأثير القرطاجي في مجال توفير الأمن والاستقرار.

ثانيا: التأثير القرطاجي في مجال الرَّي.

ثالثا: التأثير القرطاجي في مجال أدوات الإنتاج الزراعي.

رابعا- التأثير القرطاجي في مجال المزروعات.

خامسا: التأثير القرطاجي في مجال تربية الحيوانات.

أثبتت الدراسات الحديثة قدم عهد النوميديين بممارسة الزراعة، وأثبتت التنوع الكبير في ثروات نوميديا الطبيعية النباتية والحيوانية[1]، وأن النوميدي لم يكن لينتظر غيره حتى يتعلم كيف ينتج طعامه[2] أو يبتكر ما يحتاجه من أدوات[3]، ومن خلال ذلك نطرح تساؤلا حول مجالات التأثير القرطاجي في الزراعة النوميدية، وما المدى الذي بلغته هذه التأثيرات؟

أولا: <u>التأثير القرطاجي في مجال توفير الأمن والاستقرار</u>:

من المؤكد أن حاجة المزارعين إلى الأمن لممارسة الزراعة ضرورية وأن الاستقرار يعني ممارسة الزراعة، ويُعتقد أن لقرطاجة دورا كبيرا في توفير الأمن للمزارعين الذين كانت محاصيلهم الزراعية تتعرض لغارات البدو الرحل من حين إلى آخر، وذلك من خلال تكوين قرطاجة بداية من القرن الخامس قبل الميلاد إقليما خاصا بها، فأخذ هذا الإقليم في التوسع شيئا فشيئا حتى وصل إلى صفاقس جنوبا وشمل بعض المدن والأراضي الشرقية الجزائرية[4] (النوميدية)، وأثناء هذا التوسع ضمت قرطاجة أراضي واسعة صالحة للزراعة كانت تابعة للنوميديين. كما كونت جيشا قويا يضمن هيبة الدولة، وساعد ذلك على فرض الأمن للنوميديين المستقرين التابعين لقرطاجة أكثر من أي وقت مضى[5]، وكتب في ذلك م. ح. بشاري[6] قائلا :« ساعدت عدة عوامل على توسيع نشاط الزراعة بين الأهالي في نوميديا... منها قيام سلطة مركزية » ما ساعد المزارعين على ممارسة عملهم دون خشية تحركات البدو الرحل واتقاء غاراتهم التي كانت تأتي على محاصيلهم الزراعية أوقات الشدّة[7]، وهكذا تكونت الكثير من المدن الجديدة معتمدة على اقتصاد زراعي، وهذا دليل على تطور الزراعة في

---

(1) شارن. (ش)، المرجع السابق، ص ص. 15؛ 17-19.
(2) Camps. (G), <u>Massinissa</u>, p. 65.
(3) Balout. (L), <u>préhistoire</u>, p. 455.
(4) المدني، توفيق، <u>قرطاجنة في أربعة عصور، من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي</u>، م.و.ك، (1986)، ص. 30.
(5) Gsell. (St), <u>H.A.A.N</u>, t. 4, p. 10.
(6) بشاري. (م. ح)، المرجع السابق، ص ص. 40- 41.
(7) شنيتي. (م. ب)، <u>التغيرات</u>، ص ص. 157- 187.

نوميديا[1] سواء على السواحل أو في المناطق الداخلية. ومن ثم ظهرت المدن الزراعية في المملكة النوميدية كمدينة دوقا (Dugga) وتبسه وسيرتا العاصمة[2].

ويمكن أن يكون النوميديون قد تأثروا بقرطاجة في محاولة توفير الأمن والاستقرار الضروريين لممارسة الزراعة، وهو ما عمل الملوك النوميديون على توفيره. وربما تتدرج الجهود التي قام بها العاهل النوميدي ماسينيسا في هذا الإطار عندما عمل على فرض الاستقرار على القبائل النوميدية موفرا الأمن لهم[3].

كما استفاد النوميديون من الأراضي الزراعية التي استرجعوها من قرطاجة في عهد ماسينيسا، والتي عرفت بخصوبتها وبكثافة سكانها الذين كانوا يمتلكون خبرات واسعة في مجال الزراعة. و نذكر كان بين تلك الأراضي التي استرجعها النوميديون السهول الكبرى بحوض وادي مجردة وسهول تونس الوسطى[4].

تظهر الاستفادة النوميدية من توفر الأمن والاستقرار ارتفاع الإنتاج الزراعي، بخاصة الحبوب التي كانت تُزَود بها قرطاجة و بالمواد الغذائية الأخرى من خلال تجارتهم معها، ويؤكد ارتفاع الإنتاج الزراعي من الحبوب إرسال النوميديين كميات هامّة من القمح لحلفائهم في الحروب، مثل ما فعل ماسينيسا مع الرومان عندما أرسل إليهم كميات معتبرة من القمح والشعير بلغت 200 صاعا في سنة 198 ق. م و في سنة 171 ق. م أرسل مليون صاعا حسب ما ذكره تيت ليف[5].

ثانيا: <u>التأثير القرطاجي في مجال الرَّي</u>:

تضافرت عدة عوامل على جعل نوميديا فقيرة فيما يخص الثروة المائية – خاصّة المنطقة الشرقية منه – منها قلة التساقط وسوء توزيعه الزمني والمكاني، إضافة إلى طبيعة التضاريس وافتقارها إلى أنهار كبرى[6]، ما ولّد الحاجة إلى الماء. أنتج ذلك الحاجة إلى البحث عن مصادر للمياه والحفاظ عليها وابتكار وسائل لتخزينها.

---

(1) Gsell. (St), Loc. Cit.

(2) شنيتي. (م. ب)، <u>الاحتلال</u>، ص. 100.

(3) بشاري. (م. ح)، المرجع السابق، ص ص. 40-41.

(4) Gsell. (S), Op. Cit, t. 5, p. 88.

(5) Tite- live, XXXII, 27, 2 ;XLIII, 6.

(6) شنيتي. (م. ب)، <u>التغيرات</u>، ص. 103-104

وتؤكد بعض الدراسات أن النوميديين قد اكتشفوا هذه المعضلة منذ أوقات مبكرة وحاولوا إيجاد الحلول المناسبة لها، دليل ذلك في آثار تازبنت المتمثلة في عملية تحضير الأرض لاستغلالها في الزراعة. كما أقاموا الأسوار التي كانت تضمن تجميع المياه والحدّ من سرعة تدفقها، وابتكار تقنيات لحماية التربة من الانجراف[1]، وكذلك عن طريق إنشاء قنوات للرّي[2].

ولا شك أنه كان لقرطاجة تجربة في ميدان الرّي تمثلت في شق القنوات وحفر الآبار وبناء الصهاريج، ولكن هذه التجربة اقتصرت على المناطق التي كانت تحتلها فقط أي المناطق التونسية الحالية، وقد أشار ديودور الصقلي[3] إلى تلك البساتين والحقول التي كانت تُسقى والتي أبهرت جنود أقاثوكليس أثناء حملته على قرطاجة في 310 ق.م.

وأمام قلة المعلومات وقلة الدراسات الخاصة بهذا الميدان فإننا نؤيد الرأي الذي ذهب إليه م. ب. شنيتي[4] حيث قال: «...ونجهل (بالضبط) المساهمة التي قدمتها الزّراعة القرطاجية في مجال الرّي للفلاحين النوميديين اللذين كانوا سبّاقين للاستفادة من خبرة جيرانهم القرطاجيين، ولكن يظهر أن النوميديين كانوا يعتمدون في أغلب الأقاليم التابعة لهم على السقاية الطبيعية، حيث اقتصرت المساحات الزراعية لديهم على الأقاليم الملائمة مناخيا، وإن كانت جهود الملك مسينسن لا غبار عليها في ميدان إحياء الأراضي الموات».

ولعل التأثير القرطاجي في نوميديا في مجال الرّي انحصر في جلب بعض التقنيات التي لم تكن معروفة لدى النوميديين، وتطوير التقنيات الليبية الموجودة قبل قرطاجة وتشجيع النوميديين على توسيع المساحة الزراعية عن طريق الرّي، أما جغرافيا فتنحصر في المناطق التي كانت تحت التأثير البونيقي. ومن خلال ذلك يمكن لا يمكن أن نقدم أحكاما حول هذا الموضوع واعتبار أن التأثير القرطاجي في نوميديا فيما يخص الرّي لا يزال بحاجة إلى دراسات أكثر تخصصا وعمقا.

---

(1) Balout. (L), Op. Cit, p. 452.

(2) حارش. (م. هـ)، التطور، ص. 108.

(3) Diodore, Bib. His, XX, VIII, 4.

(4) شنيتي. (م. ب)، التغيرات، ص. 105.

ثالثا: التأثير القرطاجي في مجال أدوات الإنتاج الزراعي:

تدل الشواهد الأثرية التي عثر عليها في نوميديا على وجود أدوات استخدمها أجداد النوميديين في مجال الزّراعة وذلك منذ العهد النيوليتي[1]، أي قبل قدوم الفينيقيين إلى شمال إفريقيا، هذه الأدوات التي استمروا في استخدامها كالمجرفة والمعول[2].

ومن الملاحظ أن القرطاجيين لم يدخلوا الكثير من الأدوات والآلات الجديدة[3] على مستوى واسع إلى نوميديا، بل أن الآلات التي استعملها النوميديون قديمة تعود إلى ما قبل العهد الفينيقي بكثير، وقبل أن يظهر المحراث استخدم الفلاّح الليبي المجرفة والمعول. أما المحاريث فقد وجد منها نوعان محلي وآخر شرقي فينيقي – قرطاجي[4]. (أنظر: الشكلين رقم (22)، (23))، وأدخل الفينيقيون آلة جديدة تتمثل في آلة الدّرس البونيقية (Plostellum poenicum) وهي عبارة عن قطعة خشبية تتكون من عجلات مسننة، ولا تزال هذه الآلة مستعملة إلى يومنا هذا في بعض أرياف تونس الحالية، المنطقة التي شهدت التواجد القرطاجي الدائم، وبقي النوميديون في المناطق الأخرى يعملون بآلات محلية وفق طرق الدرس المحلية إلى يومنا هذا[5]، حيث كانت حوافر الحيوانات هي التي كانت تقوم بمهمّة الدرس.

رابعا- التأثير القرطاجي في مجال المزروعات:

1) التأثير القرطاجي في مجال زراعة الحبوب:

تتطلب زراعة الحبوب (القمح والشعير) شروطا طبيعية خاصّة تتمثل في كمية من الأمطار تتراوح بين400-600 ملم سنويا بالنسبة للقمح وأقل من ذلك للشعير، وتربة خصبة غنية بالمواد الدبالية (العضوية المخصبة للتربة) والمعادن للقمح، أما

(1) Basset. (R), Op. Cit, p. 9.
(2) Camps. (G), Op. Cit, pp. 81-83.
(3) حارش. (م. هـ)، المرجع السابق، ص. 123.
(4) Camps. (G), Loc. Cit.
(5) Gsell. (S), Op. Cit, pp. 14- 15.

زراعة الشعير فيمكن أن تكون في أراض أفقر وأقل خصوبة، هذه الشروط الطبيعية متوفرة في القسم الشمالي والأوسط من بلاد المغرب ما يجعل إنتاج القمح والشعير ممكنا منذ أقدم العصور[1].

ويؤكد بعض المختصّين الأصول الليبية للقمح الموجود في المنطقة[2]. وما يؤكد كذلك أصولهما المحلية تسميتهما فيطلق على القمح عند الليبيين القدماء إردن (irden) في الجمع وإرد (ired) في المفرد[3]. أما الشعير فتسميته الموحدة عند الليبيين (Timzin) جعلت بعض المختصّين يقولون بأصولية زراعته من طرف الليبيين[4].

نالت زراعة الحبوب خاصة زراعة القمح والشعير اهتمام النوميديين، فنقشوا صورة سنابل القمح على نقودهم، وكان الإنتاج من النوع الجيد ومتوفرا بشكل كبير جعله يكتسب شهرة واسعة ويحتل مراتب أولى في الأسواق المتوسطية آنذاك[5].

ويرى المختصّون في هذا المجال أنه لم يكن للقرطاجيين_دور كبير في مجال زراعة الحبوب، خاصّة القمح والشعير، حيث كتب س. غزال[6] (Gsell. S) في هذا الصدد : « يظهر أن زراعة القمح والشعير كانت من عمل الليبيين وحدهم، وحتى ماقون العالم الزراعي القرطاجي لم يعرها أهمّية كبيرة في عمله». ولم يتعد هذا الدور تشجيع وتطوير (القرطاجيين) لهذا النوع من الزّراعة[7]، عن طريق إدخال بذور جديدة، وآلات وتقنيات جديدة للحرث والبذر[8]، ويرى م. ح. بشاري عكس ذلك، حيث يقول أن القرطاجيين قد أولوا لهذه الزراعة أهمية كبرى لما تمثله من أهمية إستراتيجية[9].

---

(1) لم تتغير الظروف المناخية تغيرا كبيرا في بلاد المغرب منذ عصور قديمة. انظر: بشاري. (م. ح)، المرجع السابق، ص ص. 06-10.

(2) Camps. (G), massinissa, pp. 72- 75.

(3) حارش. (م. هـ)، المرجع السابق، ص. 110.

(4) Camps. (G), Op. Cit, p. 79.

(5) شارن. (ش)، المرجع السابق، ص. 431.

(6) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 3, p. 11.

(7) Basset. (R), les influences, p. 08.

(8) Camps. (G), Op. Cit, pp. 79-80.

(9) بشاري. (م. ح)، المرجع السابق، ص ص. 17- 19.

2) التأثير القرطاجي في مجال زراعة البقول:

أدخل القرطاجيون أنواعا من البقول لم تكن معروفة عند الليبيين منها الفول، العدس، الحمص ويرى ج. كامبس[1] أن بعض الأنواع من البقول الموجودة في نوميديا جاء بها الفينيقيون إلى نوميديا مثل الحمص والعدس، وذلك اعتمادا على التسميات التي يُطلقها الليبيون على هذه النباتات، حيث يطلق الليبيون عليها أسماء ذات أصول سامية أو هي تحريف لها، فيطلق مثلا اسم الحمز (Homaz) على الحمص في اللهجات المحلية (إذ قلبت الصاد زايا)، أما العدس فقلبت الدال تاء (أي العتس) (Attes)[2] لدى بعض الليبيين وعند البعض الآخر حافظت هذه الكلمة على نفس الحروف دون تغيير.

3) التأثير القرطاجي في مجال زراعة الأشجار المثمرة:

بالرغم من وجود – دون شك – الكثير من أنواع الأشجار الأصيلة في نزميديا التي وُجدت في الطبيعة في شكلها البرِّي[3] إلاّ أن التساؤل الذي نطرحه هو: هل توصل النوميديون إلى استئناس وزراعة تلك الأنواع الكثيرة من الأشجار المثمرة واستغلالها قبل قدوم الفينيقيين إلى بلادهم؟ و ما هو أثر القرطاجيين في هذا المجال؟

إذا لم يكن للقرطاجيين دور كبير في مجال زراعة الحبوب، فإن الدراسات[4] تؤكد أنه لم يكن الشأن ذاته بالنسبة لزراعة الأشجار المثمرة والتي كان استغلالها في مرحلة مبكرة عند الليبيين حيث يرى ر. باسيه[5] (Basset. R) "أن الليبيين لم يتعدوا قطف الثمار منها"، وأنه لم يكن هناك أي نوع من الأشجار المثمرة يزرع إن لم تكن النخلة فقط في الجنوب التي يعود وجودها إلى فترة ما قبل التاريخ[6]، فقد كانت قرطاجة بالنسبة للنوميديين المُعلمة[7]. ولم يقتصر دور القرطاجيين في إدخال أنواع

(1) Camps. (G), Loc. Cit.

(2) حارش. (م. هـ)، المرجع السابق، ص ص. 110- 112.

(3) شارن. (ش)، المرجع السابق، ص. 6؛ 123.

(4) Gsell. (S) , H.A.A.N, t. 5, p. 180- 199.

(5) les influences, p. 13.

(6) Decret. (F) et Fantar. (M. H), Op. Cit p. 136.

(7) Basset (R), Op. Cit, p.10.

جديدة من الأشجار فحسب بل أيضا تعليم النوميديين كيفية الاستفادة منها وغرس الأشجار الموجودة أصلا[1].

أ) أشجار التين والزيتون:

تشهد الآثار المادية التي عثر عليها في مناطق مختلفة من نوميديا أن شجرة التين أصيلة في هذه المنطقة، ولكنها لم تكن مستغلة قبل قدوم الفينيقيين[2] ويرى س. غزال[3] (Gsell. S) أن الليبيين قد أخذوا عن الفينيقيين زراعة وتأبير هذه الشجرة، الرأي الذي يعارضه ف. هـــ. كامبس[4] (Camps. F. H) حيث ترى أن القرطاجيين لم يُعلموا النوميديين زراعة هذه الشجرة.

أما شجرة الزيتون التي تعتبر أصيلة في هذا المنطقة ودون أدنى شك[5]، فهي تنتشر في كامل نوميديا من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب[6]، رغم أن الليبيين قد استخرجوا منها الزيت وهي في شكلها البري[7] إلا أنهم لم يتوصلوا إلى زراعتها وكيفية العناية بها، بل أن القرطاجيين قد أثروا في النوميديين حيث نقلوا عنهم طريقة تطعيم (greffer) هذه الشجرة وزراعتها والعناية بها[8]، ومن المقبول أن تكون صناعة زيت الزيتون في كل من تونس، الجزائر والمغرب قد تم تطويرها من قبل الفينيقيين وهم الذين أعطوها اسم "زيتون". ولكن وجود اسم آخر للشجرة المطعمة هو: "أزمّور" يعني أن الليبيين قد بدأوا في تطوير هذه الشجرة قبل مجيء الفينيقيين[9] بزمن. ولكن هذا لا ينفي أن الليبيين أخذوا عن القرطاجيين تقنيات أكثر تطوّرا في استخراج الزيت من الزيتون[10]، كما توسعت زراعة أشجار الزيتون في إفريقيا الشمالية بفضل

---

(1) حارش. (م. هـ)، المرجع السابق، نفس المكان.
(2) Basset. (R), Loc. Cit.
(3) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 31 ; t. 5, p. 199.
(4) Camps. (F. H), L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine, impr. offi, Alger,(1953). p. 8.
(5) Joléaud. (L), L'ancienneté, p. 19.
(6) Joléaud. (L),Ibid, pp. 19-23.
(7) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 3, p. 65; t. 4, p. 28.
(8) Basset. (R), Op. Cit, p. 11.
(9) Jolèaud. (L), op. Cit, p. 30.
(10) Basset (R), loc. Cit.

تشجيع قرطاجة للنوميديين على ذلك[1]، وقد استفاد النوميديون من تجارة زيت الزيتون بعد سقوط قرطاجة[2].

ب) <u>أشجار الكروم</u>:

أما الكروم التي عرفها الليبيون قبل قدوم الفينيقيين عند بعض الباحثين[3] بينما يرى البعض الآخر أنها قد دخلت نوميديا مع قدوم الفينيقيين الأوائل[4] ولكن المؤرخ بليني[5] (Pline) يذكر أن الليبيين قد استغلوا ثمارها للتداوي بها. ومن خلال مقارنة أساليب زراعتها بالأساليب البونيقية حسب ما نقله كوليميل[6] عن عالم الزراعة القرطاجي ماقون نستنتج أن النوميديين قد نقلوها عن القرطاجيين، وأن دور القرطاجيين في هذا المجال تمثل في تحسين السلالات الموجودة، تشجيع وتوفير رؤوس الأموال الضرورية لنشر هذا النوع من المزروعات التي تتطلب رؤوس أموال كبيرة[7].

ويمكننا القول نفسه بالنسبة لزراعة بعض الأشجار المثمرة الأخرى والموجودة من قبل في نوميديا، إنها أصيلة لكنها لم تُستغل قبل قدوم الفينيقيين كالتين والكروم[8]،

ج) <u>أشجار الرمّان والتفاح</u>:

لقد أدخل الفينيقيون أنواعا جديدة من الأشجار المثمرة كشجرة الرمّان التي لا يظهر أنها أصيلة في نوميديا حسب ما ذهب إليه س. غزال[9] (Gsell. S) التي أطلق الرومان عليها اسم (Mella punica) أي التفاح البونيقي، وقد حافظت على اسمها

(1) Jolèaud. (L), Loc. Cit ; Camps. (F. H), op. Cit, pp. 13-25.
(2) بورنية. (ش) وطاحر.(م)، المرجع السابق، ص 208.
(3) Leschi. (L), <u>La vigne</u>, p. 80.
(4) Picard. (G. C), <u>La civilisation</u>, p. 87.
(5) Pline, Hist. Nat, XII, 133 ; XIII, 9.
(6) Collumele, III, 125, IV, 4, V, 3-4.
(7) حارش. (م. ه)، <u>التطور</u>، ص ص. 120 125.
(8) Basset. (R), Op. Cit, p. 11.
(9) Gsell. (S). op. Cit, p. 33.

السّامي في نوميديا، فالليبيون المعاصرون يُطلقون عليها اسم أرمون (Armoun)[1] أي الرمان. ولعل ما قيل عن شجرة الرمان ينطبق تماما على شجرة أخرى ذات أصول فينيقية وهي شجرة التفاح[2].

ولا يشمل التأثير القرطاجي في مجال الأشجار المثمرة إدخال أنواع جديدة أو تهجينها فحسب إنما العمل على نشر زراعتها بشكل واسع في كامل نوميديا وتشجيع الأهالي على ممارسة زراعتها[3].

خامسا: <u>التأثير القرطاجي في مجال تربية الحيوانات:</u>

1) <u>تربية الأنعام والخيول</u>:

اشتهرت القبائل النوميدية بظاهرة البداوة والترحال، هذه الظاهرة التي تعتمد في اقتصادها على تربية الأنعام والاستفادة من إنتاجها. وتشهد المصادر[4] أن الليبيين قاموا بتربية الأبقار والأغنام والأحصنة منذ عصور قديمة جدا إلى فترة سابقة للتواجد الفينيقي بالمنطقة، حيث كانت قطعان الماشية ثروات القبائل النوميدية[5] ولذلك فإن للنوميديين خبرة كبيرة ودراية واسعة في هذا الميدان[6].

وفي مجال تربية الخيول التي نالت نوميديا بها شهرة كبيرة[7] عند شعوب المتوسط، ونظرا لأهمّيتها في زمن السلم والحرب فقد اعتنى النوميديون بها، فكانت تُجرى عملية إحصاء سنوية للمهور[8]، وكانوا يولون لتربيتها أهمّية بالغة، ومن الأدلّة على ذلك نقش صورتها على نقودهم[9]

(1) حارش. محمد الهادي، المرجع السابق، نفس المكان.
(2) شارن. (ش)، المرجع السابق، ص. 122-123.
(3) بشاري. (م. ح)، المرجع السابق، ص ص 21- 22.
(4) Strabon. XVII, 3, 19.
(5) Tite- live, XC.
(6) Gsell. (S), op. Cit, pp. 81-82.
(7) Tite liye, XXXV ; Gsell. (S), <u>H.A.A.N</u>, t. 5, p.182.
(8) Gsell. (S), loc. Cit.
(9) Trousset. (M), <u>Monnaies</u>, p. 132 ; p. 152.

وخلاصة ذلك يمكننا القول أنه ليس هناك ما يدل على أن القرطاجيين قد قاموا بإدخال أنواع جديدة من الأنعام، وربما كان تأثيرهم ضعيفا انحصر في تشجيع الليبيين على تربيتها لتلبية حاجاتها منها، والاستفادة من أساليب تربية المواشي التي ذكرها ماقون القرطاجي.

2) تربية النحل:

عرف الليبيون النحل و كيفية استغلال عسله منذ وقت مبكر، وقد كان يستعمل عوضا عن السكر خاصة في المناطق الشمالية أين يمكن أن نجد قطعان النحل في الطبيعة[1]، وليس من المعروف تماما متى بدأت عملية انتشار تربية النحل في شمال إفريقيا حيث كانت تمارس بشكل واسع جدا على السواحل النوميدية، ونال نحل نوميديا شهرة خاصة في أسواق المتوسط من خلال جودته وغزارة إنتاجه، حيث قال هيرودوت[2]: "إن النحل الموجود عند بعض القبائل الليبية غزير العسل" ويشاطر بلين هذا الرأي مضيفا إليه ما تميز به العسل من جودة[3].

ولا نعرف بالضبط مدى تأثير القرطاجيين في تربية النحل النوميدية، علما أن تربية النحل كانت تمثل شرفا عظيما عند القرطاجيين[4] والظاهر أن القرطاجيين لم يدخلوا تربية النحل إلى نوميديا، وربما اقتصر تأثيرهم في تحسين طرق تربية النحل الاهتمام بها وفي تقنيات استخراج العسل منها[5].

وكنتيجة لذلك يمكن اعتبار مساهمة القرطاجيين في مجال تربية الحيوانات ضعيفة[6] على العموم، وربّما اقتصرت على تشجيعهم للنوميديين على تربية الأنعام للاستفادة من جلودها وأصوافها ومن عسل النحل في المجال التجاري، و كذلك يمكن أن يشمل التأثير القرطاجي في نوميديا إدخال تقنيات جديدة في تربية الأنعام وتطوير

(1) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 9.
(2) Gsell. (S), textes p. 175.
(3) Pline, XI, 33.
(4) Gsell. (S), Op. Cit, pp. 44-45.
(5) Gsell. (S), Ibid. t. 5, pp. 204-205.
(6) Bosquet. (G), Op. Cit, p. 34.

الأنواع الموجودة دون إدخال أي نوع جديد، ويمكن القول أيضا أن تربية الحيوانات من خيول وأبقار وأغنام كانت أكثر تطوّرا في الأقاليم النوميدية[1].

وخلاصة القول أن التأثير الزراعي القرطاجي في نوميديا يتمثل فيما يلي:

– إن القرطاجيين قد أدخلوا تقنيات زراعية جديدة لم تكن معروفة عند النوميديين الزراعة المكثفة، أساليب التهجين واستئناس أنواع من الأشجار والنباتات، وإدخال تقنيات في مجال الرّي،.

– أدخل القرطاجيون أنواعا من المزروعات لم تكن موجودة في نوميديا كالعدس وشجرة التفاح، الرمان.

– قام القرطاجيون بتوسيع المساحة الزراعية في نوميديا، وبخاصة زراعة الأشجار المثمرة، وشجعوا النوميديين على زراعتها.

– تأثر النوميديون أيضا بالأساليب التجارية القرطاجية في استخدامهم للزراعة كمادة تجارية، حيث أصبحت الزراعة عنصرا هاما من عناصر التجارة النوميدية فساهمت بذلك في تطوير الاقتصاد النوميدي.

– أدى التأثير القرطاجي في الزراعة النوميدية إلى تضاعف الإنتاج الزراعي، تحسينه وتنوعه.

(1) Basset. (R), Op. Cit, p. 10.

الفصل الرابع:

التأثير القرطاجي في نوميديا في مجال المعتقدات الدينية من القرن الثالث إلى 146 ق.م

أولا- المعتقدات الدينية القرطاجية في نوميديا.

ثانيا- آثار المعتقدات الدّينية القرطاجية بعد عام 149 ق.م.

أولا: المعتقدات الدينية القرطاجية في نوميديا:

يُمثل دخول الفينيقيين إلى شمال إفريقيا نقطة تحوُّل في المعتقدات الدّينية الليبية إذ طرأ عليها تطورا واضحا، وتعرضت للتأثر بالديانة الكنعانية الشرقية، فامتزجت الديانة الفينيقية في الديانة الليبية[1]، حيث حدث اندماج بين الديانتين، الليبية والفينيقية[2]، فاندمج الكبش المقدّس لليبيين مع بعل حمّون القرطاجي[3]، هذه الديانة التي كانت متمكنة من نفوس أهلها، مُتحكمة في سلوكاتهم المختلفة، مُسيطرة على أفكارهم ونظرتهم للحياة، وقد جسّدت الديانة الوثنية القرطاجية ظاهرة ميل النوميديين إلى التعلق بالسماء، وعبادة الأجرام السماوية التي كانت معروفة عندهم من قبل، وربّما يفسر تغلغل الديانة القرطاجية في أوساط الأهالي لكونها استجابت إلى هذه النزعة[4].

وتغلغلت هذه الديانة الشرقية في مناطق لم تكن تابعة لقرطاجة من الناحية السياسية بطرق سلمية وغير مباشرة، "حيث أخذ النوميديون المعتقدات القرطاجية وترجموها حسب أفكارهم ثم ضمّوها معتقداتهم وتصوراتهم القديمة"[5].

ويتجلى تأثير المعتقدات الدينية القرطاجية في النوميديين من خلال الآلهة القرطاجية التي عبدها النوميديون، ممارستهم الطقوس والشعائر الدينية القرطاجية، وفي دفنهم موتاهم بطريقة مشابهة للتي كان القرطاجيون يدفنون بها موتاهم[6].

1) الآلهة القرطاجية في نوميديا:

تبنى النوميديون عبادة بعل حمّون القرطاجي[7] الذي يَرَى بعضهم أن أصله إفريقي وليس فينيقي[8]، كما تبنوا عبادة تانيت التي أصبحت أهمّ المعبودات عندهم[9]

---

(1) Picard. (G), le monde, p. 79.
(2) Bousquet. (G. H), Op. Cit, P. 33.
(3) Picard. (G), Op. Cit, p. 41.
(4) شنيتي . محمد البشير، التغيرات، ص. 258- 259.
(5) Basset. (R), les influences, p. 21.
(6) حول الموضوع انظر: غانم (م. ص)، معالم التواجد، ص ص، 20- 22. و أيضا: Gsell. Op. Cit, t. 4, pp. 450- 462.
(7) Trousset. (M), Le dieu Ammon, p. 128.
(8) حارش. (م. هـ)، حول أصول عبادة بعل حمّون في قرطاجة، مجلة التاريخ، العدد 3، (1987)، ص ص. 109- 112.
(9) Le Glay. (M), les religions, p. 22.

وبعل حمّون القرطاجي[1]، كما اهتمّ الملوك النوميديون بالمعتقدات الدينية القرطاجية الخاصّة بالزّراعة[2]، ومن مظاهر تأثر النوميديين بالديانة القرطاجية تسميتهم بأسماء دينية منسوبة إلى الآلهة القرطاجية مثل مستن بعل[3]، أذر بعل وبد ملقرط. وفي إنشاء الكثير من المعابد الأهلية المخصصة لعبادة بعل حمّون وتانيت[4]، كالتي أنشأت لبعل حمّون على أبواب كل مدينة مهمّة منها معبده الموجود على جانب القصر الملكي بسيرتا (Cirta) قسنطينة هذه المدينة التي عثر فيها على مواقع أثرية بونيقية كثيرة منها معبد الحفرة التي نالت اهتمام الكثير من الباحثين[5]، وطفاية سوسه التي وجد فيها الكثير من النصب والتي يمكن أن تؤرخ بزمن ماسينيسا[6].

وخلال فترة الاستقلال عرفت نوميديا إنشاء الكثير من المعابد الأهلية المخصصة لعبادة بعل حمّون وتانيت، فقد دلت البقايا الأثرية التي وجدت في أماكن مختلفة من نوميديا (تونس والجزائر) منها النقود التي تحمل صورا لواجهات المعابد البونيقية، وصور الآلهة البونيقية على النقود النوميدية، والبقايا الأثرية التي وجدت في المعابد كمعبد حدرومت، معبد عين توتة قرب الكاف، معبد هنشير ومعبد الحفرة بسيرتا التي تعود إلى فترة العاهلين النوميديين ماسينيسا ومسيبسا[7]، حيث وجد بها أدوات ومواد أثرية لا تختلف عن تلك التي وجدت بقرطاجة. بالإضافة إلى النقوش والكتابات التي وجدت في كامل نوميديا، والتي تمثل إهداءات ودعوات أو صلوات لآلهة قرطاجية خاصّة بعل حمّون وتانيت[8]، لدليل على تغلغل الديانة القرطاجية في الأقاليم النوميدية. (انظر الأشكال رقم: (24)، (25) (26)، (27)).

واستمرت عبادة هذين الإلهين أيضا خلال العهد الروماني، حيث يرى م. ليقلي (Le Glay. M) أن معظم المعابد التي خُصِّصت للإله الروماني ساترون إنما كانت في الأصل مخصصة لبعل حمّون[9]، ولكن الإلهين الكبيرين أخذا اسمين جديدين هما

---

(1) Trousset.(M), Op. Cit, p. 128.

(2) Picard. (G), Loc. Cit.

(3) شنيتي .محمد البشير، المرجع السابق، ص. 258.

(4) Piganiol. (A), la religion, p. 820.

(5) منهم:
Charlier. (A) et Berthier. (A. R), le sanctuaire, (1955).

(6) Picard. (G), op. Cit, pp.78-79.

(7) Bertrandy. (F) et Sznycer. (M), les stèles Puniques de Constantine, notes et documents du musées de France, N°14, (1987), p. 14.

(8) Le Glay. (M), Saturne et les Dieux indigènes de l'Afrique Romaine, Actes du 79ème congrès Nationales des sciences savantes archéologiques, Alger, (1954), pp. 85-91.

(9) Le Glay.(M), Sat.Afr, Mon, t. 1, p. 41.

ساتورن (Saturne) وكايليستيس (Caelestis)، حيث دلّت على ذلك الحفريات التي اكتشفت في معبد الحفرة الذي يعود الفضل في اكتشافه إلى كل من أ. برتييه (Berthier. A) وأ. فاريليه (Varilier. A) هذا المعبد الذي يبعد عن قسنطينة بحوالي 01 كلم[1]. (انظر: الشكل رقم (31)).

وتدل الرموز الدّينية المنتشرة، للمعبودين بعل حمّون وتانيت بيني بعل في المدن النوميدية منها منطقة تبرسوق، قصر لمطة، دوقا، قسنطينة، الحفرة[2] على أن النوميديين اعتقدوا فيهما وعبدوهما. حيث عُثر على كثير من الشواهد الأثرية من نقوش ورموز لكليهما في مُختلف المُدن النوميدية من نصب كتب عليها : « إلى المولى بعل وإلى الربة تانيت بني بعل» [3].

2) <u>الطقوس الدينية والجنائزية القرطاجية في نوميديا</u>:

تدل المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في مواقع مختلفة من الجزائر على أن النوميديين تأثروا بالمعتقدات الدينية القرطاجية، ومارسوا طقوسها كما كان يمارسها القرطاجيون، ودفنوا موتاهم بنفس طرق الدفن القرطاجية كما سبق الإشارة إلى ذلك.

أ) <u>الطقوس الدينية القرطاجية في نوميديا</u>:

يمكننا الاعتقاد بوجود العديد من الطقوس الدينية التي تقام لها احتفالات في أيام معلومة من السنة، وأهم تلك الطقوس هي تقديم القرابين البشرية، « حيث يتم ذلك ليلا في الهواء الطلق بحضور جمع غفير من الناس يلتفون حول تمثال الإله يترقبون عملية الأضحية، ويصاحب الاحتفال الموسيقيون والراقصون، ويستلم الكاهن الطفل ثم يتقدم به نحو المذبح وسرعان ما يذبح الضحية بشكل غامض ويضعها بين يدي التمثال لتتزلق نحو اللهب المقدس»[4].

---

(1) Piganiol, (A). Loc. Cit.
(2) Fantar.(M. H), <u>Téboursouk</u>, p. 45.
(3) Charlier. (A) et Berthier. (A. R), Op. Cit, t. 2, pp. 52- 72.
(4) Fevrier. (J- G), <u>Essai</u>, pp. 183-184.

ولا نكاد نجد في المصادر التاريخية المكتوبة ما يسمح لنا بتكوين فكرة واضحة عن طرق ممارسة الطقوس الدينية إلا القليل مما ذكره ديودور الصقلي[1] وغيره من المؤرخين، فيجب أن نتوخى الحذر تجاه رواياتهم لما عرفوا به من حقدهم على البونيقيين ومحاولاتهم الإساءة إلى سمعة الحضارة البونيقية ولتمجيد الرومان ناشري الحضارة في شمال إفريقيا[2].

أما الشواهد الأثرية المكتشفة لا تقدم لنا أيضا صورة واضحة ودقيقة عن تلك الطقوس والتراتيل المصاحبة للاحتفالات الدينية[3] ما يمكننا من محاولة إعادة بناء طرق إجراء تلك الطقوس، هذا الفراغ جعل بعض المؤرخين الأجانب يحاولون إظهار بشاعة الحضارة البونيقية[4].

ب) <u>الطقوس الجنائزية القرطاجية في نوميديا</u>:

تفيد الشواهد الأثرية التي وجدت في مواقع مختلفة من الجزائر بأن النوميديين قد تأثروا بطرق الدفن القرطاجية، حيث دفنوا موتاهم في قبور بونيقية تشبه إلى حد بعيد القبور القرطاجية مع بعض الاختلافات التي تميزها عن القبور القرطاجية تمثلت في اختلاف عمق السراديب، والوضعيات التي وُجد عليها الموتى.

تميزت القبور القرطاجية كما القبور الفينيقية بنزولها عميقا في الأرض حيث يصل عمقها إلى 27 مترا في بعض الأحيان، وقد كشفت الحفريات عن كثير من القبور ذات الطابع القرطاجي والتي تعود في معظمها إلى فترة متأخرة من تاريخ قرطاجة أما بعضها فيعود إلى قرطاجة العهد الروماني[5] ، منها ما وجد في بونه، سيرتا، جيجل، تيبازة وشرشال، وغيرها من مدن الجزائر الشمالية[6].

---

(1) Diodore, XX, 14.

(2) Picard. (G. C), <u>Vie et mort</u>, p. 48.

(3) Gsell. . (S), <u>H.A.A.N</u>, t. 4, p. 427.

(4) بورنية. ش وطاهر.م، نفس المرجع، ص 230.

(5) Berthradez. (J), <u>survivance du culte de Baal et Tanite au 1er siècle de l'ère chrétienne</u>, Libyca (Arc. Epig), t. V, 2éme semestre, (1957), p. 254.

(6) Vuillemot. (G), <u>le nécropole punique du phare dans l'ile de Rechgoune (Oran)</u>, Libyca (Arc. Epig), t. III, 1er trimestre, (1955), pp. 08-12.

تتمثل القبور على العموم في حفرة أو بئر أو سرداب، وتكون الحفرة أكثر اتساعا من جهة الرأس والكتفين وبذلك تأخذ الشكل العام للجسم عموما عند القرطاجيين[1]. أما البئر عند النوميديين فهي أكثر اتساعا من مثيلاتها في قرطاجة ولكنها أقل عمقا، حيث لا يزيد عمقها عن ثلاثة أمتار مثل القبور التي وجدت في قوراية غرب الجزائر العاصمة، وهذه البئر مزودة بسلالم للوصول نحو أسفل البئر، ونظرا لقلة العمق فقد تعذر الدفن في طوابق كما في قرطاجة ولكن يمكن أن نجد حفرا في الجوانب احتوت على الموتى. ولم تكن السراديب منحوتة بنفس الشكل الذي كانت تنحت به السراديب القرطاجية، ففي سوسه مثلا نجد الشكل الدائري ما يعني أن الميت لن يكون ممدودا، ولكن في العادة ما تكون غرفة الدفن مستطيلة، وعادة ما تكون مداخل القبور مغطاة ببلاطات وفي بعض الأحيان يكون القبر محاطا بحجارة ما يذكرنا بالتيميلوس (Temelus)، ووضع النوميديون على قبورهم شواهد صخرية مثل القرطاجيين تماما[2].

كان الميت ممددا وملقى على ظهره ويداه مضمومتان على الصدر وكانت رأس الميت توضع في الداخل أما الأرجل ففي المدخل، أما توجيه الميت فيختلف، ونتساءل عن جدوى وجود دبوس طويل بالقرب من العنق أو الكتفين يُفسّر ذلك بكون الجثة كانت ملفوفة في قطعة من القماش، الذي تآكل مع مرور الزمن فلم يبق له أثر وبقيت الدبابيس المعدنية الأكثر مقاومة للعوامل الطبيعة[3].

ووجد في نوميديا قبور ذات طابع ممتزج قرطاجي وليبي منها التي أخذ القبر فيها شكلا دائريا أو وجدت أرجل الميت مطوية أو تم تلوين الجثة باللون الأحمر وهي طقوس ليبية قديمة[4].

ووضع رماد جثث الأطفال الذين قدموا قربانا لبعل حمون وتانيت بينيبعل في جرار أو مرامد وتشهد على ذلك الكثير من المرامد التي وجدت بسوسه وسيرتا[5]. وازدادت القبور التي احتوت على عظام محروقة بعد القرن الثالث وزود هؤلاء الموتى

(1) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 456.
(2) Baradez. (J), survivance, pp 240-255.
(3) Gsell. (S). les Monuments antiques de l'Algérie, t. I, Paris, (1901), pp. 1- 17.
(4) Gsell. (S). op. cit, p. 444- 445.
(5) Gsell. (S), Ibid. pp. 435- 438.

بأثاث جنائزي على عكس العادة في قرطاجة، إذ لم يكن الموتى المحرقين مزودون بأثاث جنائزي[1].

وبالقرب من الموتى وجد الأثاث الجنائزي، منها ما هو خاصّة الميت كالخاتم أوأدوات صنعت من أجله بعد وفاته ليستعين بها في حياته الأخرى، ويتمثل الأثاث الجنائزي أساسا في الفخاريات كالجرار، المزهريات والأباريق والشمعدانات، يضاف أليه مواد خزفية أخرى، ومواد زجاجية كالمصابيح والحواجل ومواد معدنية كالمرايا والدبابيس والذهب والنقود ومواد من العاج كالمشط وكثير من التماثيل الصغيرة لآلهة ولأشخاص، كما عثر في بعض القبور على بقايا عظام حيوانية وبقايا نباتية مثل الفواكه[2]، ووجود هذه المواد دليل على اعتقاد النوميديين القدماء في الحياة الأخرى حيث كان الميت يزود بكل ما كان يستعمله في حياته ويحتاجه في الحياة الأخرى[3].

ويُعتقد أن مراسيم الدفن كانت تتم في جو من الخشوع والصلوات التي كان يقوم بها الكهان، ولكن لم تقدم لنا المصادر المكتوبة ولا الأثرية المعلومات الكافية لتناول ذلك بشيء من التفصيل والتأكيد.

وتؤكد الشواهد الأثرية التي وجدت في مناطق مختلفة من نوميديا أن النوميديون قد تأثروا بالقرطاجيين ببناء الأضرحة الضّخمة على أبواب مدنهم، التي يطلق عليها الموزولي (Mausolée) الضريح الملكي بدوقا، المدغاسن بالأوراس[4] وضريح الصومعة بقسنطينة، متأثرين في ذلك بالقرطاجيين[5]، رغم معارضة بعض الباحثين الذين يرون في هذه الأضرحة تطورا للبازينة المحلية[6]. ويعتقد أن الفينيقيين قد نقلوا من بلادهم هذا النوع من الأضرحة إلى قرطاجة، ثمّ نقلت هذه العادة عن طريق الأرستقراطية القرطاجية إلى الملوك النوميديين، وهو بناء على شكل مربع ينتهي بهرم[7]. (أنظر: الأشكال رقم (28)، (29)، (30)).

---

(1) Cintas. (P), Le sanctuaire punique de Sousse, R. Af, N° 410 - 411, (1947).pp. 14- 20 ; Gsell. (S), op. cit, p. 456.

(2) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 135.

(3) Gsell. (S), Ibid. p. 456.

(4) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 6, p. 269.

(5) بورنية. (ش) وطاهر. (م)، المرجع السابق، ص. 213.

(6) Camps. (G), Monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris, (1961), p. 201.

(7) Mahdjoubi. (S), op. Cit, p. 270.

3) القرابين القرطاجية في نوميديا:

على الرغم مما تتطلبه المعتقدات الدّينية الشرقية (القرطاجية) من تكاليف باهضة الثمن كالتضحية البشرية، إلا إنها قد وجدت استجابة في نفوس الأهالي فاعتنقوها متحملين تكلفة شعائرها الباهضة[1]، كما دل على ممارسة النوميديين للأضحية البشرية تلك النقوش التي وجدت في قسنطينة[2]، والقبور التي وجدت في كل من جيجل، قوراية والقالة (Collo) المتأثرة بالديانة البونية، تلك القبور التي يعود تاريخها إلى القرن الرّابع ق.م، وما بعده[3].

أنتج تبني النوميديين للمعتقدات الدينية القرطاجية صعوبة في التفريق بين الأقاليم القرطاجية والمواقع النوميدية، حيث لم يكن هناك فرق بينهما في الديانة، فقد حدث اندماج بين الديانة القرطاجية والليبية، فاندمج الكبش المقدس للأهالي مع بعل الفينيقي – القرطاجي[4].

(1) شنيتي. (م. ب)، التغيرات، ص. 259.
(2) Slim. (M) et autre, op. Cit, p. 110.
(3) Cintas. (P), fouille, pp. 272-274 ; Le Glay. (M), les religions, pp. 22-23.
(4) Albertini. (A), op. Cit, p. 41.

موقع معبد الحفرة

ثانيا- آثار المعتقدات الدّينية القرطاجية بعد عام 149 ق.م:

تسبّب النزاع الذي شبّ بين روما وقرطاجة إلى نهاية هذه الأخيرة ووضع حدّ لها كدولة. فهل القضاء على قرطاجة أدى إلى انتهاء أثرها الدّيني في نوميديا ؟

تؤكد الشواهد الأثرية أنه بعد سقوط قرطاجة بقيت بعض المدن النوميدية حاملة لواء الحضارة البونيقية في نوميديا، واستمر الأهالي يقدّمون الأضاحي البشرية للإلهين بعل حمّون وتانيت، رغم إصدار مجلس الشيوخ الروماني قوانين تمنع الأضحية البشرية فقط (دون الحيوانية). ولكن هذه القوانين بقيت حبرا على ورق في المعابد البعيدة التابعة للسكان النوميديين و القرطاجيين الذين نجوا من الموت، ففي سوسه (حدرومت) استمر الناس بالتضحية البشرية إلى غاية نهاية القرن الأول بعد المسيح[1].

وكان هناك من الكهّان من تحدى مجلس الشيوخ الروماني فاستمر في الأضحية البشرية في الخفاء، برغم العقوبة التي رصدت لمن يقوم بهذه الشعيرة (كانت عقوبة من يمارسها هي الإعدام)، واستمرت الأضحية البشرية في المناطق البعيدة عن أعين السلطة الرومانية إلى غاية القرن الأول بعد الميلاد. إذ قام البروقنصل تبيريوس كنديديوس يوليوس (Tiberus Condidius Julius)، قنصل روما عام 122م[2]، حيث بقيت بعض المدن حاملة لواء الحضارة البونيقية في نوميديا، كما شهدت تغلغل بعض البونيقيين إلى الداخل، مما أدى إلى نقل التأثيرات إلى الأهالي. وهناك من يرى أن التأثير البونيقي كان أقوى بعد سقوط قرطاجة من كل الفترات السّابقة[3]، كما تدل النقوش البونيقية التي عثر عليها في مختلف المناطق من نوميديا أن الأضحيات قد اختلفت من خلال اختلاف التسميات التي أطلقت عليها[4].

من الأمثلة الواضحة على تمسك الأهالي بمعبودات بونيقية، بعد سقوط مركزها الحضاري البونيقي الأول (قرطاجة) على يد الرومان، ما يظهر في نصبهم الجنائزية والنذرية من إشارات دينية كالهلال والمثلث إلى ذلك من رموز الديانة الشرقية التي

(1) Picard. (G), le monde, p. 77.
(2) Gautier. (E. F), op. Cit, pp. 89-92.
(3) Picard.(G), Flaubert, p.110 ; Piganiol. (A), la religion, p. 822.
(4) Charlier. (R), la nouvelle série de stèles punique de Constantine et la question des sacrifices dite « Molochmor » en relation avec l'expression « B S R M B T H », Karthago, N°09, pp. 01- 49.

حافظوا عليها[1]. كما يتجلى إخلاص الأهالي لمعتقداتهم القديمة التي ورثوها عن قرطاجة في أنهم قدّموا الأضاحي والقرابين لمعبوداتهم على الطريقة المعروفة بملوخمور[2] (Molokhmor).

ويثير استمرار مظاهر المعتقدات الدّينية القرطاجية بعد زوال قرطاجة، التساؤل حول ما إذا كانت تلك الاستمرارية الدّينية هي إحدى مظاهر المقاومة المعنوية الصامتة ضدّ الرومان[3]، ويُبيِّن تمسك البونيقيون بدينهم الموروث مثل كل الشعوب التي فقدت حريتها السياسية، فالتفوا حول معابدهم وكونوا جمعيات للعُبّاد[4].

ويبدو أن المعتقدات الدّينية القرطاجية الشرقية تواصلت إلى جانب المعقدات الوثنية الرومانية من طرف الطبقات الاجتماعية الدنيا في الأرياف والمدن[5]، وظل بعل حمّون وتانيت سادة آلهة إفريقيا[6]. وبذلك استمرت الديانة الوثنية الشرقية في صفوف الأهالي إلى غاية العهد المسيحي ولم يمتنع النوميديون عن تقديم الأضاحي البشرية لآلهتهم إلا بعد القرن الأول المسيحي، كما سبق الإشارة إلى ذلك.

ولم تحتفظ الآلهة القرطاجية بأسمائها في العهد الروماني فقد تغيرت، فالآلهة تغيِّر أسماءها ولكن نادرا ما تغير من طبائعها[7]. وقد ذكر بعض المؤرخين الإغريق واللاّتينيين آلهة قرطاجية ولكن بأسماء مختلفة، إذ اختفت الأسماء الشرقية تحت الأسماء اللاتينية أو الإغريقية، ومثال ذلك ما نقله لنا بوليب[8] (Polybe) عندما عقد حن بعل تحالفا مع الملك المقدوني فليب الخامس (Philipe V)، فأصبح بعل حمّون هو ساتورن الإفريقي[9] (Saturne l'africain)، كما وُجد تطابق بين آلهة القرطاجيين، الإغريق والرومان في مضامينها، فمثلا يطابق كبير آلهة الإغريق زيوس (Zeus) وأكبر آلهة الرومان جوبيتر (Jupiter) بعل حمّون (Baal-Hammon)، و كانت تانيت بيني بعل (Tanite Pèni Baal) تماثل هيرا(Héra) عند الإغريق وكاليليستريس

---

(1) شنيتي. (م. ب)، التغيرات، ص. 263.

(2) Piganiol. (A), Op. Cit, p. 821.

(3) Picard. (G), le monde, loc. Cit.

(4) شنيتي. (م. ب)، نفس المرجع، نفس المكان.

(5) نفس المرجع، ص ص. 261- 262.

(6) حاول بعض المؤرخين المعاصرين الكشف عن أسماء الآلهة القرطاجية المختفية وراء الأسماء الإغريقية أو اللاتينية عن طريق ربط وظائف هذه الآلهة بتلك. انظر: شنيتي. (م. ب)، نفس المرجع، ص. 258.

(7) Picard.(G. CH), op. Cit, p. 77-79.

(8) Polybe, liv. VII, 9, 2-3.

(9) Le Glay. (M), Sat. Afr. His, pp..256-257.

(Caelestris) الرومانية. كما كان ملقرط (Melkart) رب المدينة القرطاجي وحاميها في مقام هرقليس (Héraclès) الإغريقي وهيركول (Hercule) الروماني. أما اله السماء أشمون (Ashmon) القرطاجي، فهو في نفس درجة اسكوليبيوس (Asclépios) الإغريقي وإسكولاب (Esculape) الروماني[1].

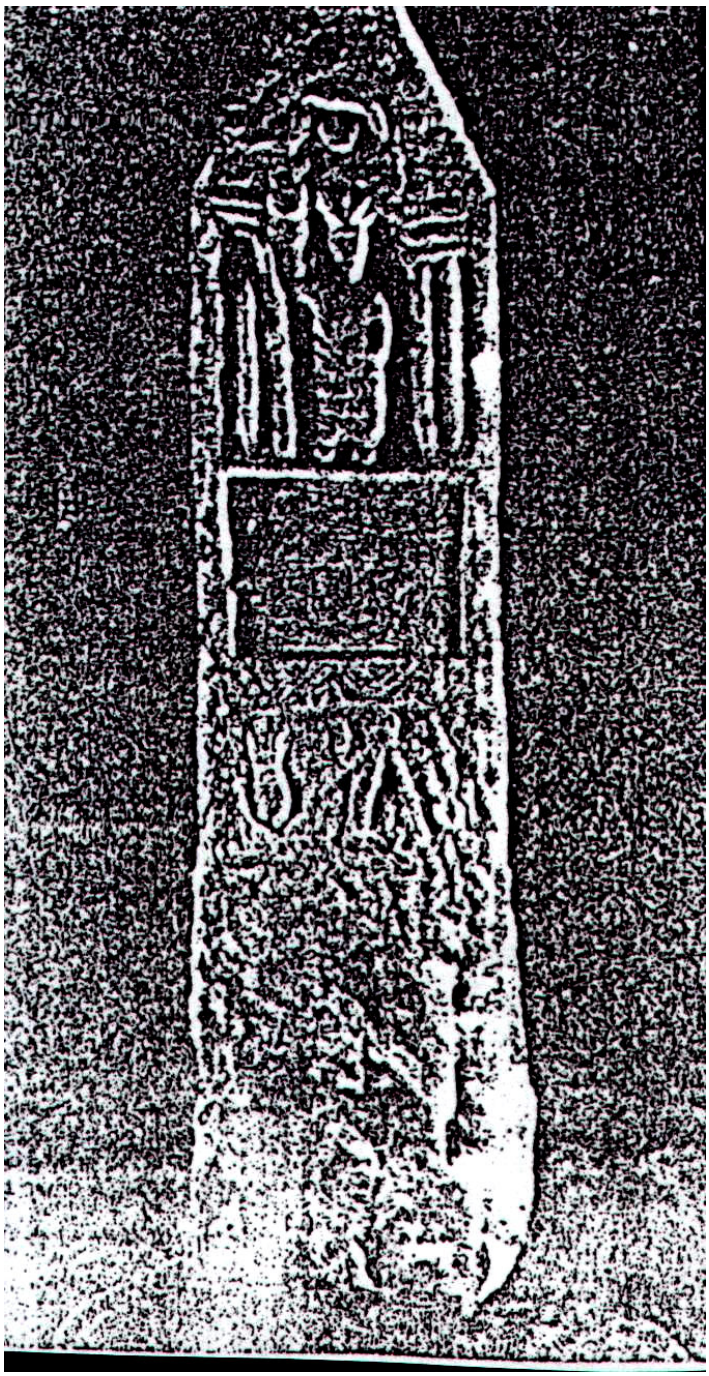
ويعتقد بعض المؤرخين أن التأثير الديني القرطاجي يمتد لزمن طويل جدا بعد سقوط قرطاجة من خلال استمرار تمسك الأهالي بمعبودات بونيقية[2] وانتشار مظاهر الديانة البونيقية في نوميديا من خلال المدن البونيقية التي لم تلق نفس مصير قرطاجة ومن خلال انتشار القرطاجيين الذين لم يهلكوا في قرطاجة، ويبدو أن انتشار الديانة المسيحية كان نتيجة لفكرة كانت الديانة الفينيقية قد بلورتها. وهي إيمان الناس باله واحد أكبر من غيره مُمثل في بعل حمون القرطاجي[3]، ولا شك أن هذه الفكرة ذاتها كرستها الفتوحات الإسلامية فيما بعد.

---

[1] شنيتي. (م. ب)، نفس المرجع السابق، نفس المكان.

[2] Piganiol. (A), Op. Cit, p. 822.

[3] شنيتي. (م. ب)، المرجع السابق، ص. 265



الشكل (24): نصب عليه صورة بعل حمون تؤرخ بالقرن الثاني ق.م، عُثر عليها في معبد الحفرة بسيرتا:.

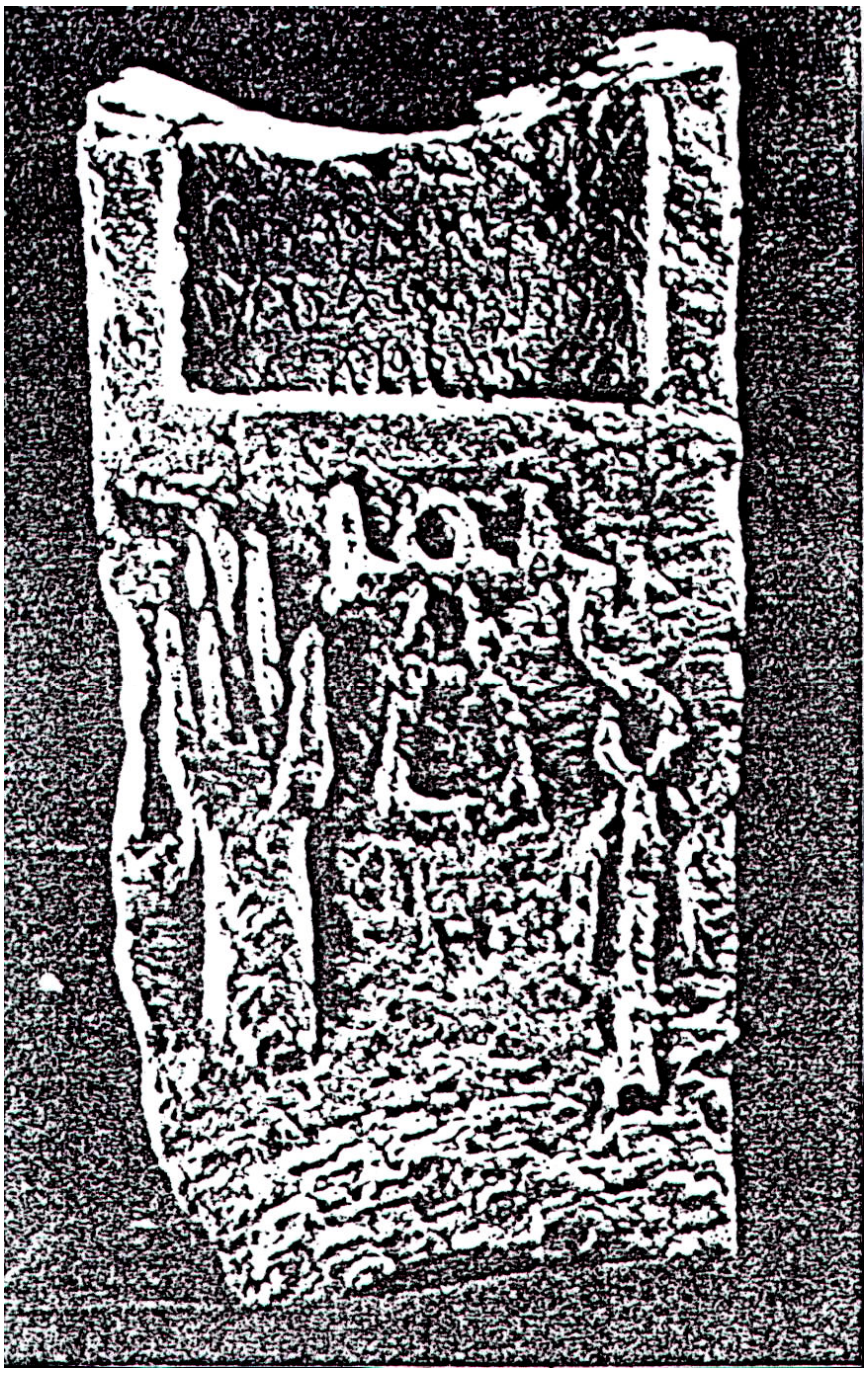
المصدر: Berthier (A) et Charlier (A), le sanctuaire punique, t. 2, pl. II. A

.



الشكل(25): نصب عليه صورة بعل حمّون، يعود إلى القرن الثاني ق.م، عثر عليه في معبد الحفرة بسيرتا.

المصدر: Berthier (A) et Charlier (A. R), le sanctuaire Punique, t. 2, pl. II, C.



الشكل (26): نصب عليه صورة لتانيت و رمز اليد وُجد بمعبد الحفرة بسيرتا.

المرجع: Berthier (A) et Charlier (A. R), le sanctuaire Punique, t. 2, pl. III, B



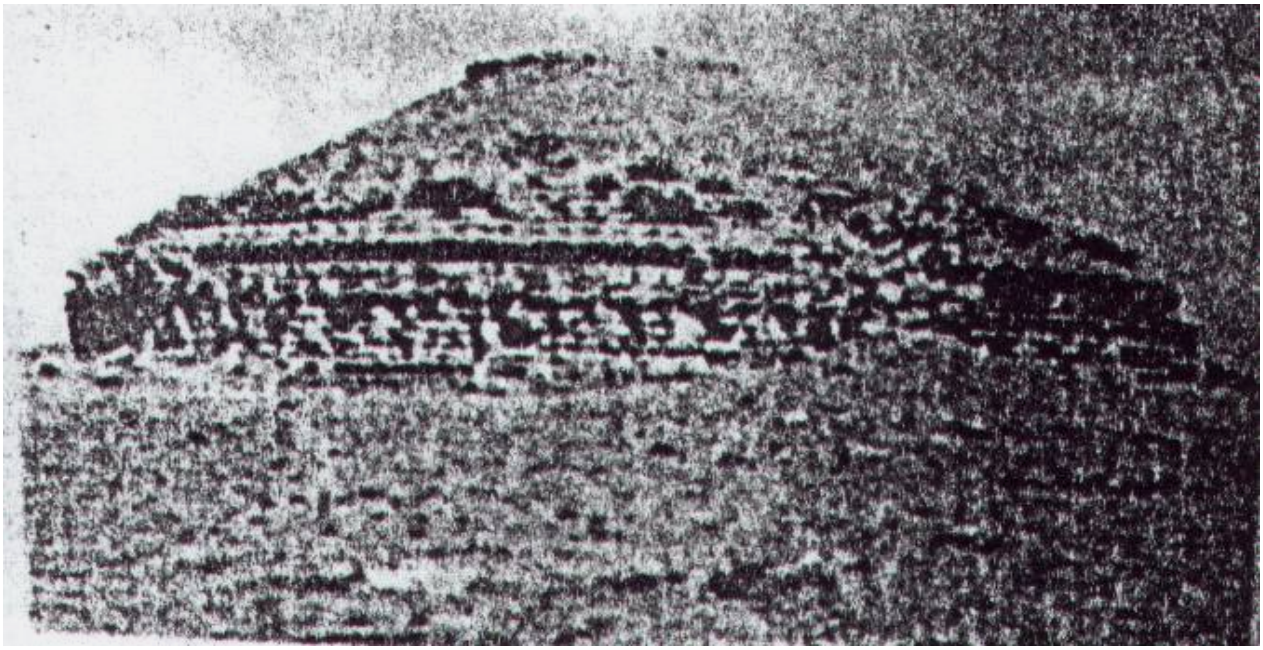
الشكل (27): نصب لتانيت، عثر عليه بمعبد الحفرة بسيرتا.

المصدر: Berthier (A) et Charlier (A. R), le sanctuaire Punique, t. 2, pl. XII, A



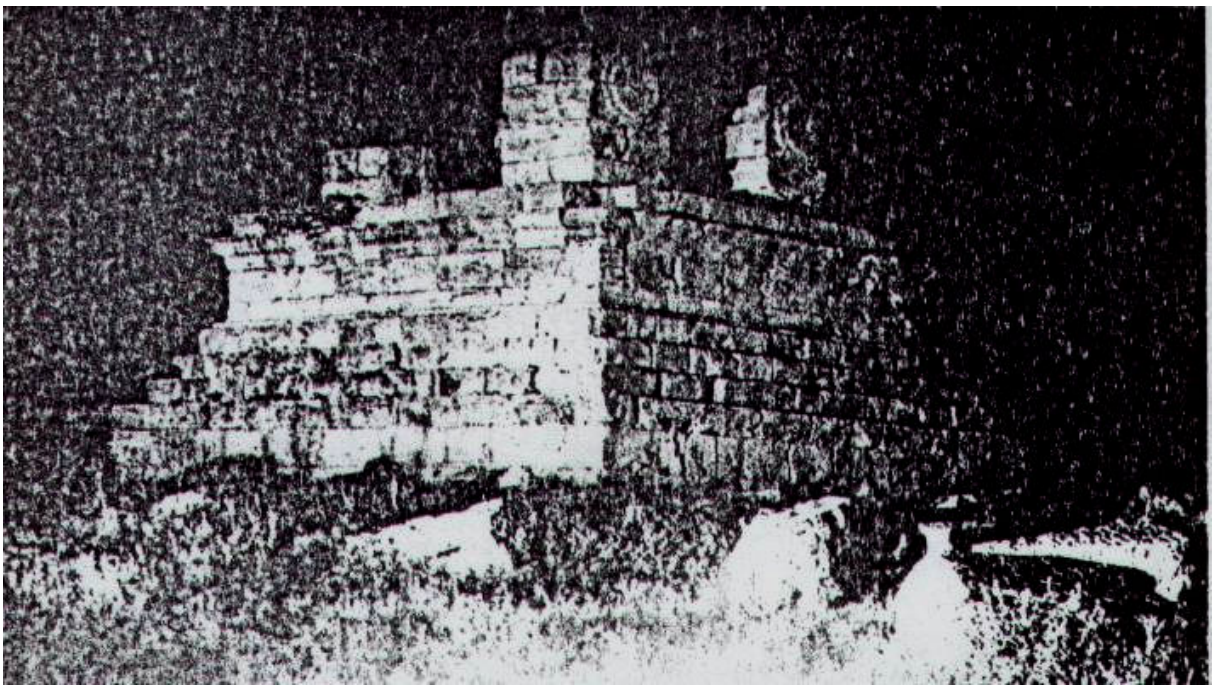
الشكل رقم (28): صورة للضريح الملكي بدوقا (Mausolée de Dugga)

المرجع: . Camps (G), les Berbères, Ed. Alif, (2000), p. 85.



الشكل رقم (29): صورة لضريح المدغاسن بالقرب من باتنة.

المصدر: غانم. م. ص، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، (1993)، ص 173.



الشكل رقم (30): صورة لضريح الصومعة بالخروب، قسنطينة.

المصدر: غانم. م. ص، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، (1993)، ص. 173.

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نحصر بعضا من النتائج المتوصل إليها فيما يلي:

– اعتنق النوميديون الدّيانة القرطاجية وقدّسوا آلهتها نظرا للتشابه الكبير بين المعتقدات الدّينية القرطاجية والمعتقدات الدّينية النوميدية القديمة من جهة، ونظرا لاستجابتها لميل الليبيين إلى عبادة الأجرام السماوية من شمس وقمر ونجوم.

– أخلص النوميديون لتلك المعتقدات فشيّدوا لها المعابد وقدّموا لها القرابين والعطايا ولم يتوانوا عن تقديم أبناءهم لها، وكانت طريقة عبّروا فيها عن رفضهم للاستعمار الروماني وسياسته في نوميديا.

– انتشرت المعتقدات الدّينية البونيقية في مناطق واسعة من نوميديا، خاصّة المناطق المتاخمة أو القريبة من المُدن القرطاجية، كما تغلغلت نحو الداخل من خلال النوميديين أنفسهم.

– ظل النوميديون أوفياء لتلك المعتقدات فتمسكوا بها ومارسوا طقوسها بعد زوال قرطاجة وبزمن طويل جدا، حتى تلك الطقوس التي منعتها السُلطة الرومانية وشدّدت العقوبة ضدّ كل من يُمارسها.

– كان للفكر الدّيني البونيقي أثر في اعتناق السكان للديانات السماوية التي انتشرت على أنقاض الديانة الوثنية في نوميديا.

الفصل الخامس:

تأثير اللغة البونيقية في نوميديا من القرن الثالث ق. م إلى 146 ق. م.

أولا: علاقة اللغة والكتابة البونيقية باللغة والكتابة النوميدية.

ثانيا: مدى تبني النوميديين للغة والثقافة البونيقية.

ثالثا: انتشار اللغة البونيقية في نوميديا.

رابعا: آثار اللغة والثقافة البونيقية بعد عام 146 ق.م.

أولا: علاقة اللغة والكتابة البونيقية باللغة والكتابة النوميدية:

أُطلق على اللغة التي كان يتكلم بها القرطاجيون " اللغة البونيقية"[1]. وتعود أصول هذه اللغة إلى اللغتين الفينيقية والليبية، فاللغة البونيقية هي نتيجة تفاعل حضاري بين اللغتين النوميدية والفينيقية القادمة من الشرق، وهي جزء من الحضارة القرطاجية، تلك لحضارة التي لا يمكن اعتبارها امتدادا مباشرا للحضارة الفينيقية التي جاءت من صيدا (Sidon) وصور(Tyr) إلى السواحل الشمالية لإفريقيا[2]. ويرى ش. ا. جوليان[3] "أن اللغة البونيقية إنما هي تحريف للفينيقية"[4] ولعله من الصواب أن نقول أن اللغة البونيقية هي تطور للغة الفينيقية بعد اتصالها باللغة الليبية.

وفيما يخص تأثر اللغة النوميدية باللغة البونيقية فقد سبق الإشارة إلى أن اللغة الفينيقية قد تأثرت باللغة الليبية في مفرداتها وتراكيبها اللغوية[5] إثر وصولها إلى المنطقة، ولذلك فلا نستبعد أن يكون هذا التأثير متبادل بين اللغتين ولكن أمام غياب الأدلة التي تثبت ذلك لا نستطيع الجزم في الموضوع.

أما فيما يخص تأثر الكتابة النوميدية بالكتابة البونيقية فيرى بعض المختصين[6] أن النوميديون اخترعوا كتابتهم متأثرين بالكتابة الفينيقية واعتمدوا في ذلك على دلائل يمكن إجمالها فيما يلي:

- ظهرت الكتابة النوميدية بعد استقرار الفينيقيين في شمال إفريقيا، ويعود الفضل للفينيقيين في اختراع الكتابة[7].
- تعود معظم النقوش النوميدية إلى مناطق كانت واقعة تحت التأثير القرطاجي مثل شمال غرب تونس، قسنطينة (نوميديا).
- الكتابة النوميدية ذات حروف صامتة، وهو ما اشتهرت به الكتابة السامية[8].

---

(1) Faid herbe, op. Cit, pp. 58-62.

(2) Cintas. (P), Céramique punique, Paris, (1950), p. 5 ; Mansouri. (H), op. Cit, p. 1.

(3) جوليان. (ش. أ)، المرجع السابق، ص. 117.

(4) يرى غانم. (م. ص). أنه ليس هنالك فرق جوهري بين مصطلحي فينيقي وبونيقي أو بونيقي جديد وغاية ما في الأمر هو الفارق الزمني بين هذا وذاك. انظر: معالم التواجد. هامش رقم (2) ص. 126.

(5) انظر أعلاه ص. 70.

(6) Chaker. (S), l'écriture, loc. Cit.

(7) Chaker. (S). Loc. Cit.

(8) Chaker. (S). Loc. Cit.

- لا نعرف بوجود كتابة نوميدية بحتة قبل التواجد الفينيقي في شمال إفريقيا[1].
- وجود حروف متشابهة بين الكتابة النوميدية والبونيقية (انظر الشكل رقم (36)).
- من المرجح أن تسمية تيفيناغ ذات أصول فينيقية وتعني فينيقي أو بونيقي[2].

ثانيا: مدى تبني النوميديين للغة والثقافة البونيقية:

بالرغم من أن الفينيقيين، الروّاد الأوائل، لم تستهوهم إفريقيا بنفس القدر الذي استهوتهم شبه جزيرة أيبيريا، إلا أنهم قد أدركوا أهمّية السواحل الإفريقية فأسسوا فيها مراكز ومُعمّرات على كامل السواحل الشمالية لإفريقيا، وأسّسوا عاصمة لهم فيها هي قرطاجة، التي كانت مساهمتها في نقل اللغة البونيقية إلى النوميديين كبيرة.

لقد تأثر الليبيون باللغة الوافدة من الشرق منذ الوهلة الأولى، فعندما نزل الملاّحون التجار الفينيقيون على السواحل الغربية للمتوسط واتصلوا بالسكان الليبيين، أدرك هؤلاء السكان مستوى هذه الحضارة الجديدة[3]، فاحتكوا بهم، ونتج عن هذا الاحتكاك تعلم بعض السكان الليبيين الذين كانوا على علاقات دائمة مع الفينيقيين اللغة الفينيقية.

وكانت اللغة البونيقية واسعة الانتشار في نوميديا يدل على ذلك كثرة النقوش والكتابات التي عثر عليها في مواقع مختلفة من نوميديا (انظر: الشكل رقم (32))، وكانت تعتبر اللغة الرسمية لكل الممالك النوميدية[4] فقد انغرست هذه اللغة في شرق الجزائر (نوميديا)[5] كما كانت الكتابة بها منتشرة أيضا فيها بشكل واسع جدا فمعظم النصوص المكتوبة بها والتي وُجدت قد جاءت من مناطق تابعة لنوميديا[6] منها تبرسوق، قصر لمطة، الحفرة، وبخاصّة العاصمة سيرتا التي يُحتمل أن يكون أصل تسميتها فينيقي حسب بعض المؤرخين[7]. وقد وُجد في هذه المدينة والمدن النوميدية

(1) Chaker. (S). Loc. Cit.
(2) Chaker. (S) , Loc. Cit.
(3) Basset. (R), op. Cit, p. 21. .
(4) Picard. (Ch. G), op. Cit, p. 111.
(5) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 2, p. 95 ; t. 4, p.102.
(6) Fantar. (M. H), op. Cit , p. 45.
(7) Joléaud. (L), les origines de la ville de Constantine, B.S.G.A, t. 22, imprimerie algérienne, (1918), p. 8.

القريبة منها ومن قرطاجة عدد كبير من النقوش الإهدائية[1]، مثل مكثر[2] التي أعطت لنا أكثر من 130 نصا باللغة البونيقية، وتضمّنت بينها النصوص الأكثر طولا والمكتشفة في نوميديا، ولكن لم يتّم ترجمة وأرشفة (ترتيب) جميع هذه المكتشفات ومن ثم نشرها[3].

وأعتبر النوميديون أن الحضارة البونيقية حضارة راقية فتأثروا بها[4]، فسعوا إلى الأخذ منها وتقليد البونيقيين لإدراكهم رقي هذه الحضارة، ونظروا إلى اللغة البونيقية على أنها لغة الحضارة. وكان من بين هؤلاء ماسينيسا الذي أراد أن يدخل الثقافة والحضارة البونيقية إلى المدن التابعة له على الأقل[5]. وجعل بعض الملوك النوميديين اللغة البونيقية لغة رسمية لدولهم[6] لأنها أكثر تطوّرا من اللهجات النوميدية، كما كان الملوك النوميديون الأواخر يتكلمون بها[7]، وحملوا أسماء بونيقية (شرقية) كمستن بعل، اذر بعل[8]، بد عشتار وبد ملقرط[9]. وقد أثار هذا انتباه بعض المؤرخين مثل غوتيه[10] (Gautier. E. F)، إذ كتب عن مدى التأثير الحضاري القرطاجي في العاهل النوميدي ماسينيسا حيث يقول عنه: " هذا الملك النوميدي كان أيضا بونيقيا شكلا وثقافة. ولا يمكن أن نفرقه عن أعدائه القرطاجيين".

كما كتب النوميديون لهجاتهم باللغة البونيقية[11]، حيث تشهد على ذلك النقوش والكتابات المنتشرة في نوميديا. وكان انتشار استعمال الأسماء الشرقية واسعا، وهذا ما تثبته النقوش (Inscriptions) التي وجدت في المدن النوميدية، وأيضا النقوش المكتوبة بالبونيقية الجديدة فهي أكثر انتشارا من الكتابة النوميدية نفسها[12]، وعددها

---

(1) Gsell. (S),H.A.A.N t. 2, p. 145.

(2) مدينة تقع على بعد 100كلم عن تونس العاصمة وب:07 كلم عن دوقة. أنظر:
Fantar (M. H), Téboursouk, p. 01.

(3) Picard. (Ch. G), civitas mactartaritana, Karthago, t. VIII, Paris, (1957), p. 42.

(4) Trousset. (M), le trésor, pp. 129- 130.

(5) Picard. (G), loc. Cit.

(6) Gautier. (E. F), loc. Cit.

(7) Basset. (R), op. Cit, p. 36.

(8) الألفي. مصطفى، المجتمع الريفي للشرق الجزائري قبل العهد الروماني من خلال نقوش منطقة الحفرة، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 1، الجزائر (1986)، ص. 27. وأيضا:
Gsell. (S), H.A.A.N, t. 1, p. 332.

(9) Sartare. (M), sur quelques nom sémitique relever en Mauritanie Tangitaine, ant. Afr, N° 08, 1975, pp. 153- (157).

(10) Bosquet. (G. H), les Berbères, p. 110.

(11) Albert. (A), Histoire de l'Afrique du nord, Éd. Spécial, (1964), p. 30.

(12) Basset. (R), loc. Cit.

أكبر[1]. كما استمرت تلك الأسماء الشرقية (البونيقية) في القرون التالية لتدمير قرطاجة، ولكنها كتبت باللغة اللاّتينية روح شرقية ومثال ذلك اسم بويدفيلديوس[2] (Puodvulldeus) الذي يعني إرادة الله، كما أن هناك الكثير من الكلمات السامية في اللهجات المحلية تعود إلى عهود سابقة للوجود العربي في بلاد المغرب دليل على التأثير اللغوي البونيقي[3] في نوميديا. وقد بقيت اللغة البونيقية لغة الجماهير لفترة زمنية طويلة جدا[4] بعد تدمير قرطاجة.

وتأثرت الثقافة المحلية بالثقافة الوافدة من الشرق منذ الوهلة الأولى، عندما نزل أول التجار الفينيقيين على السواحل الغربية للمتوسط واتصلوا بالسكان الليبيين. ولما كانت اللغة البونيقية أكثر تطوّرا من اللهجات النوميدية، فتأثر بها الأهالي الذين كانوا في علاقات دائمة معهم[5].

وبلغ من اهتمام الملوك النوميديين بالكتابة البونيقية أن قاموا بنقش نقودهم والكتابة عليها باللغة البونيقية مثل غايا وماسينيسا وسيفاكس وكذلك الملكين يوبا الأول ومكيبسا[6]، كما بقيت نقود بعض المدن الإفريقية تحمل كتابات بونيقية إلى غاية عهد تيبيريوس[7]. كما كتب النوميديون على النصب الكثيرة التي عثر عليها في سيرتا تحت رمزي بعل وتانيت بلغة فينيقية سليمة[8]، واهتموا أيضا بما كتبه القرطاجيون، فعندما كان سالوست (Salluste) حاكما على افريقية وجد بعض المخطوطات المكتوبة باللغة البونيقية في مكتبة هيمصال[9] (Hempsal). فجلب هذا التأثر العميق والمستمر انتباه بعض المؤرخين الذين يهتمون بدراسة تاريخ نوميديا[10]ا أمثال ج. كامبس[11]

---

(1) Picard. (G), op. Cit, p. 27.
(2) Gautier. (E. F), op. Cit, p. 129.
(3) Vycihl. (W), op. Cit, pp. 132-135.
(4) Picard. (G), op. Cit, p. 77.
(5) Albertini. (E), op. Cit, p. 45.
(6) Trousset. (M), Monnaies anciennes, p. 141.
(7) جوليان. (ش. أ)، المرجع السابق، ص. 126.
(8) Berthrandy. (M), Les représentations du signe dite de Tanit sur les stèles votives de Cirta- Constantine (III-I^{er} S. Av. J.C), R.S.F, vol. XXI, 1ère éd. Conciglio Nazionale delle recherche, Roma, (1993), 3- 28.
(9) Fantar. (M. H), fouille punique, p. 2.
(10) Sartare. (M), sur quelques nom sémitique relever en Mauritanie Tangitaine, ant. Afr, N° 08, 1975, pp. 153- (157).
(11) Camps. (G), Berbères, p. 110.

وقد كان انتشار استعمال الأسماء الشرقية واسعا جدا[1]، هذا ما تثبته النقوش والكتابات (Inscriptions) البونيقية والبونيقية الجديدة التي وُجدت في المُدُن النوميدية، ويلاحظ أن النقوش البونيقية الجديدة أكثر انتشارا من الكتابة النوميدية، وعددها أكبر، وأكثرها تلك النقوش جاء من مناطق كانت تابعة لنوميديا[2]. وربما شدة التأثير بالقرطاجيين هو ما جعل النوميديين يعتبرون أنفسهم من أبناء كنعان[3].

ثالثا: <u>انتشار اللغة البونيقية في نوميديا</u>:

يبيِّن التوزيع الجغرافي للنقوش المكتوبة بالبونيقية والبونيقية الجديدة والتي وجدت في المناطق المتأثرة بالحضارة واللغة القرطاجية والمنتشرة في غربي المتوسط خاصّة شمال إفريقيا، مدى التأثر النوميدي بالحضارة القرطاجية ولكن يصعب على الباحث أن يقوم بحصر وفحص جميع النقوش البونيقية والبونيقية الجديدة الموجودة بسبب عدم جمعها في مُدَوّنَة خاصّة، إذ نجدها متفرقة في المجلات والكتب المتخصّصة وذلك حسب أهمّيتها ومناطقها الجغرافية، وتتوزّع تلك الكتابات والنقوش بين تونس، الجزائر، المغرب الأقصى وبعض البلدان من المتوسط[4]. وتتركز هذه النقوش أكثر في تونس ومناطق الشرق الجزائري القريبة من قرطاجة (انظر: الشكل رقم (32)).

ولم يشمل هذا التأثير المناطق الساحلية التي شهدت تمركز المدن والمحطات التجارية الفينيقية – القرطاجية فقط، وإنما شمل مُدُنا داخلية أيضا. يأتي في مقدمة هذه المناطق النوميدية المتأثرة باللغة البونيقية مدينة سيرتا، المدينة التي تفوز بحصة الأسد من حيث عدد النقوش والكتابات البونيقية المكتشفة، كما تأخذ المرتبة الثانية بعد قرطاجة من حيث تواجد الشواهد التذكارية وتسبق في ذلك حدرومت (سوسه)[5] وقالمة التي عثر بها على عدة قبور، تشبه القبور التي عثر عليها في المحطات والمستوطنات

---

(1) Bosquet. (G. H), <u>les Berbères</u>, p. 110.

(2) Picard. (G), op. Cit, p. 27.

(3) Op. Cit, p. 154.

(4) يوجد بمتحف اللوفر الفرنسي بباريس حوالي 200 نصب تذكاري، أخذت من الجزائر أثناء فترة الاحتلال ، و يحمل الكثير منها نقوش بونيقية وبونيقية جديدة. أنظر: Berthier. (A) et Charlier**.** (A), <u>le sanctuaire</u>, pp. 590-593.

(5) Berthier. (A) et Charlier**.** (A), Ibid. p 59.

الفينيقية[1] وسيجوس (Sigus) حيث عثر بها على آثار مادية بونيقية، وكذلك تبسة (Théveste) إذ يذكر لنا ديودور الصقلي[2] أن أحد القادة القرطاجيين قد استولى على أكبر المدن النوميدية وهي تبسه (Théveste)، خلال الحروب البونية الثانية (218-201 ق.م). وقد كانت ميلة (Milev) أيضا متأثرة بالحضارة القرطاجية[3] (انظر: الشكل رقم (33)).

ومن خلال الدراسة الإحصائية لتوزيع هذه المواقع في الجزائر، يتبيّن لنا أن الأماكن التي وجدت بها نقوش مكتوبة بالبونيقية أو البونيقية الجديدة تتناقص كلما اتجهنا نحو الغرب كما هو مبُيَّن في الجدول من ذلك يكمن لنا القول أن التأثير القرطاجي يتناقص كلما اتجهنا نحو الغرب وتنطبق أيضا هذه الفكرة على توجهنا نحو الجنوب. (الشكل رقم،(32)).

ويُضاف إلى تلك الكتابات والنقوش التي وجدت على النصب، النقوش والكتابات على النقود الكثيرة التي عثر عليها في مواقع مختلفة من نوميديا والتي احتوت على نقوش صغيرة لا تتجاوز أسماء الأعلام[4] (انظر: الشكلين (34)، (35)).

من خلال ذلك يتبيَّن لنا أن نوميديا قد تأثرت باللغة، الكتابة والثقافة البونيقية ولكن التأثير الأكبر يتركز في المناطق المجاورة لقرطاجة.

رابعا: <u>آثار اللغة والثقافة البونيقية بعد عام 146 ق.م:</u>

إن الصراع الذي اندلع بين القرطاجيين والرومان الذي دام زمنا طويلا واصطلح عليه بالحروب البونيقية (264-146ق.م) انتهى بتدمير الدّولة القرطاجية، وتدمير عاصمتها على يد سيبيون الإميلي بغية القضاء على حضارتها والاستيلاء على أرضها، فهل بزوال الدّولة القرطاجية زالت معها حضارتها وثقافتها ولغتها أم أنها استمرت بعدها ؟

(1) Camps.(G), <u>Massinissa</u>, p. 256.
(2) Diodore, XXIV.
(3)
(4) Trousset. (M), <u>le trésor</u>, pp. 128-131.

لقد أثارت مسألة استمرار اللغة البونيقية في نوميديا وذلك بعد زوال قرطاجة، جدلا كبيرا بين المؤرخين المعاصرين بين مُؤيد ورافض لهذه الاستمرارية مُعتمدين في ذلك على تحليل ما ورد في المصادر التاريخية، بالرغم من أن بعض المصادر التاريخية قد أشارت إلى أن اللغة البونيقية قد استمرت زمنا طويلا جدا بعد زوال قرطاجة ككيان سياسي وقوة عسكرية، أهمّها ما أشار إليه القديس أوغسطين (St. Augustin) إلى أن اللغة البونيقية كانت موجودة في عصره في بونه[1] وأن مؤلفات مكتوبة بالبونيقية كانت موجودة في عهده[2]، وشاطر رأي القديس أوغسطين المؤرخ بروكوب أن النوميديين كانوا يتكلمون البونيقية قي زمنه[3].

ورغم ذلك فإن بعض الدراسات الحديثة لا توافق[4] على ما ذهب إليه كل من القديس أوغسطين وبروكوب، حيث يقول ش. ا. جوليان[5]: « ولكن يبدو أن اللغة البونيقية لم تبق مستعملة حتى العصر البيزنطي كما يعتقد أكثر الناس اعتمادا على نصوص القديس أوغسطين وبروكوب التي أسيء فهمها وتأويلها... فقد انتهى استعمال اللغة البونيقية في تواريخ مختلفة تبعا لاختلاف الجهات المتأثرة بها، ولكن لا تتجاوز في أغلب الظن آخر القرن الثاني وأول القرن الثالث بعد المسيح. إن ما كان يظنه القديس أوغسطين بونيقية إنما هي لغة ليبية، فالبونيقية لم تبق مستعملة حتى العصر البيزنطي كما يعتقد أكثر الناس ».

إلاّ أن هناك من يرى عكس ما يعتقد ش. أ. جوليان، فهناك من يرى أن عائلة سبتيم سيفيروس كانت تتحدث اللغة البونيقية بل أكثر من ذلك فقد كان لهذا الإمبراطور الإفريقي الأصل أقارب لا يعرفون اللغة اللاتينية ولا يتكلمون سوى البونيقية[6] أما أ. بيغانيول[7] (Piganiol. A) وستيفان غزال[8] (Gsell. S) فيعتقدان أن اللغة البونيقية قد استمرت بزمن طويل بعد زوال قرطاجة إذ يقول هذا الأخير في ردّه على كل من يعارض ما جاء عند القديس أوغسطين وبروكوب:« أن الكلمات التي جاءت عند القديس

---

(1) Piganiol. (A), op. Cit, p. 819.

(2) بورنية. (ش) وطاهر. (م)، المرجع السابق، ص 174.

(3) Fantar. (M. H), Visite, p. 10.
Courotois. (Ch), Saint Augustin, pp. 259- 282.

(4) انظر:

(5) بورنية. (ش)، المرجع السابق، نفس المكان.

(6) Picard. (G), op. Cit, p. 76.

(7) Piganiol. (A), op. citp. 820.

(8) Gsell. (S), H.A.A.N, t. 4, p. 498.

أوغسطين كلها سامية دون شك »، وهذا ما يثبت استمرار اللغة والثقافة البونيقية بعد تدمير قرطاجة حتى أصبح مصطلح بونيقي مرادفا لمعنى نوميدي في الكتابات القديمة[1]، ويبدو أن هذه الاستمرارية كانت تمهيدا للفترة اللاحقة ما سمح بانتشار اللغة العربية بسهولة في نوميديا. ويوافق ج. بيكار[2] (G. Picard) الاستنتاج الذي توصل إليه غزال فيما يخص استمرارية اللغة البونيقية في الأرياف إلى القرن السّادس، حيث يقول: "وبذلك استمرت اللغة البونيقية إلى ما بعد الغزو (الفتح) الإسلامي لبلاد المغرب".

أما أ. البرتيني[3] (A. Albertini) فيعتقد أن اللغة البونيقية قد استمرت فقط في المناطق التي شهدت التواجد الدائم لقرطاجة دون غيرها، وعاشت إلى زمن بروكوب المؤرخ الرسمي لبليزار[4] (Bélisaire).

وقد دلت المكتشفات الأثرية من نصوص ونصب كثيرة عثر عليها في مناطق مختلفة من شمال إفريقيا، منها الأراضي التي كانت تابعة لقرطاجة أو التابعة للملوك النوميديين أن اللغة البونيقية قد استمرت إلى القرن الأول بعد الميلاد على الأقل.

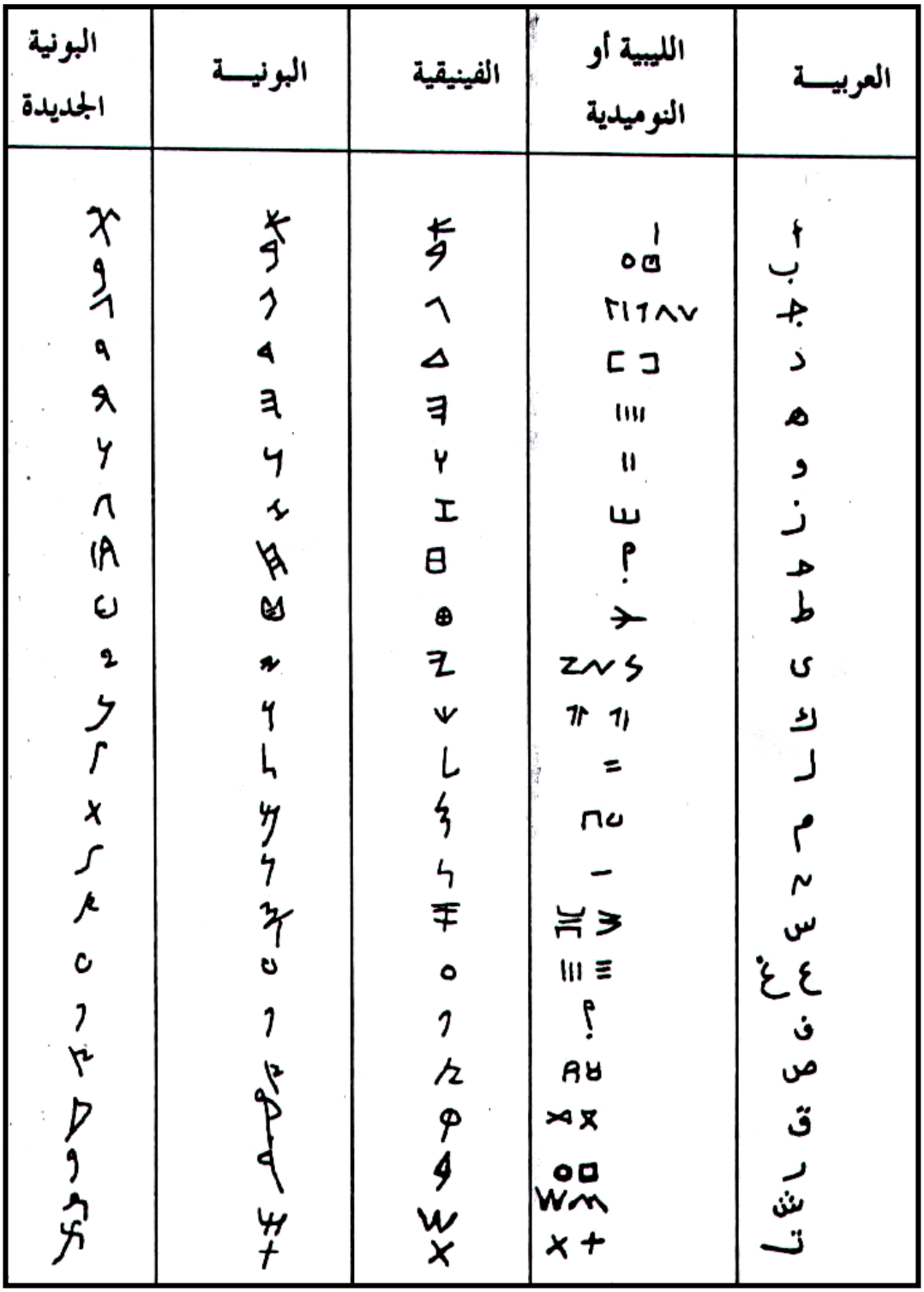
كما كانت النصوص المقدّسة تكتب باللغة البونيقية (المحفوظة في المعابد) ولكن هذه الكتابة بدأت تفقد مكانتها شيئا فشيئا، فتاريخ آخر النقوش البونيقية المكتوبة بلغة سليمة لا تزيد عن القرن الأول بعد الميلاد[5]. ومن ثمّ حدث تطوّر هام في هذه اللغة، حيث كان النوميديون يتكلمون باللغة البونيقية ويكتبونها باللاتينية، كما دلت على ذلك النقوش التي وجدت في لبتيس[6] (Leptis) ومنه أصبحت بعض النصوص تكتب بلغة بونيقية وأبجدية لاتينية مثل الأسماء التي كانت تنطق باللغة اللاتينية ولكن روحها كان بونيقيا[7].

ونظرا للانتشار الواسع الذي عرفته اللغة البونيقية في شمال ومن خلال الاهتمام الذي نالته من طرف الملوك النوميديين من جهة، وباعتبارها نتاج سلمي بين عالمين[8]

---

(1) Saumagne. (Ch), la survivance du punique au V^éme et VI siècle après J.C, Karthago, IV, 195, p. 177.
(2) Picard. (G), Op. Cit, p. 85.
(3) Albertini. (E), op. Cit, p. 85.
(4) الجنرال البيزنطي المكلف بإعادة غزو إفريقيا. أنظر: Fantar. (M.H), visite, p. 10.
(5) Camps. (G), les Berbères, p. 154.
(6) Picard. (G), op. Cit, p. 78.
(7) Gautire. (E. F), Loc. Cit.
(8) Mansouri. (S), op. Cit, p. 13.

عالم جنوب شرق وجنوب غربه البحر المتوسط، كما تعتبر نتيجة تفاعل بين لغتين الفينيقية الشرقية والنوميدية أصيلة المغرب من جهة أخرى فإن ذلك يجعلنا نؤيد الرأي القائل باستمرار اللغة البونيقية إلى العهد البيزنطي على أقل تقدير.



الشكل رقم (36): جدول الكتابة البونية والنوميدية في المغرب القديم.

المصدر: غانم. م. ص، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى ، الجزائر، (1999)، ص 117.

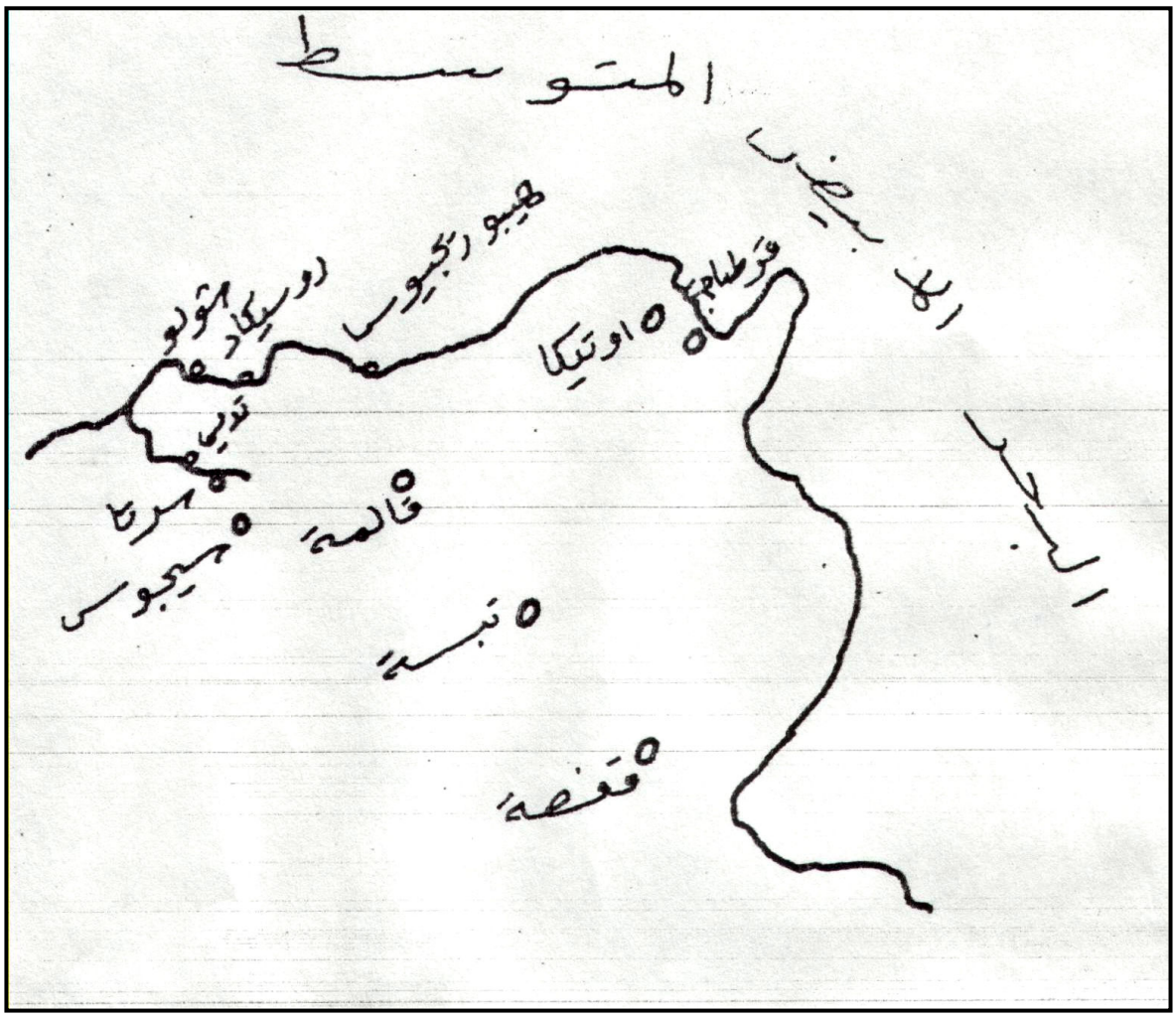
	عدد النقوش التي**عثر** عليها
كاف بوزيان	02
قالمة	40
كنيسة سراو	08
قلعة بوصبع	02
حمّام زواكر	01
سيجوس	01
قسنطينة	حوالي 40
ميلة	11
دلس	01
رأس جنات	02
شرشال	02
ميناء الدجاج	01
الأندلسيات	01

الشكل رقم (32): جدول توزيع النقوش البونيقية و البونيقية الجديدة في الجزائر.



الشكل رقم (35): نصب مكتوب بالبونيقية الحديثة يمثل نذرا لبعل حمون وتانيت، عثر عليه بمعبد الحفرة بسيرتا.

المصدر : Berthier (A) et Charlier (A. R), le sanctuaire punique d'El-Hofra, t.1, p.12, N°1, pl. XIX, A.



الشكل رقم (33): خارطة توضّح مُدُنا داخلية في شرق الجزائر متأثرة بالحضارة القرطاجية.
المصدر: شنيتي. محمد البشير، التغيرات، مُذكرة ماجستير، ص 303.

ومن خلال ما سلف يمكن أن نذكر النتائج التالية:

– يبدو أن هناك قرابة شديدة بين اللغتين الليبية (النوميدية) والفينيقية في أصولهما البعيدة ما سهّل التواصل اللغوي بين الفينيقيين والليبيين وبالتالي ساهم هذا التقارب في تكوين لغة جديدة عُرفت باللغة البونيقية لغة قرطاجة، وسهّل كل ذلك على النوميديين التأثر بها.

– تميزت اللغة البونيقية بالطبع الشرقي فهي أكثر ميلا للغة الفينيقية القادمة من الشرق من حيث الشكل (الكتابة) والمضمون التراكيب، التعابير والمفردات.

– بلغ من اهتمام النوميديين باللغة البونيقية حدا كبيرا، ربما بنفس القدر الذي كانت قد وجدته عند القرطاجيين أنفسهم، فجعلوا منها لغة رسمية لدولهم ونقشوا بها نقودهم ومعالمهم، وكتبوا بها أفكارهم.

– تمسك السكان النوميديون باللغة القرطاجية حتى بعد زوال الدّولة التي كانت تحمي هذه اللغة، وذلك بسبب إسهامهم في نشأة هذه اللغة ويمكن أن نعتبر أن هذه اللغة لغتهم أيضا.

الخاتمـــــــــــــــة

إضافة إلى النتائج التي تَوصلَتْ إليها هذه الدراسة حول موضوع مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا " الزراعة، الديانة، اللغة " والتي قيدناها في نهاية كل فصل من فصول الموضوع، فإننا قد خرجنا بجملة من النتائج الهامّة التي يمكن أن نقدم ملخصا لها فيما يلي:

لقد أسّس الفينيقيون والقرطاجيون العديد من المراكز والمحطات التجارية على السواحل الشمالية لإفريقيا، و كانت سببا في التقاء الشعبين الفينيقي والليبي مع بعضهما البعض، فنشأت بينهما علاقات جعلت الشعبين يتعرفان بعضهما بالآخر أكثر وتتطور العلاقات أكثر فأكثر مع نشأة قرطاجة، ومنه تنتقل المؤثرات الحضارية القرطاجية إلى النوميديين.

لم يتأت التأثير القرطاجي في نوميديا بالقوّة والغزو وإنما كان ذلك بشكل عفوي، وهذا من خلال عوامل عدّة منها: عامل الزمن المتمثل في طول مدة التواجد الفينيقي القرطاجي في شمال إفريقيا، حيث كان أكثر عن طريق التعامل التجاري، ومن خلال مساهمة النوميديين في الحضارة القرطاجية، وعامل الاحتكاك بين الطرفين. فعبّر فيه النوميديون عن رغبتهم في المساهمة في الحضارة الإنسانية السائدة في ذلك الوقت، و هذا ينمُّ عن وعي كبير لدى النوميديين.

إن دخول عناصر حضارية جديدة لم تجعل النوميديين يتخلون عن مقوماتهم الحضارية القديمة تماما، وإنما طوّروها وفق تطوّر فكرهم و تفاعلهم مع الحضارات الأخرى، بفعل احتكاكهم بالفينيقيين والقرطاجيين ويتجلى ذلك من خلال: احتفاظهم بأدواتهم وأساليبهم الزراعية، استمرار المعتقدات الدّينية النوميدية في المناطق المجاورة لقرطاجة، استمرار اللغة النوميدية، ومحاولة احتفاظهم على استقلالهم السياسي بإعلان الحرب ضدها عندما بدأت في استغلالهم والتوسع على حساب أراضيهم.

يكمن دور القرطاجيين في التأثير الحضاري في نوميديا في إدخالهم أفكار جديدة، وتطويرهم للتقنيات المحلية، ما جعل المؤرخين ينسبونها جميعها للقرطاجيين، فأهمّلوا دور الليبيين (النوميديين) فيها.

أبرز القرطاجيون ما تتمتع به نوميديا من ثروات وخيرات، فجلبت انتباه الرومان الذين قضوا عليها، واتخذوا قرطاجة قاعدة لتوسعهم الاستعماري في نوميديا.

بالرغم من زوال الدولة القرطاجية في 146 ق.م إلا أن الحضارة القرطاجية قد استمرت لزمن طويل، حيث تمسك النوميديون بمظاهر الحضارة البونيقية (لغة، معتقدات دينية...) ويعود سبب ذلك إلى أن هذه الحضارة هي إنتاج مزدوج قرطاجي ونوميدي.

يشتد التأثير القرطاجي في نوميديا كلما اتجهنا نحو الشرق والشمال، ويقل كلما اتجهنا نحو الغرب والجنوب، فالمناطق الأكثر تأثرا هي المناطق الأكثر اتصالا بقرطاجة. وقد تركت قرطاجة على حدّ تعبير ج. لابيير (Lapayer) في كتابه (قرطاجة البونيقية، ص 79) " آثارا لا تمحى في نفوس السكان الذين كانوا في علاقات معهم، ويمكن القول بنوع من التأكيد أنها جعلت جزءا هاما من نوميديا ساميا"، يؤكد ذلك الدراسات التي تناولت تاريخ المنطقة التي لم تكن تفرق بين النوميديين والقرطاجيين.

استفاد النوميديون من الحضارة القرطاجية، فتعلموا طرقا جديدة لاستغلال الأراضي الزراعية، واستفادوا من الأدوات وأنواع المزروعات الجديدة التي جلبها الفينيقيون إلى شمال إفريقيا، كما استفاد القرطاجيون من الموارد النوميدية الهائلة منها الطبيعية الزراعية والحيوانية، ومن الموارد البشرية في الحروب والتجارة والاستكشاف.

استفاد النوميديون من المقومات الحضارية القرطاجية بعد زوالها، عندما ضم الملوك النوميديون أرضي كانت تابعة لهم فضمّوا معها سكانها البونيقيين.

ازدهر الاقتصاد النوميدي بفعل التأثير القرطاجي فيه، وكان ذلك قبل وبعد زوال قرطاجة، وكانت قرطاجة نفسها تستفيد من خيرات نوميديا، كما ضم الملوك النوميديون.

لم يقتصر التأثير القرطاجي في نوميديا على المجالات التي تناولتها الدراسة فحسب و لكنها شملت مجالات أخرى كثيرة نذكر منها: المجال الصناعي، الطبي، المجال الفني والمعماري والسياسي.

من خلال هذه الدراسة اتضح لنا عمق التأثير القرطاجي في نوميديا، و لكن تبين لنا أيضا تأثر القرطاجيين بما وجدوه في نوميديا من عناصر حضارية، فالتأثيرات بينهما كانت متبادلة ودون أدنى شك و يظهر ذلك من خلال:

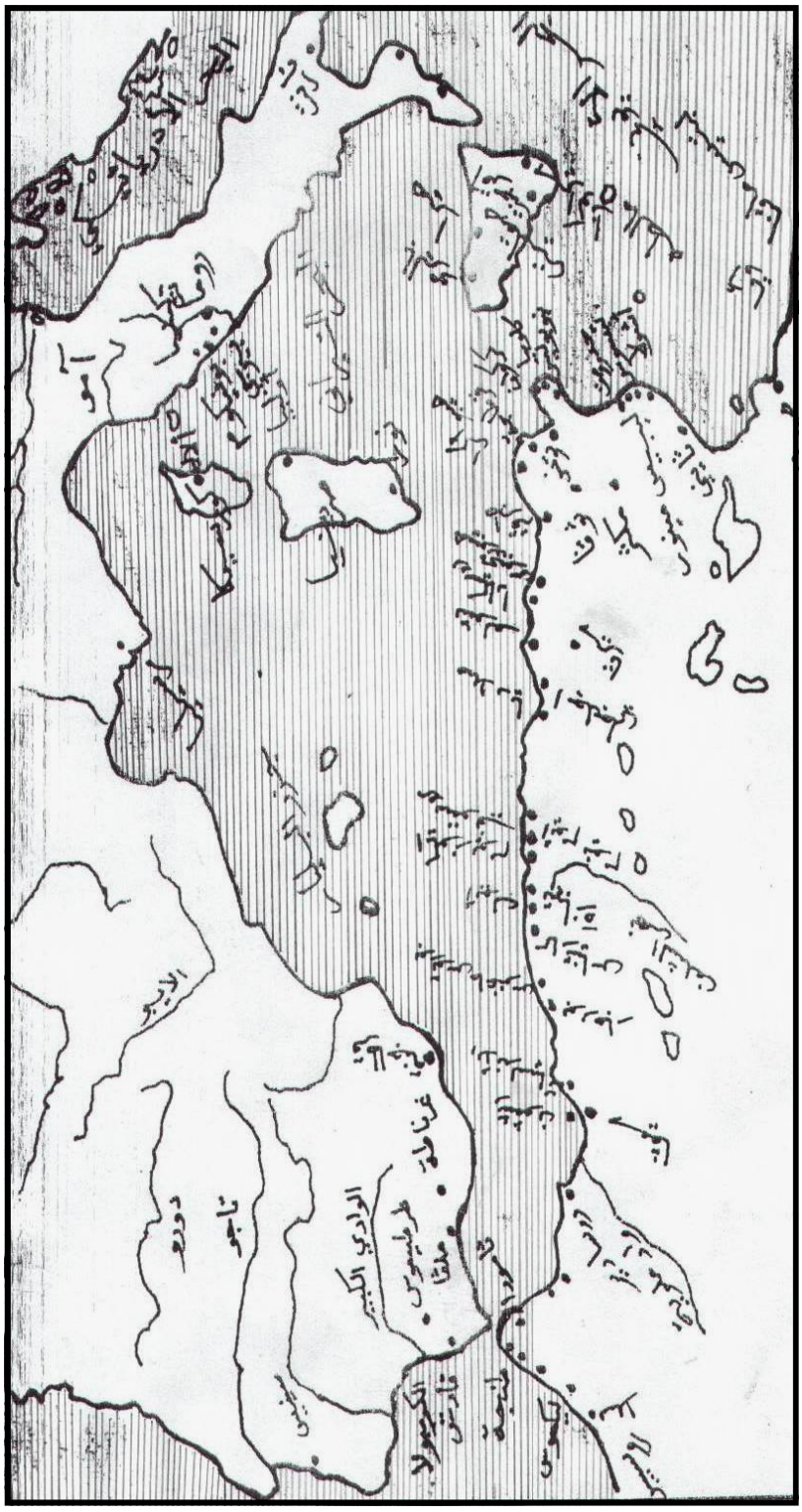
- التأثير في مجال الزراعة من خلال استغلال التقنيات الزراعية المحلية وتطويرها، الاستفادة من المنتجات الزراعية والحيوانية النوميدية في التجارة والغذاء.
- الاستفادة من السواعد النوميدية التي كانت تشتغل في المحالات الاقتصادية والعسكرية خاصة الزراعة يشهد على ذلك استعانة قرطاجة بالنوميديين في المجالات السالفة الذكر.
- المجال الديني حيث تطورت الديانة الفينيقية بعد وصولها إلى شمال إفريقيا ومن ذلك تطور مكانة الآلهة الأنثى لتأخذ المرتبة الأولى مع بعل حمون الذي يعتقد أنه إله محلي تبناه القرطاجيون فيما بعد.
- المجال اللغوي حيث تطورت اللغة والكتابة الفينيقية ويؤكد بعض المختصين من أن التأثير اللغوي الليبي (النوميدي) في اللغة الفينيقية كان عميقا شمل المفردات والتراكيب.

وهذا ما يجعل من التأثير الليبي النوميدي في قرطاجة موضوعا جديرا بالدراسة والبحث في المستقبل.

المـــــــــلاحق

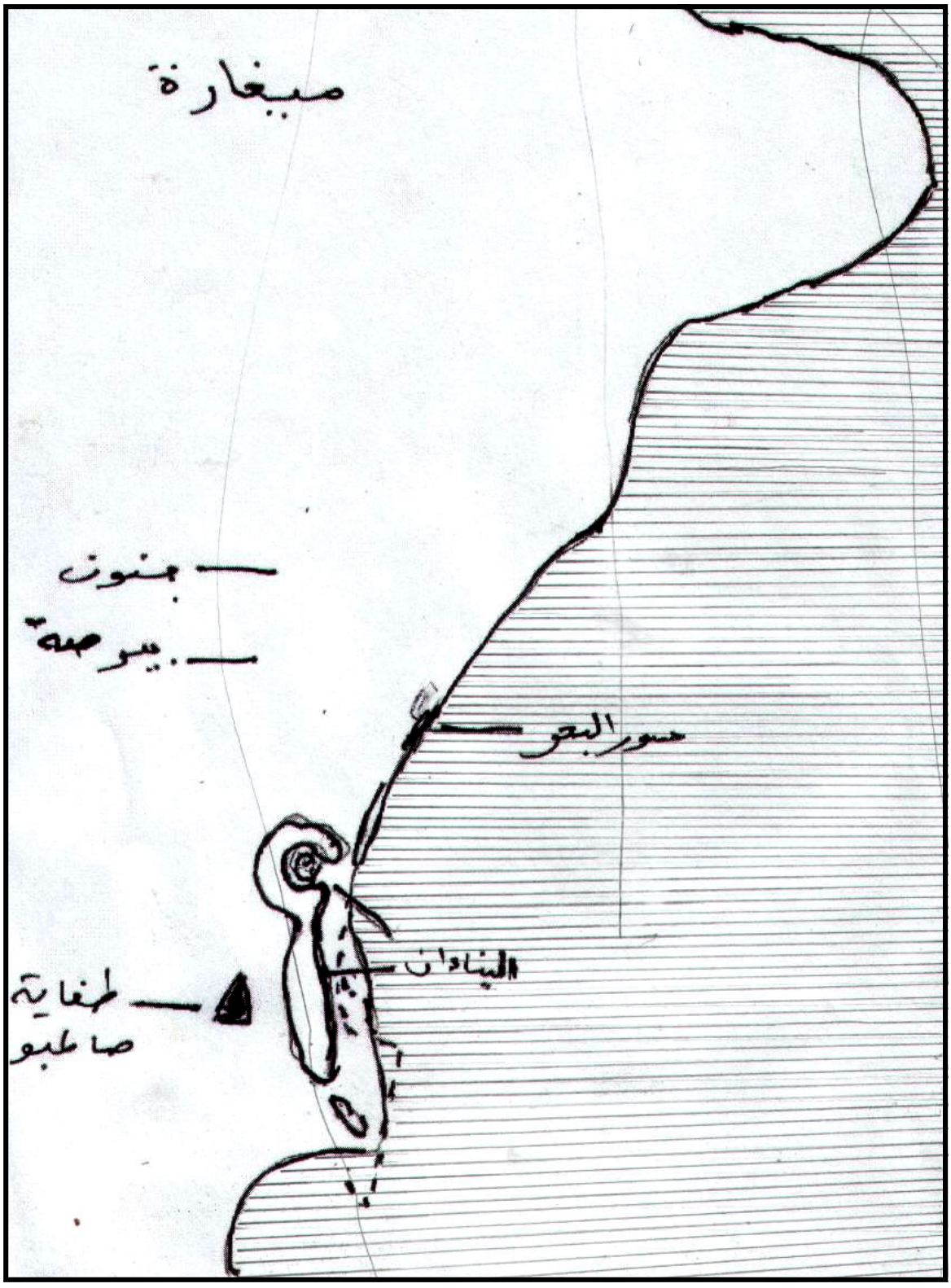
ملحق الخرائط :

ملحق رقم (01): خارطة تبين المستعمرات الفينيقية على سواحل البحر المتوسط (مترجمة).



المصدر: Fantar. (M. H), les Phéniciens en Méditerranée, éd. Alif, Tunisie, (1997), pp. 104-105.

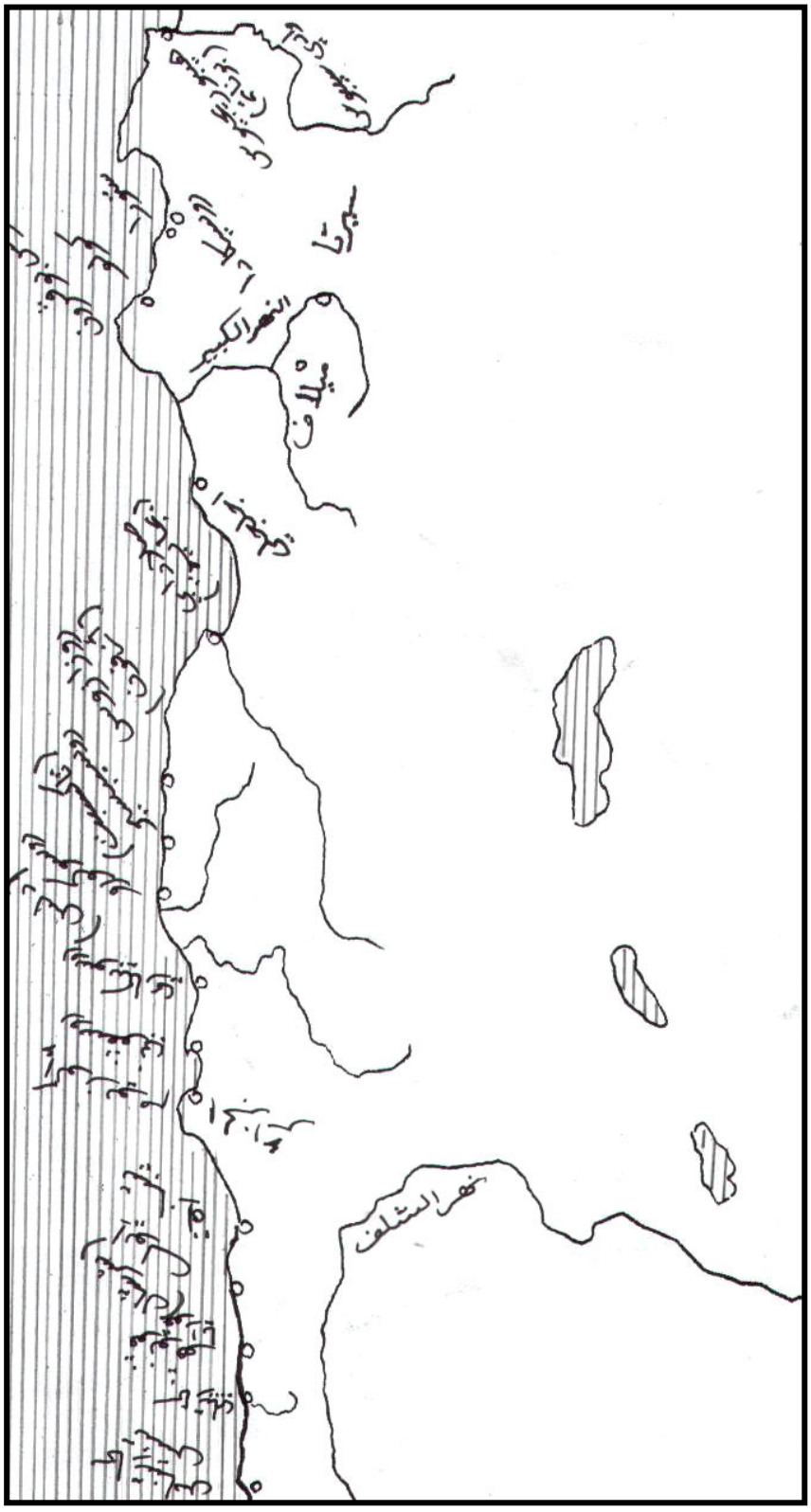
ملحق رقم (02): خارطة توضح اقليم مدينة قرطاجة.



المصدر: بُورنّية. ش وطاهر. م، قرطاج تاريخ حضارة، ص. 144.

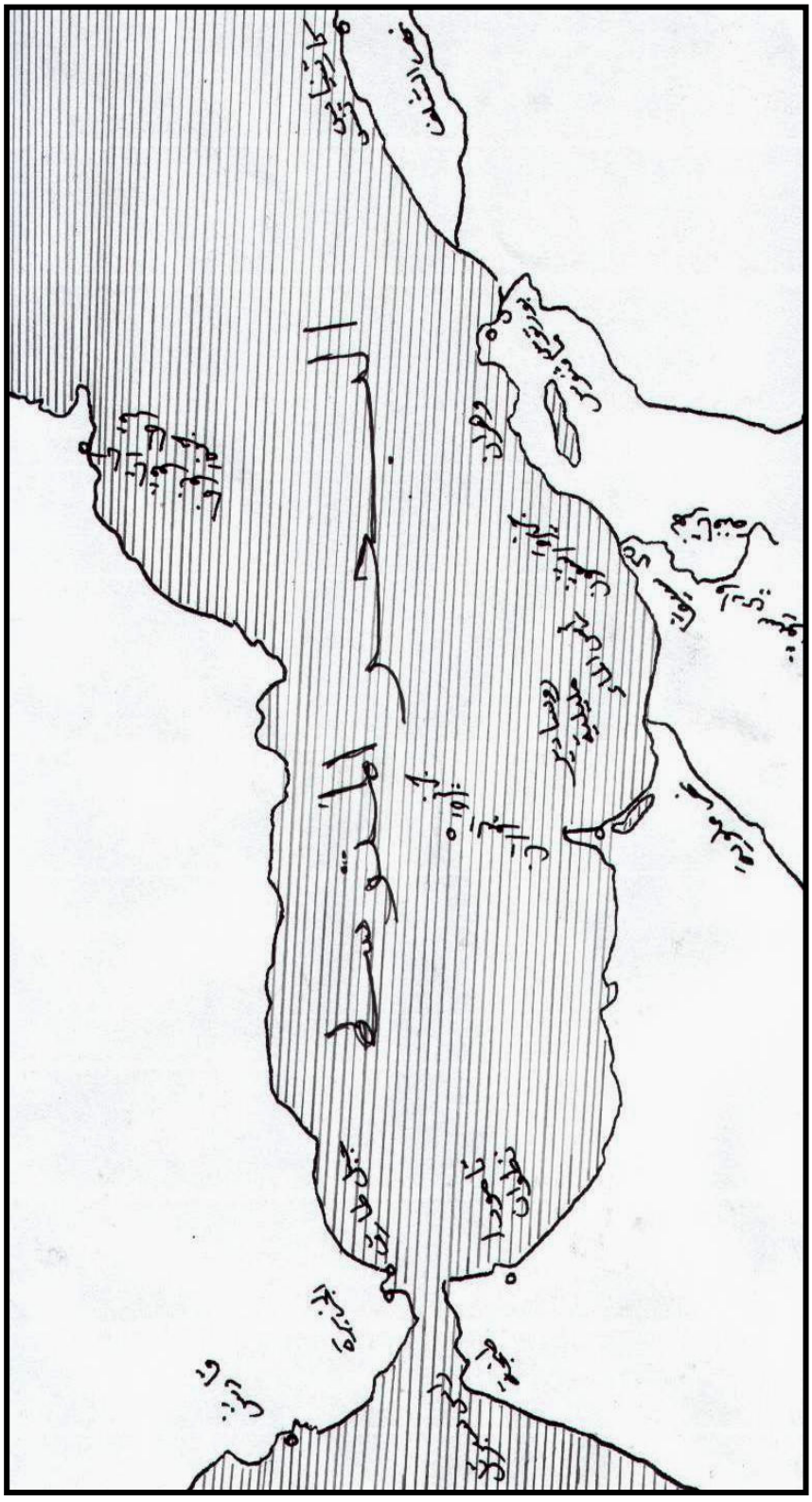
ملاحظة:في الشمال نجد حي ميغارة الذي ذكره ديودور الصقلي (على سبيل الافتراض).

ملحق رقم (03): خارطة تبين المستوطنات القرطاجية على سواحل الجزائر، بونه – تنس (مُترجمة).



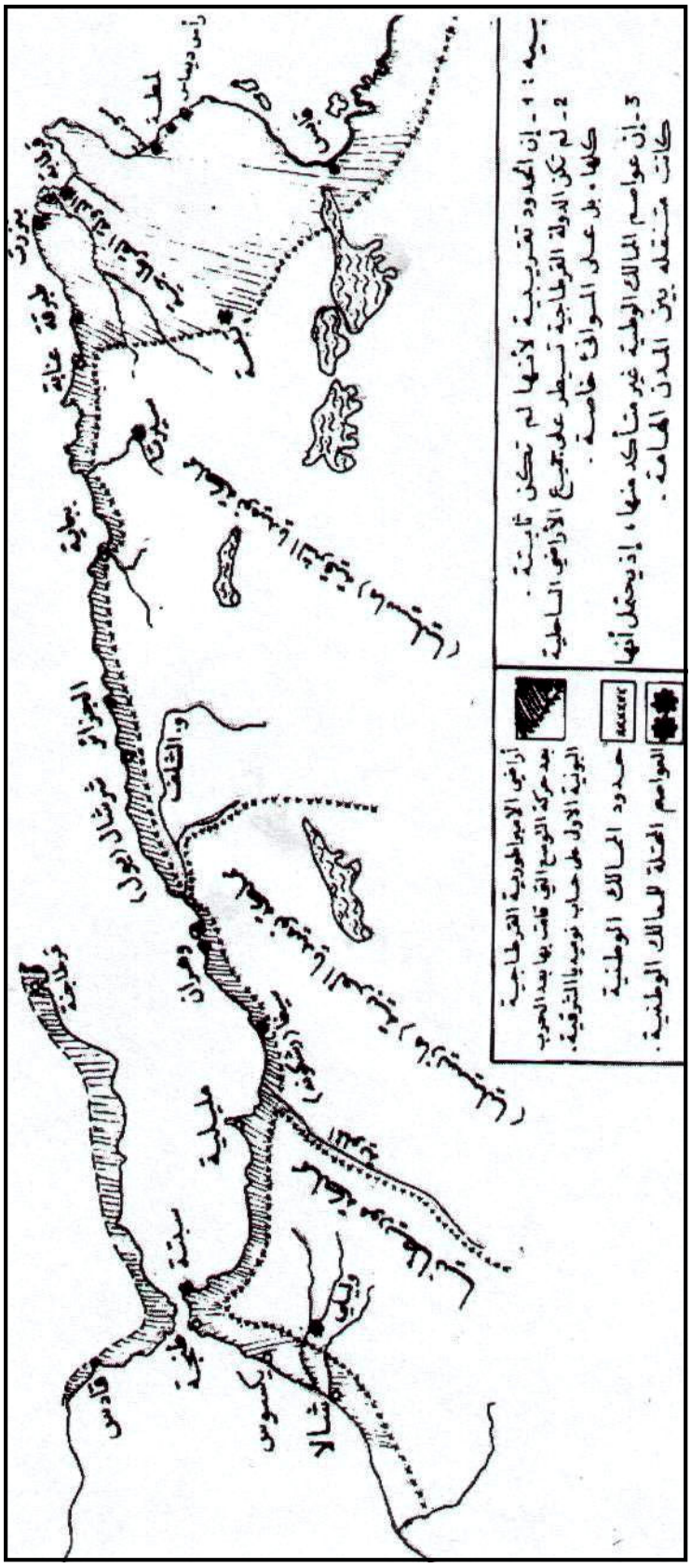
المصدر: Gsell. (S), H.A.A.N, t. 2, p. 153.

ملحق رقم (04): خارطة تبين المستوطنات القرطاجية على سواحل الجزائر، تنس – جبل طارق.



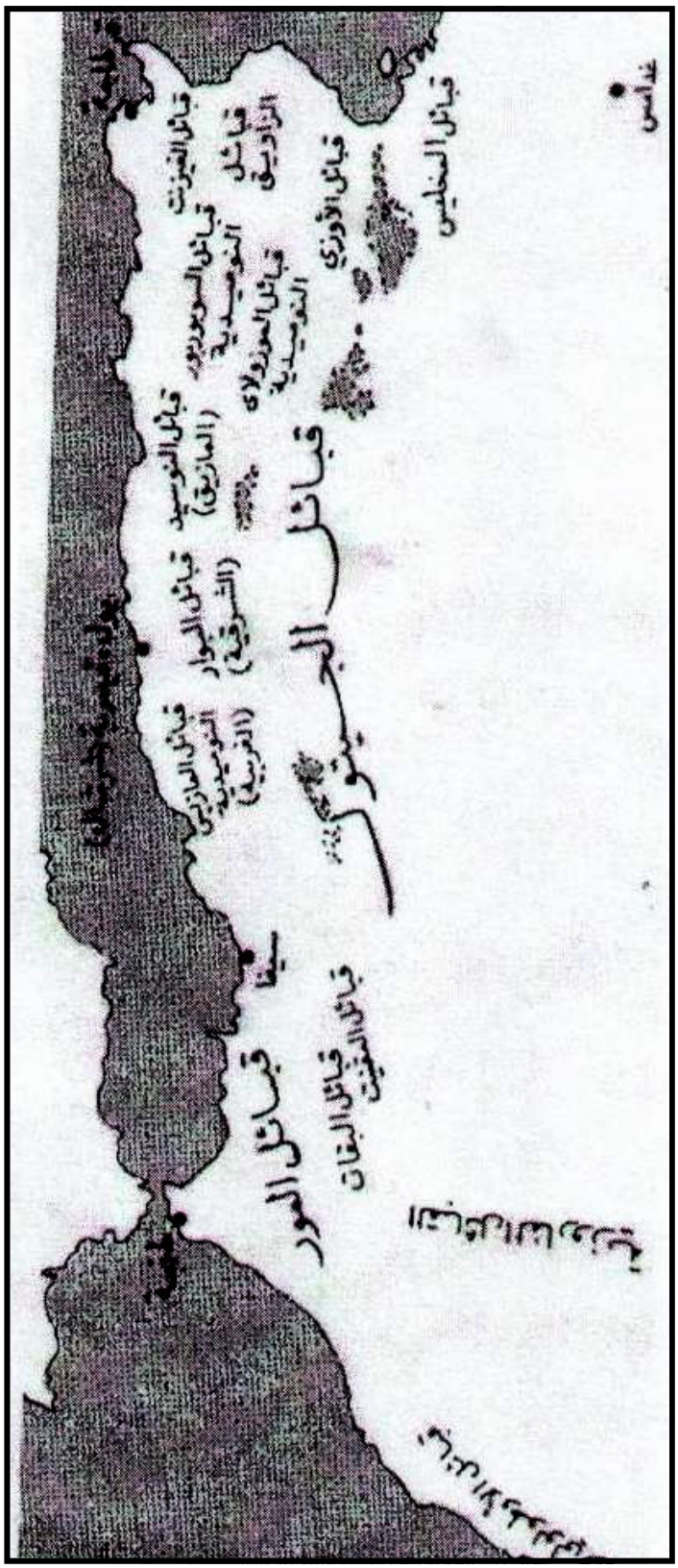
المصدر: Gsell. (S), H.A.A.N, t. 2, p. 165.

ملحق رقم (05): خارطة القبائل النوميدية.



المصدر: شنيتي. (م. ب)، الاحتلال الروماني، ص. 163.

ملحق رقم (06): خارطة االقبائل النوميدية.



المصدر : : شنيتي. (م. ب)، التغيرات، ص. 276.

بيبليوغرافيا البحث:

أولا- المصادر:

- Columelle, L'économie rurale, trad. Dubois. (L), Panckoucke, Paris, (1948).
- Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, trad. Par: Miot. (A. F), Paris, (1834).
- Gsell, (St), Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord, Hérodote. Paris. (1916).
- Justin, Histoire universelle, Traduit par: Perrot. (J) et Boitard. (E), Panckoucke, (1873), (2vol).
- Pline l'ancien, Histoire naturelle, Tra. Beaujeu. (J), éd. Hachette, Paris, (1950).
- Polybe, Histoire, tra. Par: Roussel. (D). collection Pliéad, (1970).
- Tite live, Histoire Romaine, trad. Par: Lasser (E), éd. librairie Garnier frères, Paris, (1950).
- Salluste, la conjuration de Catilina la guerre de Jugurtha, trad. et introduction et notés Par: Richard (F), Garnier, Flammarion, Paris, (1968).
- Strabon, Géographie, trad. Par: Amédée Tardien, éd. Hachette, Paris, (1880).
- Varron, L'économie rurale, trad. Rousselot,. Panckoucke, Paris, (1943).

ثانيا- **المراجع :**

1) **باللغة العربية:**

- أبو النصر. عادل، تاريخ الزّراعة القديمة، ط1، (1960).
- أندري. بريان، أندري. ف، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: استمبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، (1984).
- بورُنيّة. الشاذالي وطاهر. محمد، قرطاج البونية تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي تونس، (1999).
- البرغوتي. محمود عبد للطيف، التاريخ الليبي القديم، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، (1971).
- جوليان. شارل اندريه، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد أمزالي والبشير سلامة، تونس، (1969).
- الجيلالي. عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، ط4، (1980).
- المدني. أحمد توفيق، قرطاجنة في أربعة عصور، من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، م. و. ك، الجزائر، (1986).
- الناضوري. رشيد، التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الثالث: المدخل في التطوّر التاريخي والدّيني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (1976).
- صفر. أحمد، مدنية المغرب العربي في التاريخ، ج1، الدار التونسية للنشر بوسلامة، (1959).
- توفيق. الطويل، قصة الكفاح بين روما وقرطاجة، دار النشر الحديث، (1936).
- شنيتي. محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرّومنة . 146 ق.م -40 م)، م.و.ك، ط 2،(1985).
- شنيتي. محمد البشير، سياسة الرّومنة في بلاد المغرب من سقوط الدّولة القرطاجية إلى سقوط موريتانيا. 146 - 40 ق م، م. و. ك، ط1، (1982).

- شنيتي. محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني و دورها في أحداث القرن الرّابع الميلادي، م. و. ك، الجزائر، (1984).
- الخوري. منير، تاريخ صيدا عبر حقب التاريخ، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (1966).
- غانم. محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى الجزائر، (2003).
- غانم. محمد الصغير، التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، معهد التاريخ الجزائر (1981-1982).
- غانم. محمد الصغير، التوسع الفينيقي غربي البحر المتوسط، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، د. م. ج، الجزائر، (1979).

2) باللغة الأجنبية:

- Albert. (A), Histoire de l'Afrique du nord, Ed. Spécial, (1964).
- Albertini.(E), Marçais. (G), Yver. (G), l'Afrique du nord française dans l'histoire, Ed. Archat, Lyon, Paris, (1937).
- Balout. (L), préhistoire de l'Afrique du nord, Paris, (1955).
- Basset, (R) Recherches sur la religion Berbères : Extrait de la revue de l'histoire des religions. Tome 61, 1910, éd. Laroux, paris, (1910).
- Berthier. (A) et Charlier. (A. R), le sanctuaire punique d'El Hhofra à Constantine, texte et planches, . Arts et métier graphiques, Paris, (1955).
- Bousquet. (G. H), les Berbères, press universitaires de France, Ed. Que sais-je?, (1974).
- Camps, (F. H), L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine, imprimerie officielle, Alger, (1953).
- Camps. (G), Aux origines de la Berbérie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, . Alger, (1961).
- Camps. (G), Berbères aux marges de l'Histoire, . Des Hespérides, - Toulouse, (1980).
- Camps, (G), les Berbères, éd. sud, Alif. Toubkal, Maroc, 1990.
- Camps. (G), Monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris, (1961).
- Chabot. (J. B), Recueil des inscriptions libyques, Paris, imprimerie nationale, (1940).
- Cintas. (P), Céramique punique, Paris, (1950), -
- Cintas. (P), Manuel d'archéologie punique, Paris, (1970), t. 1.
- Conteneau. (G), Civilisations anciennes du proche orient, Paris, (1960).
- Conteneau. (G), la civilisation Phénicienne, Payot, Paris, (1949).
- Decret. (F), Carthage ou l'empire de la Mer, . du seuil, Paris, (1977).
- Decret. (F), et Fantar. (M. H), l'Afrique du Nord dans l'An t-iquité Histoire et Civilisation des origines au V^{ème} siècle, Payot. Paris, (1977).
- De Saulcy. (F), Lettre sur inscription bilingue de Thougga, J.A, I, (1943).

- Fantar (M.H), Carthage approche d'une civilisation, t. 2, Ed. Alif, Tunisie, (1977),
- Fantar**.** (M. H), Carthage la prestigieuse cité d'Elissa, Maison tunisienne de l'édition, Tunisie, (1970).
- Fantar. (M.H), Kerkouane, cité Punique de Cap bon, t. 3,Tunis, (1986)
- Fantar. (M. H), les Phéniciens en Méditerrané, Ed. Alif, Tunisie, (1997).
- Fantar. (M. H), Téboursouk : stèles amépigraphique à inscription neo-punique, Paris, (1976)
- Fantar. (M. H), visite de Carthage, Maison tunisienne d'Edition, Tunisie, (1973).
- Février. (J. G), Histoire de l'écriture, Payot, Paris, (1948).
- Février. (J. G), Que Savons nous du Libyque? R. Af. N 100, (1956).
- Gautier. (E. F), le passé de l'Afrique du nord, siècles obscures, - -Payot, Paris, (1952).
- Gsell. (S), Atlas archéologique de l'Afrique, A. Jourdan, Alger, Paris, 2 Vol, ((1905).
- Gsell. (S), l'Algérie dans l'antiquité, Alger, (1900).
- Gsell. (S), H.A.A.N, t. 1, Paris, (1921).
- Gsell. (S), H.A.A.N, t. 2, Paris, (1923).
- Gsell. (S), H.A.A.N, t. 3, Paris, (1918).
- Gsell. (S) H.A.A.N, t. 4, Paris.
- Gsell. (S), H. A. A. N, t. 5, Paris.
- Gsell. . (S). les Monuments antiques de l'Algérie, t. I, Paris, (1901).
- Hubac. (P), Carthage, . La renaissance du livre, Paris, (1946).
- Kaddach. (M), l'Algérie des algériens de la préhistoire à 1954, Paris, (2000).
- Lapayer. (G) et Pellegrin. (A), Carthage punique, 314-146 Av. J.C , Payot, Paris, (1946).
- Laroux. (G), Les anciennes civilisations, éd. Hachette, Paris, (S.D),
- Le Glay (M), Saturne Africain, Histoire, éd. E. de Bocard, Paris, (1961).
- Le Glay. (M), Saturne Africain, Monuments, t. I, Paris, (1961),

- Mahdjoubi. (S), Histoire de la Tunisie, Maison Tunisienne - d'édition, (S. D).
- Marcy. (M. G), les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord, Paris, (1936).
- Mazard. (J), Corpus Nummorum Numidiae Maurtaniaeque, éd. Arts et mitiers graphiques, Paris, (1955).
- Mazel. (J), Avec les Phéniciens à la poursuite du Soleil sur la route de l'Or et de l'Etain, Paris, (1968).
- Moscati. (S), l'épopée des Phéniciens, Paris, (1971).
- Moscati. (S), les Phéniciens, . Bompiani, Milan, (1988).
- Picard. (C), Carthage, . Les belles lettres, Paris, (1951).
- Picard**.** (C), le monde de Carthage, . Corréa, Paris, (1956).
- Picard**.** (Ch. G), la civilisation de l'Afrique romaine, Paris, (1959).
- Picard. (G), les religions de l'Afrique antique, Paris, (1954)
- Picard. (G. C), Castellum dimmudi, Alger, (1948).
- Picard. (G. C), Vie et mort de Carthage, . Hachette, Paris, (1970).
- Picard, (G), et Picard, (C), la vie quotidienne à Carthage au temps d'Annibaal, Paris, (1982).
- Schmid**t**. (W), l'empire carthaginois, Ed. Société nouvelle d'imp. et d'édition. Paris, (1939),
- Slim. (M), et autres, Histoire de la Tunisie, des origines à la conquête romaine, Société tunisienne de la diffusion, (S.D), t.1.
- Tlitli. (S), La Carthage punique, étude urbaine, Ed. Librairie d'Amerique, Paris, (1978).
- Warmington. (B. H), Histoire et civilisation de Carthage, 814-146 Av. J.C, trad. Guillemin. (S. M), Payot, Paris, (1961).

ثالثا- الدوريات والمقالات:

1) باللغة العربية: :

- الألفي. مصطفى، المجتمع الريفي للشرق الجزائري قبل العهد الروماني من خلال نقوش منطقة الحفرة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، الجزائر، (1986).
- جورج. سارتون، تاريخ العلم، (الجغرافيون والمؤرخون في القرن الخامس)، تر:جورج حدّاد وآخرون، ج2، دار المعارف .مصر، ط2، (1970).
- حارش. محمد الهادي، حول أصول عبادة بعل حمّون في قرطاجة، مجلة التاريخ، العدد 03، (1987).
- شنيتي. محمد البشير، التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 2، معهد التاريخ الجزائر، (1986).
- شنيتي. محمد البشير، نظرة على الواقع الديمغرافي والاجتماعي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، (1982).
- غانم. (م. ص)، المساهمة الحضارية البونية في المملكة النوميدية، مجلة الثقافة، عدد. 119، (1999).

2) باللغة الأجنبية:

- Babelon, (J), Observations sur quelques monnaies de Libye, Actes du 79ème Congrès Nationale des Sociétés savantes, Alger, 1954, imprimerie Nationale de France, (1954).
- Basset. (R), Les influences puniques chez les Berbères, R. Af. N° 308-309, 3ème et 4ème trimestre, (1921).
- - Baradez. (J), survivance du culte de Baal et Tanite au 1er siècle de l'ère chrétienne, Libyca (Arc. Epig), t. V, 2éme semestre, (1957),
- Berthrandy. (M), Les représentations du signe de Tanit sur les stèles votives de Constantine (III-I S. Av. J.C), R.S.F, vol. XXI, 1ère éd. Conciglio Nazionale delle recherche, Roma, (1993).
- Chaker. (S), l'écriture libyco-berbère état des lieux et perspect-ives, Salem.Chaker@inalco.fr
- Charlier. (R), la nouvelle série de stèles punique de Constantine et la question des sacrifices dite « Molochmor » en relation avec l'expression « B S R M B T H », Karthago, N°09.
- Chabot. (J. B), Punica, J.A, t.VIII, éd. imprimerie national, Paris, (1916).
- Cintas. (P), deux compagnes de fouille à Utique, Kartago, éd. librairie. C. Clinksiek, Paris, (1951).
- Cintas. (P), Fouille punique à Tipaza, R. Af. N° 416 - 417, (1948).
- Cintas. (P), Le sanctuaire punique de Sousse, R. Af, N° 410 - 411, (1947).
- Corpus inscriptions Semetium, par : Prima, Paris, 1981.
- Courtois. (CH), Saint Augustin et le problème de la survivance du punique, R. Af N° 424 - 425, (1950).
- Costillière. (Jean-François), les ports punique de Carthage, WWW. Carthage /Ports. Com
- Faid herbe, épigraphie Phénicienne et Numidique (Libyque), R.Af, (1873).
- Fantar. (M. H), Les stéles épigraphes du tophéte de Sousse, Reppal, IX, (1995).

- Fantar. (M. H), Nouvelles stéles à épigraphes Néo-Punique de Mididi, Semitica, XXXVI, (1986).
- Ferdjaoui. (A), les stèles puniques de Constantine, rappel, IV, Paris, (1988).
- Février. (J. G), Essai de reconstitution du sacrifices Molokh,
- Hachid. (M), La plus ancienne écriture de l'Afrique du Nord, le libyque a plus de 3000 ans d'âge,WWW. agdaz. Org. com.
- Haggins. (A), Belkhodja. (A), les sacrifices d'enfants à Carthage mythes ou réalité ?, (article et réaction), WWW. Apollonia Sacrifices. Com
- Hubac. (P), Moloch, Cahier de Charles Foucauld, 1ier trimestre, (1950).
- Joléaud. (L), L'ancienneté de la Fabrication de l'huile dans l'Afrique du Nord, R. Af, N°. 338 - 339, (1929).
- Joléaud. (L), Les origines de la ville de Constantine, B.S.G.A, t. 22, imprimerie algérienne, (1918).
- Laporte. (J. P), monnaies puniques de Saldae (Bougie), B.S.N.A.F, éd. diffusion de Boccard, Paris, (1999).+
- Laschi. (L), La vigne et le vin dans l'Afrique romaine, III congres de la fération des sociétés savantes de l'Afrique du nord, Constantine, (1937), Alger, (1938).
- Le Glay. (M), Nouveauté punique, R. Af. N° 432 - 433, (1952).
- Le Glay. (M), Les Religions orientales dans l'Afrique ancienne d'après les collections du musée Stéphane Gsell, R.M.S.B, 3ème trimestre N°. 24, (1961).
- Le Glay. (M), Saturne et les Dieux indigènes de l'Afrique Romaine, Actes du 79ème congrès Nationales des sciences savantes archéologiques, Alger, (1954).
- Mansouri. (H), Carthage en Berbérie, Fondation, extension et apports civilisationnels, le pays, N°144, (28 sep – 04 oct, 1994), Alger.
- Moscati. (S), l'expansion Phénicienne Punique dans la Méditerrané occidentale, dans actes du IIème congres internationale d'études des cultes de la Méditerrané occiden -tale, Alger, (1976).
- Picard. (Ch. G), Flaubert, Carthage et l'archéologie contemporainne, Revue de Paris, (1956).

- Picard. (Ch. G), Les sacérdottes de saturne et les sacrifices humaines dans l'Afrique Romaine, Recueil des notes et mémoires de la société archéologique de Constantine, tome LXVI, (1948).
- Picard. (C), Notes de chronologie punique : le problème du V^{ème} siècle, Kartago, XII, (1963-1964), Paris, (1965).
- Picard. (Ch. G), civitas mactartaritana, Kartago, t. 8, Paris, (1957).
- Piganiol. (A), la religion et les mouvements sociaux dans le Magreb antique, Cahier d' Histoire Mondiales, vol. III, (1957).
- Saumagne. (Ch), la survivance du punique au V^{eme} et VI siecle apres J.C, Karthago, IV
- Sartare. (M), sur quelques nom émétique relever en Mauritanie Tangitaine, ant. Afr, N° 08, (1975).
- Sznycer. (M), l'emploi des termes (Phénicien, Punique, Néo-punique) problèmes de méthodologie, in acts of II^{ed} congres on Hamito-semitic, (1978.
- Troussel. (M), Le dieu Ammon et la déesse Africa, Actes du 79ème Congrès Nationale des Sociétés savantes, Alger, (1954), imprimerie Nationale de France, (1957).
- Troussel, (M), le Trésor Monétaire de Tiddis. , R.S.A.C, Vol. LXVI, (1948).
- Troussel, (M), Monnaies anciennes de l'Afrique trouvée a Tiddis. R.S.A.C, Vol. LXVI, (1948).
- - Vuillemot. (G), le nécropole punique du phare dans l'ile de Rechgoune (Oran), Libyca (Arc. Epig), t. III, 1er trimestre, (1953).
- Vycihl. (W), Les études Shamito-semetique, Actes du 1er Congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence Arabo-Berbères.

رابعا- الرسائل و الدراسات الجامعية:

- بشاري. محمد الحبيب، دور مقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما بين 146ق.م و285 م، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، (2006-2007).
- حارش. محمد الهادي، التطوّر السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م، رسالة ماجستير،معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1985.
- شارن. شافية، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (العهد الإمبراطوري الأول)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، ج1-2، (2001/200).
- شنيتي، محمد البشير، التغيرات السياسية و الاقتصادية،
- غانم. محمد الصغير، التواجد الفينيقي-البوني في الجزائر، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، جامعة الجزائر، (1981-1982).
- يفصح. نادية، آلهة الخصب البونية النوميدية، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، (2003-2004)

خامسا- القواميس والموسوعات:

- Bennefoy. (J), dictionnaire des mythologies et des religions des sociétés traditionnelles et du monde antique, publié avec le concours du centre des lettres, 1981, éd. Flammarion, Paris, 4ème trimestre.
- Ghaki. (M), Grand dictionnaire Universel du xx siècle, t. VII, Paris,
  (S. D).
- La grande encyclopédie, Par une société de savants et de lettres, H. Laumirauttht et Cie éditions, t.9, Paris.
- Encyclopédia Universalis, t.04 ; t. 05,)1985), PP.304-305 ; t, 09, (1990), pp.530-531.
- Wikipedia, (encyclopédie libre internet).

الفهـــــــــــارس

أولا- فهرس الأعلام:

(أ)

أحيرام (Ahiram) (ملك): 05.

أترورية (ال): 35.

أذر بعل: 122، 142.

استرابون : 66، 79، 89.

أشرباص: 08.

أوريك بيتس (Oric. Pits): 80.

أوزلسيس: 104.

أوستيولوجيون (Ostéologue): 48.

أوغسطين(Augustin): 89، 146، 147.

أغاثوكليس (Agathocles): 20، 25، 31، 96.

ألاليا (Alalia) (معركة): 16.

ألبرتيني. أ: (Albertini. A): 102، 14.

أملكار: 94.

أملكار برقة: 96، 104.

أملكار حانون: 33.

(ب)

باسيه. ر (Basset. R): 76، 69، 84، 114.

بد أشمون:

بد ملقرط:36، 122، 142.

بد عشتار: 142.

برتييه (Berthier): 123.

برغوتي. (م. ع) (ال): 80.

بروكوب (Procop): 89، 146، 147.

بشاري (م. ح): 108، 112.

بليزار(Belizer): 67.

بلين الكبير(Pline l'ancien): 66، 79، 116.

بورنّية. (ش): 96.

بوسكيه (Bousquet): 99.
بوليب (Polybe): 21، 66، 98، 130.
بونيقية (ال): 03، 12، 16، 34، 35، 37، 39، 47، 48، 55، 75، 60، 73، 80، 83، 84، 85، 89، 92، 99، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 111، 116، 122، 124، 129، 131، 138، 140، 141، 142، 143، 144، 154، 146، 147، 148، 154، 157.
بويدفولديوس (Podvoldius):.
بيغماليون (Pygmalion): 08.
بيغانيول. أ (Piganiol): 19، 146.
بيكار(Picard): 18، 83، 147.

(ت)

تروسيه. م: 75.
تيبيريوس(Tebérius): 53، 143.
تيت ليف: 20، 93، 96، 98، 109.
تيمي (Timée): 08.

(ج)

جيستان (Justin): 08، 25، 95.
جوليان (Julien): 26، 50، 140، 146.

(ح)

حشيد. م: 82.
حانون: 15، 33، 94، 101، 102.
حنبعل، حن بعل: 17، 51، 98، 105، 130.
حيرباص: 12.

(د)

دوريوس (Dorius): 16.
ديدون: 08.
ديسو (Dussaud): 56.
ديون كاسيوس: 34.
ديودور الصقلي: 25، 31، 37، 47، 68، 96، 97، 110، 124، 145.

(ر)

ريس كربانتي (Rhys. Carpanter): 08.

(س)

سالوست : 23، 90، 97، 143.

سالينوس : 34.

سامي (ة) (ال): 55، 80، 88، 29، 114، 117، 140، 143، 147، 157.

سبتيم سيفيروس: 52، 146.

سودانية (ال): 100.

سوفات (شوفيط) : 20، 105.

سوفونيزبة: 18، 104، 105.

سيبيون الإميلي: 17، 18، 31، 90، 145.

سيفاكس: 12، 22، 25، 96، 98، 104، 105، 143.

(ش)

شابو: 79، 82ن 83، 84.

شارن. (ش): 65.

شاكر. (س): 83.

شامية (ال): 80،

شمبليون (Champollion): 100.

شنيتي. (م. ب) : 23، 32، 110.

(ط)

طفاية (طوفات): 47، 48،51، 52، 53، 122.

(ع)

عبرية (ال): 47.

عربية (ال): 84، 147.

عليسة: 08، 09، 14، 24، 25، 95.

عملقرط: 36.

عبد حمّون: 37.

(غ)

غايا (Gaia): 20، 25، 96، 105، 143.

غانم. (م. ص): 83.

غزال. س (Gsell. S): 57، 67، 76، 77، 83، 93، 112، 115، 116، 146، 147.

غوتيه (Gautier): 06، 19، 99، 142.

(ف)

فارو (Varron): 33.

فلوبير (Flaubert): 50.

فيسيل. و (Vycihl. W): 80.

فيفرييه: 97، 84.

فيليب الخامس (ملك مقدوني): 130.

(ك)

كاتوس أو كاتون (Caton;Catus): 17، 31.

كامبس (Camps): 67، 83، 105، 114، 115، 143.

كنعانية (ال): 55، 89، 121، 144.

كوليميل (Columelle):34، 116.

(ل)

لابيي (Lapayer): 04، 157.

ليقلي (Le Glay): 91، 122.

(م)

ماسينيسا، ماسنسن، مسنسن: 18، 21، 22، 26، 32، 66، 67، 81، 82، 92، 96، 97، 99، 102، 103، 104، 105، 109، 122، 142، 143.

ماقون: 33، 34، 112، 161، 118.

مالخوس: 18.

مستن بعل: 122، 142.

مكيبسا (مسيبسا): 81، 82، 122، 143.

ميناندر (Menander): 08.

(ن)

نبوخد نصر: 13.

نرفاص: 104.

(هـ)

هميلكون: 15.

هيرودوت: 23، 25، 26، 66، 73، 75، 79، 89، 110.

هيمصال: 143.

هيكاتي (Hecate): 65.

هيميرا (Himéra): 14، 16، 18، 30.

(ي)

يرباص: 09، 24، 104.

يوبا الأول: 143.

يوسيفوس اليهودي: 08.

يوليوس قيصر: 18.

ثانيا- <u>فهرس أسماء الآلهة</u>:

(أ)

أسكوليبيس : 131.

إسكولاب : 131.

آش (Ash): 75.

أشمون: 36، 131.

آمون: 75، 76.

آمون رع: 76.

إيفرو: 74.

(ب)

باروت: 32.

باستوريانيس: 74.

بعل حمّون: 36، 37، 38، 39، 50، 51، 76، 121، 122، 123، 125، 129، 130، 158.

بعل شمين: 36.

بعل حداد: 36.

بكاكس: 74.

(ت)

تانيت (تانيت بيني بعل): 35، 36، 38، 39، 49، 50، 52، 54، 121، 122، 123، 125، 129، 130، 143.

تمار (Tamar): 32.

(ج)

جيدابا: 75.

جينيوس: 75.

جوبيتر: 130.

(ر)

رشف: 36.

رمان: 32.

(ز)

زيوس: 130.

(س)

ساتورن: 52، 123.

سينيفر: 74.

(ش)

شاديربا: 36.

(ع)

عشتارت: 36، 38.

(ف)

فيلرينام: 75.

(ق)

قورزيل: 74.

(ك)

كافون: 36.

كايلستيس: 123.

(م)

ماستينام: 74، 76.

ملقرط: 08، 15، 36، 122، 131.

(ن)

نيث: 38.

(هـ)

هرقليس: 36، 131.

هيرا: 130.

هيركول: 131.

ثالثا- فهرس القبائل والشعوب:

(أ)

إغريق(ال): 06، 13، 14، 16، 25، 27، 28، 30، 31، 51، 91، 97، 130،99، 131.
أنطونيون (ال): 53.
أمازيغ (ال): 79.
أوتروسك(ال): 16.

(ب)

بربر(ال): 25، 79.
بونيقيون: 38، 47، 48، 52، 53، 89، 90، 94، 104، 124، 129، 130، 142، 157.

(ج)

جيتول (ال): 22، 23، 67.

(ر)

رومان(ال): 13، 16، 17، 19، 22، 27، 28، 32، 34، 53، 68، 73، 91، 96، 97، 99، 105، 109، 116، 122، 124، 129، 130، 138، 145، 157.

(س)

سودانيون: 80.

(ص)

صوريون (ال): 91.

(ط)

طوارق (ال): 82.

(ف)

فينيقيون(ال): 02، 03، 04، 05، 06، 09، 10، 11، 19، 25، 27، 30، 32، 33، 35، 36، 37، 38، 47، 49، 55، 65، 66، 69، 73، 75، 83، 88، 90، 91، 93، 95، 100، 101، 104، 106، 111، 114، 115، 116، 121، 140،126، 141، 143، 154، 156، 157.

(ق)

قبارصة: 91.
قرطاجيون (ال): 02، 03، 04، 07، 14، 15، 16، 17، 22، 24، 28، 30، 32، 33، 35، 36، 37، 47، 48، 49، 50، 51، 57، 68، 84، 88، 89، 90، 92، 93، 94، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 110، 111، 112، 114، 115، 116، 118، 119، 121، 123، 125، 126، 129، 130، 131، 140، 142، 143، 144، 145، 154، 156، 157، 158.

(ك)

كنعان (بنو): 89، 144.

(ل)

ليبو – فينيقيون: 88.

لاتين (ال): 25، 130.

ليبيون (ال):05، 11، 13، 23، 24، 25، 26، 27، 31، 66، 68، 69، 75، 76، 79، 80، 83، 84، 88، 89، 90، 94، 95، 98، 100، 104، 105، 112، 114، 115، 116، 117، 118، 121، 138، 141، 143، 154، 156 .

(م)

مغاربة(ال): 79.

موريون(ال): 75، 92.

(ن)

نوميديون (ال): 02، 04، 12، 14، 15، 19، 20، 21، 22، 24، 25، 26، 27، 31، 32، 66، 68، 69، 70، 73، 74، 75، 76، 79، 81، 82، 83، 84، 88، 89، 90ن 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 108، 109، 110، 111، 112، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 129، 130، 138، 140، 141، 143، 144، 146، 147، 154، 156، 157، 158.

رابعا– <u>فهرس المواقع والأماكن</u>:

(أ)

إجلجلي: 12.

إسبانيا: 03، 11، 16، 21، 98.

إسبرطة: 16.

أشولا: 11.

أطلنطي(ال): 11، 80.

أطلس (جبال) (ال): 23، 73، 100.

أريانة (سبخة): 11.

إفريقيا: 04، 05، 09، 11، 12، 15، 16، 18، 20، 25، 26، 27، 39، 51، 88، 91، 93، 99، 100، 101، 102، 130.

ألاليا: 16.

أوتيكا: 03، 09، 12، 34، 90، 92.
أوربا: 07، 14، 15، 16، 99.
إيكوزيم: 12.
إيول: 12.

(ب)

باجه: 32.
بجاية: 12، 101.
بحيرة تونس: 09.
بنزرت: 12.
بونه: 124، 146.
بيبلوس: 32، 37، 88.
بيرصا: 09، 10، 36.

(ت)

تازبنت: 68، 110.
تبسه: 68، 94، 109، 145.
تبرسوق: 123، 141.
تنيس: 12.
تينيس: 13.
تونس: 03، 08، 09، 10، 12، 13، 16، 21، 25، 31، 48، 57، 70، 74، 82، 90، 92، 94، 103، 110، 111، 115، 122، 140.
تيارت: 74.
تيبازة: 12، 124.
تيديس: 93، 102.

(ج)

جبل طايا: 74.
جبل مشري: 68.
جبيل: 88.
جزائر (ال): 11، 12، 57، 69، 70، 71، 82، 84، 115، 123، 124، 125، 141.
جزر البليار: 11.
جزر الكناري: 81.

جونو: 08.
جيجل: 124، 127.
(ح)
حدرومت: 12، 144.
حفرة (ال):122، 123، 141.
(خ)
خليج تونس: 03، 10.
خليج أوتيكا: 10.
خليج السرت: 11، 16.
خنادق بونيقية (ال): 13.
(د)
دوقا: 20، 21، 24، 82، 93، 105، 109، 123، 126.
دياريتوس: 12.
(ر)
رأس بوسعيد: 10.
رأس بونه: 31، 96.
رشقون: 81.
روما: 17، 18، 20، 321، 129.
(ز)
زاما: 17، 21.
(س)
سردينيا: 11.
سكيكدة: 12.
سودان(ال): 80.
سوريا: 15، 88.
سوسه: 12، 32، 48، 52، 53، 125، 129، 144.
سيجوس: 94، 145.
سيرتا: 26، 23، 93، 94، 109، 1232، 124، 125، 132، 141، 143، 144.
سيقا : 21.

(ش)

شبه جزيرة أيبيريا: 03، 90، 141.

شرشال: 12، 77، 124.

شمال إفريقيا: 02، 03، 04، 05، 06، 09، 11، 14، 15، 17، 19، 22، 23، 25، 27، 31، 33، 36، 38، 39، 55، 56، 57، 65، 68، 71، 73، 75، 79، 81، 88، 90، 92، 97، 100، 106، 111، 118، 121، 124، 140، 141، 144، 147، 156، 157، 158.

شورة (ال): 12.

(ص)

صالمبو: 09، 10، 38، 39، 91.

صبراتة: 12.

صخرة القايد: 74.

صفاقس: 13، 108.

صقلية: 03، 11، 14، 17، 30، 98.

صلداي: 12، 101.

صور: 05، 08، 11، 13، 14، 15، 27، 32، 36، 88، 140.

صيدا: 32، 36، 88، 140.

(ط)

طرابلس: 11، 74.

طنجة: 12.

(ع)

عرائش (ال): 03.

عين توتة: 122.

(غ)

غليزان: 74.

(ق)

قابس: 12.

قادش: 03، 90.

قاله (ال) (Collo): 127.

قالمة: 74، 76، 144.

قبرص: 8.

قصر لمطة: 123، 141.
قرطاجة: 02، 03، 05، 06، 07، 08، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 23، 24، 25ن 26، 27، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 48، 52،51، 56، 65، 68، 70، 88، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 103، 104، 105، 106، 108، 109، 110، 114، 116، 121، 122، 124، 125، 126، 129، 130، 131، 138، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 154، 156، 157، 158.
قرط حدشت: 09.
قسنطينة: 21، 75، 76، 93، 102، 122، 123، 126، 127.
قفصه: 13.
قليبية : 12.
قوراية: 125، 127.
قورينة: 14،16، 30.
قيرطا: 21.

(ك)

كاف(ال): 122.
كرتناس: 12.
كلوبيا (قليبيه): 12.
كنيسة لويس التاسع: 36.
كيرتا: 68.

(ل)

لبدة: 11.
لبتيس: 12، 147.
لبنان: 32.
ليبيا: 11، 16، 23، 25، 30، 55، 66.
ليكسوس: 03، 12، 90، 92.

(م)

متوسط (البحر): 02، 04، 09، 10، 12، 13، 14، 20، 27، 49، 70، 80، 81، 102، 148.
مجردة : 03، 21، 32، 109.
مداوروش: 74.
مغرب أقصى (ال): 12، 14، 144.

مسينا (مدينة): 17.
مكثر: 93، 142.
ميغارة : 10، 68.

(ن)

نوبة(ال): 81.
نوميديا: 02، 07، 17، 18، 19، 20، 21، 22،24، 25، 26، 32، 33، 37، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 73، 74ن 76، 77، 83، 88، 89، 93، 94، 95، 96، 102، 104، 106، 108، 109، 110، 111، 114، 115، 116، 117، 118، 122، 125، 126، 129، 131، 138، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 156، 157، 158.
نيجر(ال): 102.
نيل(ال): 81.

(هـ)

هنشير: 122.
هيميرا: 14، 16، 18، 30.

خامسا- فهرس الأشكال:

الرقم	الشـــــكل	الصفحة
01	تمثال لبعل حمّون جالس على العرش، يعود إلى القرن الأول ق.م.	40
02	نصب يظهر فيه بعل حون بيده الصولجان ويده الأخرى مرفوعة لمباركة عبده الواقف أمامه.	41
03	صورة لبعل حمّون منقوشة على خاتم من ذهب، يعود إلى القرن ق.م. عثر عليه بأوتيكا (تونس).	42
04	نصب عثر عليه بصلمبو يعود إلى القرن الخامس ق.م ويمثل كاهنا يحمل طفلا ليُقدّم قُربانا لبعل حمّون.	43
05	رسم لتانيت بيني بعل جالسة على العرش و تحمل طفلا.	44
06	نصب يُمثل أحد رموز تانيت (الهلال).	45
07	نصب يُمثل رمز من رموز تانيت (الهلال)..	46
08	نصب نذري يمثل مشهدا لتقديم قربان حيواني لبعل حمّون ولتانيت.	54
09	نصب منقوشة بكتابة فينيقية، يعود إلى القرنVI أوV ق.م، يُخلّد لذكرى تقديم أضحية بشرية، عُثر عليه بطفاية صالمبو بقرطاجة.	58
10	صحن منقوشة بكتابة فينيقية، عثر عليها بقبرص.	59
11	نقيشة مكتبة بالبونيقية، تدل على معبد شيِّد لبعل حمّون.	60
12	نصب مكتوب بالبونيقية يعلوه إحدى رموز تانيت "اليد" يعود إلى القرن الثالث ق.م.	61
13	نصب مكتوب بالبونيقية عثر عليه بمعبد صالمبو بقرطاجة ويعود إلى حوالي القرن الثالث ق.م.	62
14	نقيشة بالبونيقية الحديثة، تمثل نذرا قُدِّم لبعل حمّون، عُثر عليها ببولاريجيا.	63
15	نقيشة مكتوبة بالبونيقية الحديثة، قدّم فيها أعيان مديدي نذرا لبعل حمّون.	64
16	نقود نوميدية تعود إلى زمن ماسينيسا تحمل صورة حصان.	72
17	نقود نوميدية تعود إلى زمن ماسينيسا تحمل صورة حصان.	72
18	نقود نوميدية قديمة نقشت عليها صورة حصان.	72
19	نقود نوميدية تحمل صورة الإله الليبي آمون.	78
20	نصب بكتابة ليبية تعود إلى عهد مكيبسا (148-118ق.م) عثر عليها برأس جنات.	85

21	جدول توزيع النقوش النوميدية في المغرب العربي حسب ما ورد عند شابو.	86
22	شكل لمحراث محلي.	113
23	شكل لمحراث قرطاجي.	113
24	نصب عليه صورة بعل حمون تؤرخ بالقرنII ق.م، عُثر عليها في معبد الحفرة بسيرتا.	132
25	نصب عليه صورة بعل حمّون، يعود إلى القرن الثاني ق.م، عثر عليه في معبد الحفرة بسيرتا.	133
26	نصب عليه صورة لتانيت ورمز اليد وُجد بمعبد الحفرة بسيرتا..	134
27	نصب لتانيت، عثر عليه بمعبد الحفرة بسيرتا.	135
28	صورة للضريح الملكي بدوقا (Mausolée de Dugga).	136
29	صورة لضريح المدغاسن بالقرب من باتنة.	137
30	صورة لضريح الصومعة بالخروب، قسنطينة.	137
31	خارطة تبيّن موقع معبد الحفرة بسيرتا.	128
32	جدول توزيع النقوش البونيقية والبونيقية الجديدة في الجزائر.	150
33	خارطة تبيّن مُدُنا جزائرية داخلية متأثرة بالحضارة البونيقية.	153
34	نقيشة بونية عثر عليها بمعبد الحفرة وتشير إلى امرأة كانت تشغل منصب ربة الكهنة.	152
35	نصب مكتوب بالبونيقية الحديثة يمثل نذرا لبعل حمون وتانيت، عثر عليه بمعبد الحفرة.	151
36	جدول الكتابة البونية والنوميدية في المغرب القديم.	149

فهرس محتوى البحث:

قائمة المختصرات.

المقدمة.....أ – ر

المدخل:.....01-28

أولا: التواجد الفينيقي في شمال إفريقيا.....02-07

1) المراكز الفينيقية الباكرة في شمال إفريقيا.....02-05

2) الاستقرار الفينيقي في شمال إفريقيا.....05-06

3) مجال الحضارة الفينيقية.....06-07

ثانيا: الأوضاع في قرطاجة ونوميديا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث ق.م.....07-28

1) أوضاع قرطاجة منذ التأسيس إلى القرن الثالث ق. م..... 07-18

أ) تأسيس مدينة قرطاجة.....07-09

ب) وصف مدينة قرطاجة..... 09-11

ج) تطور قرطاجة.....11-16

د) صراع قرطاجة ضد الإغريق والرومان.....16-18

2) أوضاع نوميديا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث ق.م.....19-28

أ) الممالك النوميدية..... 20-22

– مملكة نوميديا الشرقية(المازسيل)..... 20-21

– مملكة نوميديا الغربية (الماسيل)..... 21-22

ب) القبائل النوميدية..... 22-23

ج) التنظيم السياسي في نوميديا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث ق.م.24 – 25

د) التنظيم الاجتماعي في نوميديا من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث ق.م.25-28

الفصل الأول: الزراعة، المعتقدات الدينية واللغة في قرطاجة ونوميديا قبل القرن الثالث ق.م..... 29-86

أولا: الزراعة، المعتقدات الدينية، واللغة في قرطاجة قبل القرن الثالث ق.م. 30-64
1) الزراعة في قرطاجة قبل القرن الثالث ق. م.....30-35
أ) الاهتمام القرطاجي بالزراعة.....30-32
ب) المعارف الزراعية القرطاجية.....32-33
- ماقون القرطاجي (Magon).....34-35
2) المعتقدات الدينية القرطاجية قبل القرن الثالث ق.م:.....35-54
أ أصول المعتقدات الدّينية القرطاجية.....35
ب) المعبودات القرطاجية.....36
- بعل حمّون(Baal Hammon).....37-38
- تانيت بيني بعل (Tanit pénibaal).....38-46
ج) أماكن العبادة (الطفاية) (Tophet).....47-49
د) القرابين القرطاجية.....49-54
3) اللغة القرطاجية (البونيقية).....55-64
أ) أصل اللغة والأبجدية البونيقية.....55-64
- أصل اللغة البونيقية.....55-56
- أصل الأبجدية البونيقية.....54-56
ثانيا: الزراعة، المعتقدات الدينية واللغة في نوميديا قبل لبقرن الثالث ق. م.....65-72
1) الزراعة في نوميديا قبل القرن الثالث ق. م.....65-72
أ) أصل الزراعة في نوميديا، قبل قدوم الفينيقيين.....65-72
ب) الخبرات الزراعية النوميدية.....68-70
ج) أثر العوامل الطبيعية في الزراعة النوميدية.....70-72
2) المعتقدات الدينية في نوميديا قبل القرن الثالث ق. م.....73-78
أ) المعبودات في نوميديا.....74-76
ب) القرابين في نوميديا.....76
ج) الطقوس الدينية والجنائزية النوميدية.....76-79

3) اللغة في نوميديا قبل القرن الثالث ق. م.....79-86
أ) اللغة والأبجدية النوميدية.....79
ب) أصل اللغة النوميدية.....79-80
- الأبجدية النوميدية.....81-82
- أصل الأبجدية النوميدية.....83-86

الفصل الثاني: عوامل التأثير القرطاجي في نوميديا.....87-86
أولا: عوامل التأثير البشرية.....88-90
1) أصل الشعب القرطاجي.....88-89
2) أصل النوميديين.....89-90
ثانيا: العامل التاريخي والجغرافي.....90-95
1) العامل التاريخي: طول مدة للتواجد الفينيقي- القرطاجي في شمال إفريقيا..90-91
2) العامل الجغرافي: عامل الجوار بين القرطاجيين والنوميديين.....92-95
ثالثا: العلاقات القرطاجية-النوميدية من القرن الثالث إلى 146 ق.م.....95-106
1) العلاقات السياسية القرطاجية-النوميدية من القرن الثالث إلى 146 ق.م..95-97
2) العلاقات العسكرية بين القرطاجيين والنوميديين من القرن الثالث إلى 146 ق.م.....97-100
3) العلاقات الاقتصادية القرطاجية- النوميدية من القرن الثالث إلى 146 ق.م. 100-103
4) العلاقات الاجتماعية القرطاجية-النوميدية من القرن الثالث إلى 146 ق.م 103-106

الفصل الثالث: التأثير القرطاجي في نوميديا في مجال الزراعة من القرن الثالث إلى 146 ق.م.....107-119
أولا: التأثير القرطاجي في مجال توفير الأمن والاستقرار.....108-109
ثانيا: التأثير القرطاجي في مجال الرَّي.....109-110

ثالثا: التأثير القرطاجي في مجال أدوات الإنتاج الزراعي.....111
رابعا: التأثير القرطاجي في مجال المزروعات.....111-117
1) التأثير القرطاجي في مجال زراعة الحبوب.....111-114
2) التأثير القرطاجي في مجال زراعة البقول.....114
3) التأثير القرطاجي في مجال زراعة الأشجار المثمرة.....114-117
أ) أشجار التين والزيتون.....115-116
ب) أشجار الكروم.....116
ج) أشجار الرمّان والتفاح.....116-117
خامسا: التأثير القرطاجي في مجال تربية الحيوانات.....117-119
1) تربية الأنعام والخيول.....117-118
2) تربية النحل.....118-119

الفصل الرابع: التأثير القرطاجي في نوميديا في مجال المعتقدات الدينية من القرن الثالث إلى 146 ق.م.....120-138
أولا: المعتقدات الدينية القرطاجية في نوميديا.....121-128
1) الآلهة القرطاجية في نوميديا.....121-123
2) الطقوس الدينية والجنائزية القرطاجية في نوميديا.....123
أ) الطقوس الدينية القرطاجية في نوميديا.....123-124
ب) الطقوس الجنائزية القرطاجية في نوميديا.....124-126
3) القرابين القرطاجية في نوميديا.....127-128
ثانيا: آثار المعتقدات الدّينية القرطاجية بعد عام 149 ق.م.....129-138

الفصل الخامس: تأثير اللغة البونيقية في نوميديا من القرن الثالث ق. م إلى 146 ق. م.....139-154
أولا: علاقة اللغة والكتابة البونيقية باللغة والكتابة النوميدية.....140-141
ثانيا: مدى تبني النوميديين للغة والثقافة البونيقية.

ثالثا: انتشار اللغة البونيقية في نوميديا.....141-144
رابعا: آثار اللغة والثقافة البونيقية بعد عام 146.....145-154

الخاتمة..... 155-158
الملاحق.....156-165
بيبليوغرافيا البحث.....166-178
الفهارس.....179-199